كتاب

الأذكياء

تأليف

الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي

المتوفى ٥٩٧ هـ



قدم له وحققه

الشيخ عبد الرحمن ديب الحلو

دار إحياء العلوم

بيروت

الأذكياء

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

ص.ب: ٥٧٥١ - بيروت، لبنان

الأذكياء

للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن
ابن علي بن الجوزي
رضي الله عنه

قدم له وحققه
الشيخ عبد الرحمن ديب الحلو

دار احياء العلوم
بيروت

مُقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الآخر، الظاهر الباطن، الذي هو بكل شيء عليم، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يملأ أرجاء السماوات والأرَضين دائماً أبد الآبدين، ودهر الداهرين، إلى يوم الدين، في كل ساعة وآنٍ ووقت وحين، كما ينبغي لجلاله العظيم، وسلطانه القديم، ووجهه الكريم.

وأشهد أن لا إلّه إلا اللهُ وحده لا شريك له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا نظير ولا وزير له، ولا مشير له، ولا عديد ولا نديد ولا قسيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، المصطفى من خلاصة العرب العرباء من الصميم، خاتم الأنبياء وصاحب الحوض الأكبر الرواء، صاحب الشفاعة العظمى وحامل لواء الحمد يوم القيامة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام، السادة النجباء الأعلام، خلاصة العالم بعد الأنبياء، ما اختلط الظلام بالضياء، وأعلن الداعي بالنداء، وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم.

أما بعد:

فهذا كتاب نادرٌ ونفيس للإمام العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى، جمع فيه طرفاً من أخبار الأذكياء الذين قويت فطنتهم وتوقّد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم، قاصداً بذلك:

- معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

- تلقيح ألباب السامعين إذا كان فيهم نوعُ استعداد لنيل تلك المرتبة.

ـ تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسر عليه لحاقه، فهو كتاب لطيف الحجم، غزير العلم، جدير بأن يقتنى ويفيد منه كل إنسان.

عملي في هذا الكتاب:

ولما كانت النسخة التي اعتمدتها مطبوعة طبعاً رديئاً ومتصلة الأسطر، ومضطربة الفقرات، وجدت أنه لا بدّ من أن أوجه لذلك عناية خاصة، كي لا يخلو هذا الكتاب من هذه الفائدة، وذلك أمر مطلوب في طباعة الكتب ونشرها، فعمدت إلى وضع الفواصل والنقاط حيث تدعو الحاجة كما عمدت إلى الآيات القرآنية التي وردت في صلب البحث، فحققت موضعها من السورة، وأشرت إليه في هامش البحث، كما قمت بالتعليق على بعض من الأحاديث الواردة في الكتاب، كما شرحت الألفاظ الغامضة وأثبتها في الهامش أيضاً، كما أنشأت عناوين لبعض مَنْ ساق عنهم المؤلف، يتناسب وموضوعه ليعلم مضمونه ويُعرف محتواه، ومهدت لذلك كلّه بترجمة للمصنف تبين علمه وفضله ومنزلته وقدره بين العلماء، وبذلك يخرج الكتاب بحلة جديدة.

وحسبي أني وضعت لبنة وأضأت شمعة، فإن أحسنت ووفقت فبتوفيق من الله ورعايته، وإن أسرفت أو تعثرت، فما أردت إلا الإجادة ما آستطعت.

ومن ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

والحمد لله رب العالمين

بيروت في ١٤ ذي الحِجّة ١٤٠٧ هـ
الموافق ٩ آب ١٩٨٧ م

الشيخ عبد الرحمن ديب الحلو

ترجمة المصنِّف(*)

الإمام ابن الجوزي

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن حُمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بـ «ابن الجوزي» القرشي التيمي البكري البغدادي. أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها على غيره.

اختلف في نسبته، فقيل: هو نسبة إلى فرضة[1] نهر البصرة. وقيل: هو نسبة إلى موضع يقال له: فرضة الجوز. وقيل: إنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى: محلة الجوز. وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة لم يكن بواسط جوزة سواها.

وكذا اختلف في مولده، فقيل: ولد سنة عشر وخمسمائة، وقيل: إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة وخمسمائة.

مات أبوه وعمره ثلاث سنين، فكفلته أمه وعمته، وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن الجوزي الصفار. والصُّفْر هو: النحاس.

(*) أخذت الترجمة من: البداية والنهاية لابن كثير (٢٨/١٣) ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٩/١) وذيل الروضتين (٢١) والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٢٨/١٠) والأعلام للزركلي (٨٩/٤، ٩٠).

(١) فُرْضَة النهر: الثلمة التي ينحدر منها الماء وتصعد منها السفن.

فلما ترعرع جاءت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ، فلزم الشيخ وقرأ عليه وسمع عليه الحديث، وتفقه بابن الزاغوني، وحفظ الوعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي.

قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وتتبع مشايخ الحديث والفقه، فكان منهم القاضي أبو بكر الأنصاري وأبو القاسم الحريري، وأبو السعادات المتوكلي، وأخوة يحي، وغيرهم خلق كثير من أهل العلم والمعرفة في زمانه.

كان وهو صبي ديّناً مجموعاً على نفسه، لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة.

قال عنه ابن العماد: وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدّة، لباسه الناعم الأبيض المطيب، وله مداعبات حلوة، وما تناول مالاً من جهة لا يتيقن حلّها، ولا ذل لأحد.

وقال ابن كثير: وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه، وإعجاب وسمو بها أكثر من مقامه، وذلك ظاهر في كلامه، في نثره ونظمه، فمن ذلك قوله:

ما زلت أُدركُ ما غلا بـل مـا علا　　وأُكـابـدُ النهـجَ العسيرَ الأَطــولا
تجــري بيَ الأمــالُ في حلبــاتِــه　　جـريَ السعيــدِ مــدى مــا أملا
أفضى بيَ التـوفيـق فيــه إلى الذي　　أعيــا ســـوايَ تـــوصلاً وتغلغلا
لو كان هـذا العلمُ شخصـاً نـاطقـاً　　وسألتـه: هـل زار مثليَ؟ قـال: لا

وقوله أيضاً:

ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم، فلا يرتابون بصحته[1]...

ومنزلته في الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد، ولقد أوتي من قوة العارضة وحسن التصرف في فنون القول، وشدّة التأثير في الناس ما لم يؤت الكثيرون.

ولقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء، والملوك والأمراء، والعلماء والفقراء، ومن سائر صنوف بني آدم، وأقلّ ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً.

ويروى أنه التفت مرة إلى ناحية الخليفة المستضيء، وهو في الوعظ فقال:

« يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، وإن قول القائل لك: اتق الله، خير لك من قوله لكم: إنكم أهل البيت مغفور لكم، كان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل لي أنه ظالم، فلم أغيّره فأنا ظالم. يا أمير المؤمنين، وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة[2] ويقول: قرقرأو لا تقرقر، والله لا ذاق عمر سمناً ولا سميناً حتى يخصب الناس. قال: فبكى المستضيء، وتصدق بمال كثير، وأطلق المحابيس وكسا خلقاً من الفقراء ».

وكان يتصف بقوة البديهة، وحضور الذهن، والأجوبة النادرة مع كثرة الحفظ وسعة الرواية. ومن أندر أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي بين أهل السنة والشيعة، ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلاً في وسط المجلس، فسأله عن ذلك، فقال على الفور:

---

(١) راجع كتاب « لفتة الكبد في نصيحة الولد » له.

(٢) سمي بذلك لأن الأرض صارت كالرماد من الجدب.

أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. فقال السنية: هو أبو بكر رضي الله عنه، لأن عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ [1]، وقالت الشيعة: هو علي رضي الله عنه، زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ومن لطائف كلامه قوله في الحديث: «أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين»: إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل لهم: حثوا المطي.

وقال له رجل: أيهما أفضل؟ أجلس أسبح أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور.

وبالجملة: كان استاذاً فرداً في الوعظ وغيره.

مصنفاته:

قال ابن كثير: جمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنَّف وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة... له في العلوم كلِّها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك في اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها.

وقال ابن خلّكان: وبالجملة: فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: إنه جمعت الكراريس التي كتبها، وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع

(١) وهو الحق الذي لا محيد عنه، ذلك لأن السؤال عن فضل أبي بكر وعلي، لا عن فضل النبي ﷺ، فإنه أفضل البشر على الاطلاق.

كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وهاك بعض مصنَّفاته.

زاد المسير في علم التفسير، تيسير البيان في تفسير القرآن، عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ، المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ. منهاج الوصول إلى علم الأصول، بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد، دفع شبهة التشبيه، جامع المسانيد بألخص الأسانيد، المجتبي، التحقيق في أحاديث التعليق، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، الضعفاء والمتروكين، أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث، مناقب اصحاب الحديث، فضائل عمر بن الخطاب، فضائل عمر بن عبد العزيز، فضائل سعيد بن المسيب، فضائل الحسن البصري، مناقب سفيان الثوري، مناقب أحمد بن حنبل، منهاج القاصدين، صفوة الصفوة، اليواقيت في الخطب، شاهد ومشهود، المدهش، الإنصاف في مسائل الخلاف، أسباب الهداية لأرباب البداية، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، شذور العقود في تاريخ المعهود، مناقب بغداد، صيد الخاطر، الأذكياء وأخبارهم[1]، تلبيس إبليس، القصاص والمذكرين، لفتة الكبد في نصيحة الولد، تقويم اللسان، القرامطة. وغير ذلك كثير مما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصرها.

وفاته:

كانت وفاته ليلة الجمعة بين العشاءين، الثاني عشر من رمضان من سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وله من العمر سبع وثمانون سنة، وحملت جنازته على رؤوس

---

(١) هكذا، كما في الأعلام للزركلي: ٤ ـ ٨٩.

الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد، وكان يوماً مشهوداً، حتى قيل: إنه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحر، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات:

يـا كثيرَ العفـو يـا مـن كَثُـرَتْ ذنبي لـديـه
جاءك المذنبُ يـرجـو الصـ ـفحَ عـن جُـرم يـديـه
أنـا ضيـفٌ وجـزاءُ الـ ـضيـفِ إحسـانٌ إليـه

وقد كان له من الأولاد الذكور ثلاثة، ومن الإناث عدة منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن مزعلي صاحب مرآة الزمان، وهي من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة، وقد ذكره ابن خلّكان في الوفيات فأثنى عليه وشكر تصانيفه وعلومه.

رحمه الله ونفعنا بعلومه آمين

الشيخ عبد الرحمن ديب الحلو

بسم الله الرحمٰن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أحلّنا محلة الفهم، وحلانا حلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بنطق المنطق. ونعوذ به من كدر صفاء الفكر، وعكر ذهن الذهن. وصلى الله على المبعوث بجوامع الكلم إلى أعقل الأمم وعلى جميع أتباعه والسائرين في منهاج أتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أمـا بعـد: فإن أجلَّ الأشياء موهبة العقل؛ فإنه الآلة في تحصيل معرفة الإلٰه، وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب وتدرك الغوامض وتجمع الفضائل. ولما كان العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل، ويتباينون في تحصيل ما يتقنه من التجارب والعلم أحببت أن أجمع كتاباً في «أخبار الأذكياء» الذين قَوِيَت فطنتهم وتوقَّد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم. وفي ذلك ثلاثة أغراض:

أحدها: معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

والثاني: تلقيح ألباب السامعين إذا كان فيهم نوعُ استعداد لنيل تلك المرتبة، وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب. فسماع أخباره تقوم مقام رؤيته كما قال الرضي:

فـاتني أنْ أرى الديـارَ بِطَـرْفي فلعلّـي أعـي الديـارَ بِسَمْعـي

وقد أنبأنا جماعة من أشياخنا قالوا: أخبرنا مضر بن محمد قال: سمعت يحي

ابن أكثم يقول: سمعت المأمون يقول لإبراهيم: لا شيء أطيب من النظر في عقول الرجال.

والثالث: تأديب ٱلْمُعجَب برأيه إذا سمع أخبار من تعسَّر عليه لحاقه. والله الموفق.

باب
في ذكر تراجم أبواب الكتاب
وهي ثلاثة وثلاثون باباً

الباب الأول: في ذكر فضل العقل.

الباب الثاني: في ذكر ماهية العقل ومحلّه.

الباب الثالث: في بيان معنى الذهن والفهم والذكاء.

الباب الرابع: في ذكر العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي.

الباب الخامس: في سياق المنقول من ذلك عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفِطْنَة.

الباب السادس: في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السالفة.

الباب السابع: في سياق المنقول من ذلك عن نبينا عليه الصلاة والسلام كلمات تدل على قوة الفطنة الفطرية.

الباب الثامن: في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبينا رضي الله عنهم.

الباب التاسع: في بيان المنقول من ذلك عن الخلفاء.

الباب العاشر: في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء.

الباب الحادي عشر: في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والامراء والحجاب والشرطة.

الباب الثاني عشر: في سياق المنقول من ذلك عن القضاة.

الباب الأول

في ذكر فضل العقل

أحاديث في فضل العقل (*)

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد والقزاز قالا: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أنا محمد بن أحمد بن رزق قال: حدثنا جعفر بن محمد الخلدي قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا داود بـن المحبر قال: حدثنا عباد ابن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال: يا أم المؤمنين، أرأيت الرجل يَقِلُّ قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده، أيهما أحب إليك؟ قالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني عنه فقال: «أحسنهما عقلا». قلت: يا رسول الله، أسألك عن عبادتهما فقال: «يا عائشة، إنما يُسألان عن عقولهما، فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة».

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب قال: أخبرنا أحمد بن

(*) قال العلامة ابن قيم الجوزية: **أحاديث العقل كلها كذب**، كقوله: لما خلق الله العقل قال له أقبل... وحديث: إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يجزي إلا على قدر عقله، ثم قال: وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصح في العقل حديث. «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» ص ٦٦.

وعدم ثبوت الأحاديث الواردة في فضل العقل، لا يعني أن الإسلام لا يمجد العقل، فهو مناط التكليف، وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل العقل في غير آية من آياته كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾.

محمد بن غالب قال: أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري قال: حدثنا محمد ابن المسيب قال: حدثنا موسى بن سليمان قال: حدثنا بقية قال: حدثنا عبدالله بن عمرو عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعجبوا بإسلام آمرىء حتى تعرفوا عقدة عقله».

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أخبرنا عبدالقادر بن محمد بن يوسف قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشر قال: أخبرنا علي بن عمر الدارقطني قال: حدثنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر قال: حدثنا جعفر الفريـابي قال: حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق قال: حدثنا الحسن بن يحي الخشني عن أبي عبدالله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له: آكتب. قال: وما أكتب؟ قال: آكتبْ ما يكون وما هو كائن إلى القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لَأُكملنك فيمن أحببت ولَأُنقصنك ممن أبغضت».

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأنماطي قال: أخبرنا أحمد بن الحسين المروزي قال: أنبأنا أحمد ابن الحرث قال: حدثنا جدي محمد بن عبد الكريم: قال: حدثنا الهيثم بن عدي قال حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبدالرحمن بن سابط عن ابن عباس قال: «لما خلق الله العقل قال له: أدبر، فأدبر. ثم قال له: أقبل، فأقبل. قال: وعزتي ما خلقت خلقاً قطُّ أحسن منك فبك أعطي وبك آخذ وبك أُعاقب».

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا داود بن المحبر قال: حدثنا عباد بن كثير عن إدريس عن وهب بن منبه قال: إني وجدت فيما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد

شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته. وقال وهب: لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل؛ لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجبال وأصعب من الحديد، وإنه ليزاوله بكل حيلة فإذا لم يقدر أن يستزله قال: يا ويله[1] ماله ولهذا، لا طاقة لي بهذا ويرفضه. ويتحول إلى الجاهل فيستأسره ويتمكن من قِيَادِهِ حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجلها في عاجل الدنيا كالجلد والرجم والحلق وتسخيم الوجوه والقطع والصلب، وإن الرَّجلين ليستويان في أعمال البر ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدُهما أعقلَ من الآخر.

أنبأنا يحيى بن ثابت عن بندار قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا أبو علي بن دوما قال: أخبرنا محمد بـن جعفر قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال: أنبأنا إسحاق بن بشر القرشي قال: أخبرنا إدريس عن جده وهب بـن منبه أن لقمان عليه السلام قال لآبنه: يا بني، إعقل عن الله عز وجل؛ فإنَّ أعقل الناس عن الله عز وجل أحسنهم عملاً وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده، يا بني، ما عبدالله بشيء أفضل من العقل.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ قال: حدثنا عبيدالله بن محمد العيشي قال: حدثنا وهيب قال: أخبرنا الجريـري عن أبي العلاء عن مطرف أنه قال: ما أُوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.

---

(١) الضمير في قوله: «يا وَيْلَهُ» راجع للشيطان، والمعنى: أن الشيطان يدعو بالوَيْل على نفسه، والويل: الهلاك.

أخبرنا محمد قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله قال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن الطفيل قال: حدثنا محمد بن أبي السري قال: حدثنا داود عن خليد بن دعلج قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال: أخبرنا صاعد بن سيار قال: أخبرنا أحمد ابن سهل الفروجي قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ ـ إجازة ـ قال: أخبرنا الحسن بن أحمد الفقيه قال: أخبرنا محمد بن المسيب قال: أخبرنا عبدالله ابن خبيق قال: حدثنا عبدالله بن ضريس عن أبي زكريا قال: إن الرجل ليتلذذ في الجنة بقدر عقله.

الباب الثاني

في ذكر ماهية العقل ومحله

نقل إبراهيم الحربي عن أحمد بن حنبل أنه قال: العقل غريزة. ومثله عن الحرث المحاسبي.

وروي عن المحاسبي أيضاً أنه قال: هو نور.

وقال آخرون: هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات.

وقال قوم: هو نوع من العلوم الضرورية، وهو العلم بجواز الجائزات وآستحالة المستحيلات.

وقال آخرون: هو جوهر بسيط.

وقال آخرون: هو جسم شفاف.

وسئل أعرابي عن العقل فقال: لبٌّ اغتنمته بتجريب.

وآعلم أن التحقيق في هذا أن يقال هنا: الاسم ـ أعني: العقل ـ ينطلق بالاشتراك على أربعة معانٍ:

أحدها: الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء.

والثاني: ما وضح في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات.

والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً.

والرابع: أن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة.

والناس يتفاوتون في هذه الأحوال إلا في القسم الثاني الذي هو العلم الضروري. وقد شرحنا هذا وذكرنا فضائل العقل في كتابنا المسمى بـ «منهاج القاصدين» وهذه الإشارة تكفي ههنا.

فصل في اشتقاق اسم العقل

وأما اشتقاق هذا الاسم - أعني: العقل - فقال ثعلب: أصله الامتناع. يقال: عقلت الناقة إذا منعتها من السير. وعقل بطن الرجل إذا حبس.

فصل في محله

وأما محله، فنقل الفضل بن زياد عن أحمد أن محله الدماغ. وهو قول أبي حنيفة. وذهب جماعة من أصحابنا إلى أنه في القلب كما يروى عن الشافعي. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (2) أي: عقل. فعبر بالقلب عنه؛ لأنه محله.

---

(1) الآية: ٤٦ - من سورة الحج.

(2) الآية: ٣٧ - من سورة ق.

الباب الثالث

في بيان معنى الذهن والفهم والذكاء

حدّ الذهن: قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء. وحدّ الفهم: جودة التهيُّؤ لهذه القوة. وحد الذكاء: جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل، فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه. وبهذا حددوا الفهم، فإنهم قالوا: حد الفهم: العلم بمعنى القول عند سماعه. وقال بعضهم: حد الذكاء: سرعة الفهم وحدته، والبلادة: جموده. وقال الزجّاج: الذكاء في اللغة تمام الشيء، ومنه الذكاء في السن، وهو تمام السن. ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً سريع القبول. وذكيت النار إذا أتممت إشعالها.

أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء وحدثنا عنه المبارك بن علي قال: أخبرنا القاضي أبو يعلى محمد ين الحسين قال: أخبرنا إسماعيل بن سويد قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: قولهم: فلانٌ ذكي. معناه: كامل الفطنة تامها، من قول العرب: قد ذكت النار تذكو إذا تَمَّ وقودها. ويقال: أذكيتها أنا إذا أتممت وقودها. ويقال: مسكٌ ذكي إذا كان تام الطيب كامل نفاذ الريح.

قال جميل:

صادت فؤادي بعينيها ومُبْتَسَمٌ　　كأنه حين أبدته لنا بَرَدُ
عذبٌ كأنّ ذكيَّ المِسْكِ خالطه　　والزنجبيل وماء الْمُزْنِ والشَّهد

ويقال: قد ذكيت الشاة إذا أتممت ذبحها، وبلغت الحد الواجب فيه.

قال الشاعر:

نَعَمْ هو ذكّاها وأنت أضعتها وألهاك عنها خرفة وفطيم

والعرب تقول: جَرْيُ المذكيات غِلاَب. أي: جري المسان مغالبة. وذلك أن المذكية من الخيل - وهي التي تمت قوتها وشبابها - تحمل على الخشن من الأرض، للثقة بقوتها وصلابتها وأنها ليست كالجذاع والصغار التي تطلب لها الرخاوة من الأرض؛ لضعفها وصغرها، فإنها لا تثبت ثبات المذكيات. وبعضهم يقول: جري المذكيات غلاء. والغلاء: جمع غلوة وهو مدى الرمقة.

قال الشاعر في الذكاء الذي معناه تمام الفطنة:

سهم الفؤاد ذكاؤه ما مثله عند العزيمة في الأنام ذكاء

وقال زهير في الذكاء الذي معناه تمام السن:

يُفَضِّله إذا آجتهدوا عليه تمام السن منه والذكاء

والذكاء في هذين المعنيين ممدود. والذكا: تمام إيقاد النار. مقصور يكتب بالألف قال الشاعر:

وتضرم في القلب آضطراماً كأنه ذكا النار ترفيه الرياح النوافح

ويقال: مسك ذكي ومسك ذكية. والذي يذكر المسك يذكر، والذي يؤنث يقول: ذهبت إلى الرائحة.

أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء:

لقد عاجلتني بالسّباب وثوبها جديد ومن أثوابها المسك تنفح

وقد أراد به رائحة المسك.

قال ابن الأنباري: أخبرني أبي قال: أخبرنا أبو عفان المهزمي قال: المسك والعنبر يؤنثان ويذكران.

الباب الرابع

في ذكر العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي

قال مؤلف الكتاب: هذه العلامات تنقسم قسمين:

أحدهما: من حيث الصورة.

والثاني: من حيث المعنى والأحوالُ والأفعال.

ذكر القسم الأول وهو الاستدلال على عقل العاقل من حيث الصورة

قال الحكماء: الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره. وَمَنْ كانت عينه تتحرك بسرعة وحِدَّة فهو مكار محتال لص. وأحمد العيون الشهل. وإذا لم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة دلت على طبع جيد. وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود. وَمَنْ كان نحيف الوجه، فهو فهم مهتم بالأمور. واللطف في النحاف القصار أظهرُ والمعتدلون في الطول صالحو الحال.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني قال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا الحسين بن علي ابن نصر قال: حدثنا محمد بن عبد الكريم قال: حدثنا الهيثم بن عدي قال: حدثنا ابن عياش قال: حدثني الشعبي حدثني عجلان قال: قال لي زياد: أدخلْ عليَّ

رجلاً عاقلاً. قلت: لا أعرف من تعني؟ قال: لا يخفى العاقل في وجهه وقدّه. فخرجت فإذا أنا برجل حسن الوجه، مديد القامة، فصيح اللسان. قلت: أُدخلْ فدخل، فقال زياد: يا هذا، إني قد أردت مشاورتك في أمر فما عندك؟ قال: إني حاقن ولا رأيَ لحاقن. قال: يا عجلان، أدخله المتوضَّأ، فلما خرج قال: إني جائع ولا رأيَ لجائع. قال: يا عجلان، آئته بالطعام فأُتي به فطعم. ثم قال: سل عما بدا لك فما سأله عن شيء إلا وجـد عنده بعض ما يريد.

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ قال: حدثنا عثمان بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بـن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: مَنْ وُجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين. قيل: ما هي؟ قال: آستواء الخلق، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد.

ذكر القسم الثاني وهو الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال

قال المؤلف: يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب. فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في القضاء، فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة مِنْ مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه.

كلام أبي الدرداء في علامات العاقل

أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا الحسن بـن الحسين دوما قال: أخبرنا مخلد بن جعفر قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال: أخبرنا أبو حذيفة إسحاق بـن بشر القرشي قال: أخبرنا جعفر بن الحرث عن شهر بن حوشب قال: قال أبو الدرداء: «ألا أنبئكم

بعلامة العاقل؟ يتواضع لمن فوقه، ولا يزدري من دونه، يمسك الفضل من منطقه، يخالق الناس بأخلاقهم، ويحتجر الإيمان فيما بينه وبين ربه عز وجل، فهو يمشي في الدنيا بالتقية والكتمان.

كلام لقمان في علامات العاقل العشر

قال القرشي: وأخبرني إدريس عن جده وهب بن منبه أن لقمان قال لآبنه: يا بني ما يَتمُّ عقل امرىء حتى يكون فيه عشر خصال: الكبر منه مأمون والرشد فيه مأمول، يصيب من الدنيا القوت، وفضل ماله مبذول. التواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز. لا يسأم من طلب الفقه طول دهره، ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله. يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه. والخصلة العاشرة التي بها تَمَّ مجدُه وأعلى ذكره، أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه وأنه شرهم، وإن رأى خيراً منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به؛ وإن رأى شراً منه قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا، فهنالك حين استكمل العقل.

قال القرشي: وأخبرني عثمان بن عبدالرحمن عن مكحول أن لقمان قال لابنه: غاية الشرف والسؤدد حسن العقل. ومن حسن عقله غطى ذلك جميع ذنوبه، وأصلح ذلك مساويه، ورضي عنه مولاه.

كلام المهلب بن أبي صفرة في علامات العاقل

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد علي بن ثابت قال أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الوراق قال: حدثنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبدالله المروزي قال: حدثنا شهاب بن الحسن العكبري قال: سمعت الأصمعي يقول: سمعت أبان بن جرير يقول: قال المهلب بن أبي صفرة: يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.

الباب الخامس

في سياق المنقول من ذلك عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة

معلوم أن فطن الأنبياء فوق الفطن. ولكنا أحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من شيء عنهم.

إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم

فمن المنقول عن إبراهيمَ آلخليل عليه الصلاة والسلام: أنبأنا محمد بن عبد الملك قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الحسين بن زرقويه قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى قال: أخبرنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: «لما رأت سارة إبراهيم قد شغف بأم إسماعيل غارت غيرة شديدة، وحلفت لتقطعن عضواً من أعضاء هاجر. فبلغ ذلك هاجر فلبست درعاً وجرت ذيلها ـ فهي أول نساء العالمين جرت الذيل ـ وإنما فعلت ذلك لتعفي أثرها في الطريق على سارة! فقال إبراهيم: هل لك في خير أن تعفي عنها وترضي بقضاء الله عز وجل؟ قالت: وكيف لي بما قد حلفت؟ قال: آخفضيها[1] فتكون سنة النساء وتبر يمينك. قالت: أفعل. فخفضتها، فمضت السنة للنساء بالخفض منها.

---

(١) الخفض للإناث كالختان للذكور.

إسماعيل الذبيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم

أخبرنا عبد الأول قال: أنبأنا الداودي قال: أخبرنا ابن أعين قال: حدثنا الفربري قال: حدثنا البخاري قال: حدثنا عبدالله بن محمد قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكُثَيِّر بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جُبَيْر قال: قال ابن عباس: لما شب إسماعيل، تزوج امرأة من جرهم. فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت: خرج يبتغي لنا! ثم سألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه فقال: فإذا جاء زوجُك فأقرئي عليه السلام وقولي له: يُغَيِّر عتبة بابه! فلما جاء فأخبرته قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، إلحقي بأهلك.

قال المؤلف: وهذا الحديث يدل على فطنة إسماعيل أيضاً.

نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام

ومن المنقول: عن سليمان عليه الصلاة والسلام: أخبرنا عبدالله بن محمد قال: أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: أخبرنا عبدالله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا يونس قال: حدثنا ليث عن محمد ابن أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خرجت آمرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما فأخذتا تختصمان في الصبي الباقي، فآختصمتا إلى داودَ عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى منهما، فمرتا على سليمان عليه السلام فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة فقال: آئتوني بالسكين أشق الغلام بينكما! فقالت الصغرى: أَتشقه؟ قال: نعم! قالت: لا تفعل حظي منه لها. فقال: هو آبنك فقضى به لها. أخرجاه في الصحيحين[1].

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله قال: حدثنا الحسن بن محمد بن علي قال: حدثنا عبد الرحمن

(١) ورواه أحمد والنسائي.

ابن محمد بن إدريس قال: حدثنا أحمد بن سنان قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي قال: سمعت عبدالله بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان عليه السلام إلى مارد من مردة الجن فأتى به، فلما كان على باب سليمان أخذ عوداً فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط فوقع بين يدي سليمان فقال: ما هذا؟ فأُخبر بما صنع المارد. قال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا! قال: يقول: اّصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

أخبرنا محمد بن عبدالباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال أبو هريرة: بينا سليمان بن داود عليه السلام يسعى في موكبه إذ مرّ بآمرأة تصيح بابنها يا لدين، فوقف سليمان وقال: إن دين الله ظاهر. فأرسل إلى المرأة فسألها فقالت: إن زوجها سافر وله شريك فزعم شريكه أنه مات وأوصى إن ولدت غلاماً أن أسميه يالادين. فأرسل إلى الشريك فآعترف أنه قتله فقتله سليمان عليه السلام.

حدثنا عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء رجل إلى سليمانَ النبيّ ﷺ فقال: يا نبي الله، إن لي جيراناً يسرقون إِوَزّي. فنادى: الصلاةَ جامعةً، ثم خطبهم فقال في خطبته: وأحدكم يسرق إوَزّ جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه! فمسح رجل برأسه، فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم.

روح الله المسيح عيسى بن مريم البتول عليها السلام

ومن المنقول عن عيسى عليه السلام: أن إبليس جاء إليه فقال له: ألَسْتَ تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال: بلى. قال: فآرمِ بنفسك من هذا الجبل فإنه إن قُدِّرَ لك السلامةُ تسلم. فقال له: يا ملعون، إنَّ لله عز وجل أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل.

الباب السادس

في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السالفة

لقمان الحكيم عليه السلام

فمن المنقول عن لقمان: حدثنا مكحول أن لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود، وكان قد أعطاه الله تعالى الحكمة، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونش، يعني: نصف مثقال، وكان يعمل له، وكان مولاه يلعب بالنرد يقامر عليه وكان على بابه نهر جار فلعب يوماً بالنرد على أنَّ من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كلّه أو افتدى منه، وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك. قال: فَقُمِر سيد لقمان فقال له القامر: آشربْ ما في النهر، وإلا فآفتدِ منه. قال: فسلني الفداء. قال: عينيك أفقؤهما أو جميع ما تملِك قال: أمهلني يومي هذا. قال: لك ذلك. قال: فأمسى كئيباً حزيناً، إذا جاءه لقمان وقد حمل حُزْمَةً على ظهره فسلم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده - وكان سيده إذا رآه عبث به ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه - فلما جلس إليه قال لسيده: مالي أراك كئيباً حزيناً؟ فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك فأعرض عنه فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فرجاً. فقص عليه القصة فقال له لقمان: لا تغتم فإن لك عندي فرجاً قال له: وما هو؟ قال: إذا أتاك الرجل فقال لك: آشربْ ما في النهر فقل له: أَشْرَبُ ما بين ضفتي النهر أو المد؟ فإنه سيقول لك: آشربْ ما بين الضفتين

فإذا قال لك ذلك فقل له: آحبس عني المدّ حتى أشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد وتكون قد خرجت مما ضمنت له. فعرف سيده أنه قد صدق فطابت نفسه. فلما أصبح جاءه الرجل فقال له: فِ لي بشرطي. قال له: نعم! أَشْرَبُ ما بين الضفتين أو المد؟ قال: لا بل ما بين الضفتين. قال: فآحبس عني المدّ، قال كيف أستطيع؟ قال: فخصمه. قال: فأعتقه مولاه.

حدثنا محمد بن إسحاق قال: قال لقمان لابنه: يا بني؛ إذا أردتَ أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه؛ وإلا فآحذره.

عبدالله بن عامر الأزدي

ومن ذلك ما نقل عن عبدالله بن عامر الأزدي في الاحتيال للسلامة من سيل العرم: حدثنا الضحاك عن ابن عباس ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آية﴾ [1] قال: «كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاءً ولا صيفاً فكفروا ما أنعم الله عليهم فأرسل عليهم سيل ٱلْعَرِمِ فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جُرَذاً [2] له مخاليب وأنياب من حديد، فأول من علم بذلك عبدالله بن عامر الأزدي، فانطلق نحو الردم، فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فآنصرف إلى أهله فأخبر آمرأته وأراها ذلك وأرسل إلى بنيه فقال: هل ترون ما رأينا؟ قالوا: نعم! قال: فإن هذا الأمر ليس لنا إليه سبيل، آضمحلت الحيل فيه لأنَّ الأمر لله وقد أذن في هلاكه فأتى بهرة والجرذ يحفر لا يكترث بالهرة، فلما رأت الهرة ذلك ولت هاربة. فقال عبدالله: آحتالوا لأنفسكم. قالوا: يا أبت، كيف نحتال؟ قال: إني محتال لكم بحيلة، قال: فدعا أصغر بنيه ثم قال له: إذا جلست اليوم في المجلس ـ وكان الناس يجتمعون إليه

(١) الآية: ١٥ ـ من سورة سبإ.

(٢) الجُرَذُ: الذكر من الفأر.

وينتهون إلى رأيه ـ فإذا آجتمعوا أمرتُ أصغركم بأمر فليغفل عنه فإذا شَتَمْتُهُ فليهم إليَّ فليلطمني ولا تتغيروا أنتم عليه، فإذا رأى الجلساء أنكم لم تتغيروا على أخيكم لم يجسرْ أحدٌ منهم أن يتغير عليه، فأحلف أنا عند ذلك يميناً لا كفارةَ لها أن لا أُقيمَ بين أظهر قوم قام إليَّ أصغر بني فَلَطَمَني فلم يتغيروا عليه لذلك. قالوا: نفعل.

فلما راح الناس إليه أمر آبنه ببعض أمره فلهى عنه، ثم أمره فلهى عنه، فَشَتَمَهُ فقام إليه فَلَطَمَ وجهه. فعجبوا من جرأة آبنه فنكسوا رؤوسهم وظنُّوا أنَّ ولده يتغيرون عليه، فلما لم يتغيرْ أحدٌ منهم، قام الشيخ فحلف بأنْ يتحول عنهم ويستبدلَ بداره فلا يقيم بين أظهر قوم لم يتغيروا على آبنه. فقام القوم معتذرين وقالوا: ما كنا ظننا أن ولدك لا يتغيرون فذلك الذي منعنا. قال: قد سبق مني ما ترون وليس إلى غير التحويل سبيل فعرض ضياعه على البيع ـ وكان الناس يتنافسون فيها ـ وآحتمل بثقله وعياله فتحول عنهم. فلم يلبث القوم إلا قليلاً حتى أتى الجرذ على الردم فآستأصله فلم يفاجىء القوم ليلة بعد ما هدأت العيون إذا هم بالسيل قد أقبل فآحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم. وقد جاءت أخبار عن القدماء ستراها في أبوابها إن شاء الله تعالى.

الباب السابع

في سياق المنقول من ذلك عن نبينا ﷺ

كلمات تدل على قوة الفطنة الفطرية

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه فذلك كثير وليس هو مرادنا ههنا، إنما المراد: القسم الأول.

أخبرنا حارثة بن مضرب عن علي عليه السلام قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين: رجلاً من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط. فأما القرشي فأفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم. فجهد ﷺ أن يخبره كم هم فأبى. ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من ٱلْجُزُرِ؟ فقال: عشراً لكل يوم. فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف، كل جَزُور لمائة وتبعهم.

أخبرنا كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ قلّما يريد غزاة يغزوها إلاّ وَرّى (١) بغيرها. أخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا أبو سعيد الخُدْرِيُّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة قال:

---

(١) أي: أوهم غيرها.

« يا أيها الناسُ، إنَّ الله تعالى يُعرِّضُ بالخمر ، ولعلَّ الله سَيُنْزِلُ فيها أمراً ، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به » قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال النبي ﷺ : « إنَّ الله تعالى حرَّم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية [١] وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع » قال: فٱستقبل الناسُ بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها [٢] . انفرد بإخراجه مسلم.

أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: « إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف ».

حدثنا أبو هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن لي جاراً يؤذيني، فقال: « ٱنطلق وأخرج متاعك إلى الطريق » فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: « ٱنطلق وأخرج متاعك إلى الطريق » فجعلوا يقولون: اللَّهُمَّ ٱلْعَنْهُ اللهم ٱخْزِهِ فبلغه فأتاه فقال: ٱرجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك.

حدثنا زيد بن أسلم أن رجلاً قال لحذيفة: يا حذيفة، نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره. فقال حذيفة: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به، ولم تروه والله ما تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون. لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الخندق، في ليلة باردة مظلمة مطيرة وقد نزل أبو سفيان وأصحابه بٱلْعَرْصَةِ [٣] فقال رسول الله ﷺ : « من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة؟ » فما قام منا أحد. ثم قال: « من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة؟ » فوالله ما قام منا أحد. فقال: « من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي

(١) المراد بالآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ الآية: ٩٠ - من سورة المائدة.

(٢) يعني: أهرقوها.

(٣) الْعَرْصَة: البقعة من الأرض ليس فيها بناء.

يوم القيامة؟» فوالله ما قام أحد منا. فقال أبو بكر: يا رسول الله آبعث حذيفة. فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة، فقلت: لبيك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. فقال هل أنت ذاهب؟ فقلت والله ما بي أن أقتل ولكنني أخشى أن أؤسر. فقال: إنك لن تؤسر. فقلت: مُرني يا رسول الله بما شئت. فقال: آذهب حتى تدخل بين ظهراني القوم فأتِ قريشاً فقل: يا معشر قريش إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس؟ فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم، ثم ائت قيساً فقل: يا معشر قيس، إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا أين أحلاس الخيل أين الفرسان؟ فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم...

فآنطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم فجعلت أصطلي معهم على نيرانهم، وجعلت أبث ذلك الحديث الذي أمرني به حتى إذا كان وجاه السحر قام أبو سفيان فدعا اللات والعزى وأشرك ثم قال: لينظر كل رجل من جليسه ومعي رجل منهم يصطلي على النار فوثبت عليه فأخذت بيده مخافة أن يأخذني فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان. فقلت: أولى. فلما دنا الصبح نادوا: أين قريش؟ أين رؤوس الناس؟ فقالوا: هذا الذي أتينا به البارحة. أين بنو كنانة أين الرماة؟ فقالوا هذا الذي أتينا به البارحة فتخاذلوا وبعث الله عليهم تلك الليلة الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا أكفأته حتى لقد رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول، فجعل يسحبه ولا يستطيع أن يقوم. فجئت رسول الله ﷺ فجعلت أخبره عن أبي سفيان فجعل يضحك حتى بدت نواجذُه وجعلت أنظر إلى أنيابه (١).

---

(١) روى البيهقي في «الدلائل» من طريق زيد بن أسلم، أن رجلاً قال لحذيفة: أدركتم رسول الله ﷺ ولم ندركه، فقال: يا ابن أخي، والله لا ندري لو أدركته كيف تكون، لقد رأيتنا ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة... فتح الباري (٧/٤٠٠).

عن عاصم الأحول عن الحسن أنَّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ برجل قد قتل حميماً له فقال له النبي ﷺ: «اتأخذ الدية؟» قال: لا، قال: «أفتعـفو؟» قال: لا، قال: «آذهب فآقتله». فلما جاوزه الرجل قال رسول الله ﷺ: «إنْ قتله فهو مثله». قال: فلحق الرجلَ رجلٌ فقال له: إن رسول الله ﷺ قال كذا، فتركه وهو يجر نسعه[1] في عنقه.

قال ابن قتيبة: لم يُرِدْ رسول الله ﷺ أنه مثله في المأثم، وآستيجاب النار إنْ قتله، وكيف يريد هذا وقد أباح الله عز وجل قتله بالقصاص؟! ولكن كره رسول الله ﷺ أن يقتص وأحب له العفو فعرض تعريضاً أوهمه به أنه إن قتله كان مثله في الإثم ليعفوَ عنه، وكان مراده أنه يقتل نفساً كما قتل الأول نفساً فهذا قاتل وهذا قاتل فقد استويا في قاتل وقاتل إلا أن الأول ظالم والآخرَ مقتص.

قال مؤلف الكتاب: وفي حديث رسول الله ﷺ من هذا كثير خصوصاً في المعاريض فلنقتصر على هذه النبذة.

---

(١) النِّسْع: حبل أو سير من جلد تشد به الرِّحال.

الباب الثامن

في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبينا رضي الله عنهم أجمعين

خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه

فمن المنقول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: حدثنا ثابت عن أنس قال: لما هاجر رسول الله ﷺ كان رسول الله يركب وأبو بكر رديفه [١]، وكان أبو بكر يعرف الطريق لآختلافه إلى الشام فكان يمر بالقوم فيقولون من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هادٍ يهديني.

حدثنا الحسن قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلا قال له: مَنْ هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول: دليل يدلني الطريق. وصدق والله أبو بكر.

حدثنا أبو سعيد قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: «إنَّ الله خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عز وجل». قال: فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به [٢].

---

(١) يركب خلفه على ظهر الدابة.

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والدارمي.

ومن المنقول عن عمرَ بن آلخطاب رضي الله عنه: حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه قال قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فقسمها بين الناس فرأى فيها حلة رديئة فقال: كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحداً لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها ؟ قال: فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه فجعل يقسم بين الناس. قال: فدخل الزبير بن العوام وهو على تلك الحال، قال: فجعل ينظر إلى تلك الحلة. فقال له: ما هذه الحلة؟ قال عمر: دَعْ هذه عنك. قال: ماهيه ماهيه ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطنيها. قال: إنك لا ترضاها، قال: بلى قد رضيتها. فلما توثق منه واشترط عليه أنْ يقبلها ولا يردها رمى بها إليه، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة. فقال: لا أريدها. فقال عمر: أيهات قد فرغت منها فأجازها عليه، وأبى أن يقبلها منه.

حدثنا يزيد بن جرير عن أبيه عن عمر قال له ـ والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم ـ: سر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه. فلما جمعت الغنائم غنائم جَلُولاَء [1] آدعى جرير أن له ربع ذلك كله. فكتب سعد إلى عمر بذلك. فكتب عمر: صدق جرير، قد قلت ذلك له فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جُعْل [2]، فأعطوه جعله. وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم. فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً

(١) جَلُولاَء: بفتح الجيم، بليدة من سواد بغداد بطريق خراسان وبها الوقعة المشهورة في سنة سبع عشرة وكانت تسمى فتح الفتوح لعظم غنائمها.

(٢) الجُعْل: بالضم، ما جُعِل للإنسان من شيء على فعلٍ.

بذلك. فقال جرير: صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به بل أنا رجل من المسلمين.

أخبرنا نافع عن ابن عمر قال: قال: بينما عمر رضي الله عنه جالس إذ رأى رجلاً، فقال: قد كنت مرة ذا فِراسة وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئاً ادعوه لي فدعوه، فقال: هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئاً؟ فقال نعم.

وقد روينا عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يَعُسُّ[1] المدينة بالليل، فرأى ناراً موقَدة في خباء فوقف وقال: يا أهل الضوء، وكره أن يقول يا أهل النار، وهذا في غاية الذكاء.

وروينا عنه أنه قال لرجل: عرس هل كان؟ فقال: لا أطال الله بقاك. فقال عمر: قد علمتم فلم تتعلموا. هلا قلت: لا، وأطال الله بقاك.

الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام: عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فأطراه[2] وكان يبغضه فقال له: إني ليس كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك.

حدثنا عبدالله بن سلمة قال: سمعت علياً يقول بمسكن: لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصرة، وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر. قال: فأتيت أبا مسعود البدريّ فأخبرته فقال: إن علياً يورد الأمور مواردها لا يحسنون

---

(١) يقال: (عَسَّ) (يَعُسُّ) (عَسًّا). إذا طلب أهل الرِّيبَةِ في الليل.

(٢) مدحه وأثنى عليه.

يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست إنما حوله زغيبات أو قال شعيرات.

أخبرنا سماك بن حرب عن حنش بن المعتمر أنَّ رجلين أتيا آمرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع. فلبثا حولاً فجاء أحدُهما إليها فقال: إنَّ صاحبي قد مات فآدفعي إليَّ الدنانيرَ. فأبتْ، وقالت: إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد مِنَّا دون صاحبه فلست بدافعتها إليك. فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه. ثم لبثت حولاً فجاء الآخرُ فقال: آدفعي إليَّ الدنانيرَ. فقالت: إنَّ صاحبك جاءني فزعم أنك مت فدفعتها إليه. فآختصما إلى عمر بن الخطابِ فأراد أن يقضي عليها. فقالت أُنشدك الله أن تقضي بيننا. آرفعنا إلى علي، فرفعها إلى علي وعرف أنهما قد مكرا بها. فقال: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد مِنَّا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإنَّ مالك عندنا فآذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما.

أخبرنا محمد عن أبيه عن علي أنه جيء برجل حلف فقال: آمرأته طالق ثلاثاً إن لم يطأها في شهر رمضانَ نهاراً. فقال: تسافر بها ثم لتجامعها نهاراً.

الإمام الحسن بن علي عليهما السلام

ومن المنقول عن الحسن بن علي عليهما السلام: قال مؤلف الكتاب: قرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل، قال لَمَّا جيء بآبن ملجم إلى الحسن قال له: أريد أن أسارك بكلمة. فأبى الحسن، وقال: إنه يريد أن يعض أُذُني فقال آبن ملجم: والله لو مكنني منها لأخذتها من صماخه.

قال ابن عقيل: آنظر إلى حُسْن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق وتقصيه إلى هذا الحد. وآنظر إلى ذلك اللعين كيف لم يشغلْه حاله عن آسترداد غشه.

الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

ومن المنقول عن الحسين عليه السلام: أخبرنا إبراهيم بن رباح الموصلي قال: يُروى أنَّ رجلاً آدعى على الحسين بن علي مالاً وقدَّمه إلى القاضي فقال الحسين: ليحلف على ما آدعى ويأخذه. فقال الرجل: واللهِ الذي لا إلٓه إلا هو. فقال: قل: واللهِ واللهِ واللهِ إنَّ هذا الذي تدعيه لك قبلي. ففعل الرجل وقام فآختلفتْ رجلاه وسقط مَيْتاً. فقيل للحسين في ذلك فقال: كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه.

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

ومن المنقول عن العباس عليه السلام: أخبرنا أبو رزين قال: سئل العباس أنت أكبر أم النبي ﷺ؟ فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

أخبرنا عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك العير ليس دونها شيء. فناداه العباس بن عبد المطلب ـ وهو أسير في وِثَاقه [1] ـ أنه لا يصلح لك. قال: وَلِمَ؟ قال: لأنَّ الله تعالى إنَّما وعدك إحدى آلطائفتين وقد أعطاك ما وعدك.

أخبرنا مجاهد قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ وجد ريحاً فقال: لِيَقُمْ صاحبُ هذه الريح فليتوضأ. فآستحيا آلرجل، ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فإن الله لا يستحي من آلحق. فقال العباس: ألا نقوم يا رسول الله كلنا فنتوضأ.

قال المؤلف: هكذا رواه الفريابي عن الأوزاعي مرسلاً ووصله عنه محمد بن مصعب القرساني فقال عن مجاهد عن ابن عباس.

(١) الوِثاق، (بفتح الواو وكسرها): القيد والحبل ونحوه.

وقد جرى مثل هذه القضية عند عمر رضي الله عنه. عن الشعبي أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبدالله. فوجد عمر ريحاً فقال: عزمت على صاحب هذه الريح إلا قام فتوضأ. فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أَوَ يَتَوَضَّأُ ٱلقوم جميعاً؟ فقال عمر: ـ رحمك الله ـ نِعْمَ السيدُ كنت في الجاهلية، ونِعْمَ السيد أنت في الإسلام.

عبد الله بن جعفر رضي الله عنه

ومن المنقول عن عبدالله بن جعفر: أخبرنا أبو مليكة قال: قال ابن الزبير لابن جعفر: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وآبن عباس؟ فقال نعم فحملنا وتركك. أخرجاه في الصحيحين.

وقد رُوي لنا هذا بالعكس عن عبدالله بن أبي مليكة قال: قال عبدالله بن جعفر لابن الزبير: أتذكر إذ تلقينا رسولَ الله ﷺ أنا وأنت وآبن عباس؟ قال نعم فحملنا وتركك. انفرد بإخراج هذا مسلم.

قال مؤلف الكتاب: والظاهر أنه آنقلب على الراوي، وعلى هذا تكون الغبطة [1] لابن الزبير.

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

ومن المنقول عن عبدالله بن رواحة: حدثنا عكرمة مولى ابن عباس أنَّ عبدالله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأة فخرج إلى ٱلْحُجْرَةِ فواقع جارية له فاستنبهت المرأة فلم تَرَهُ فخرجت فإذا هو على بطن الجارية فرجعت فأخذت شفرة فلقيها ومعها الشفرة فقال لها: مَهْيَمْ [2]، فقالت: مَهْيَمْ أَمَا إني لو

---

(١) أي: حُسْنُ الحال.

(٢) كلمة يقولها الشخص ومعناها: ما أمرك، وما الذي أنت فيه.

وجدتك حيث كنت لـوجأتك بها، قال: وأين كنت؟ قالت: على بطن الجارية، قال: ما كنت. قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ نهى أنْ يقرأ أحدُنا القرآن وهو جنب، فقالت: آقرأ. فقال:

أتـانـا رسـول الله يتلـو كتـابـه ... كما لاح منشور من الصبـح سـاطـع
أرانـا الهدى بعـد العمـى فقلـوبنـا ... بـه مـوقنـات أنَّ مـا قـال واقـع
يَبيـت يجافي جنبـه عـن فـراشـه ... إذا آستثقلت بالكافريـن المضـاجـع

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري، قال: فغدوت إلى النبي ﷺ فأخبرته فضحك حتى بَدَتْ نواجذه.

محمد بن مسلمة رضي الله عنه

ومن المنقول عن محمد بن مسلمة: عن عمرو بن دينار سمع جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: مَنْ لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقال لـه محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أنا له يارسول الله فآئذن لي أن أقول، قال: قل، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إنّ هذا الرجل قد أخذنا بالصدقة وقد عنانا وقد مللنا منه، قال الخبيث لما سمعها: والله لتملنه أو لتملن منه وقد علمت أن أمركم سيصير إلى هذا. قال: إنَّا لا نستطيع أن نسلمه حتى ننظر ما يفعل وإنَّا نكره بعد أن تبعناه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد جئت لتسلفني تمراً؛ قال: نعم على أن ترهنوني نساءكم، قال محمد: أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فأولادكم، قال: فيعير الناس أولادنا بأنَّا رهناهم بِوَسْقٍ [1] أو وسقين، وربما قال: فيسب آبن أحدنا فيقال: رهن بوسق أو وسقين، قال: فأي شيء ترهنوني؟ قال: نرهنك اللامة - يعني: السلاح - قال نعم. فواعده أن يأتيه فرجع محمد إلى أصحابه، فأقبل وأقبل معه أبو نائلة

(١) الوَسْقُ: حِمْلُ بعير.

ـ وهو أخو كعب من الرّضاعة ـ وجـاء معـه بـرجلين آخـريـن، فقـال إني مستمكن من لمته[1] فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل. فجاءوه ليلاً فأمر أصحابه فقاموا في ظل النخل، وأتاه محمد فناداه فقالت امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. فنزل إليه ملتحفاً في ثوب واحد وينفح منه ريح الطيب. فقال محمد: ما أحسنَ جسدك وأطيبَ ريحك. قال: إنَّ عندي ابنة فلان وهي أعطر العرب. قال أفتأذن لي أن أشمه! قال: نعم. قال: فأدخل محمد يده في رأسه فَشَمَّهُ، ثم قال: أتأذن لي أن أشمه أصحابي! قال: نعم. قال: فأدخلها في رأسه ثم شبك يده في رأسه قبضاً ثم قال لأصحابه: دونكم عدو الله فخرجوا عليه فقتلوه ثم أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره.

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من اليهود ليقتله. فقال: يا رسول الله، إني لن أستطيع ذلك إلاّ أنْ تأذنَ لي. فقال رسول الله ﷺ: « إنما الحرب خدعة[2]، فآصنع ما تريد ».

قال مؤلف الكتاب: قلت: وقد روينا عن الضحاك في اغتيالهم أبا رافع اليهودي ما يقارب هذه القصة فلم نَرَ التطويل بذكرها.

---

(١) اللِمَّة: الشعر الذي يجاور شَحمة الأُذن.

(٢) الحرب خدعة. قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: فيها ثلاث لغات مشهورات، آتفقوا على أن أفصحهن خدعة بفتح الخاء وإسكان الدال. قال ثعلب وغيره: وهي لغة النبي ﷺ. والثانية: بضم الخاء وإسكان الدال. والثالثة: بضم الخاء وفتح الدال.

قال: وآتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل...

شرح مسلم للنووي جـ: ٤٥/١٢.

سويبط بن سعد بن حرملة البدريّ

ومن المنقول عن سويبط بن سعد بن حرملة وقد شهد بدراً: عن وهب ابن عبدالله بن زمعة قال: أخبرتنا أم سلمة قالت: خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبل موت رسول الله ﷺ بعام، ومعه نعيمان وسويبط ابن حرملة، وكانا قد شهدا بدراً، وكان نعيمان على الزّاد [1]، وكان سويبط رجلا مزّاحاً [2] فقال لنعيمان: أطعمني. قال: حتى يجيء أبو بكر، قال أمّا لأغيظنك. قال: فمروا بقوم فقال لهم سويبط: أتشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم. قال: إنه عبد له كلام وهو قائل لكم إني حرّ فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا عليّ عبدي. قالوا: لا بل نشتريه منك، قال فاشتروه بعشر قلائص، قال ثم أتوه فوضعوا في عنقه عِمامة أو حبلاً فقال نعيمان: إنّ هذا يستهزىء بكم إني حر ولست بعبد. فقالوا: أخبرنا بخبرك. فانطلقوا به فجاء أبو بكر فأخبره بذلك فأتبع القوم فرد عليهم القلائص وأخذ نعيمان فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه فضحك النبي ﷺ وأصحابه منه حولاً.

كاتب وحي رسول الله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

ومن المنقول عن معاوية بن أبي سفيان: أخبرنا المدائني عن ربيعة بن ناجد قال: قيل لمعاوية بن أبي سفيان: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما وثقت بأحد قط.

وقال ثعلب: نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمحها فاستوت، ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت، فقال

---

(١) ما يتزود به الإنسان من طعام وشراب لسفره.

(٢) كثير المزاح.

له رجل من أصحابه: أهذا كنت دبرته من زمن عثمان؟ فقال: هذا والله كنت دبرته منذ زمن عمر رضي الله عنهم.

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا أنَّ رجلاً جاء إلى حاجب معاوية فقال له: قل له على آلباب أخوك لأبيك وأمك، ثم قال له: ما أعرف هذا؟ ثم قال: آئذن له فدخل فقال له: أي الإخوة أنت؟ فقال: آبن آدم وحواء. فقال: يا غلام، أعطه درهماً. فقال: تعطي أخاك لأبيك وأمك درهماً. فقال: لو أعطيت كل أخ لي مِنْ آدم وحواء ما بلغ إليك هذا.

صاحب سرّ رسول الله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

ومن المنقول عن حذيفة بن اليمان: حدثنا كعب القرظي قال: قال فتى مِنَّا لحذيفة: رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: واللهِ لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض. قال حذيفة: دعاني رسول الله ﷺ ونحن بالخندق قال: آذهب فآجلس في القوم فانظر ماذا يفعلون، فذهبت فدخلت في القوم - والريح جنود الله عز وجل تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا ماء - فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشرَ قريش، لينظر كل آمرىء مَنْ يُجالس. فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان.

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

ومن المنقول عن المغيرة بن شعبة: عن أبي إسحاق عن أبي الخليل قال: أخبرنا علي قال: كان للمغيرة رمح فكنا إذا خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خرج به معه فيركزه فيمر الناس عليه فيحملونه فقلت: لئن أتيت على النبي ﷺ لأُخبرنّه، فقال: إنك إن فعلت لم ترفع ضالة.

حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه آستعمل

المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه، قال: فعزل عنهم، قال: فخافوا أن يرد عليهم فقال دِهْقَانُهُمْ[1] إن فعلتم ما آمركم لم يرد علينا، قالوا: مرنا بأمرك. قال: تجمعون مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر وأقول: إنَّ المغيرة اختان هذا فدفعه إليَّ. قال فجمعوا له مائة ألف درهم، قال فأتى عمرَ فقال: إنَّ المغيرة آختان[2] هذا ودفعه إليَّ قال: فدعا عمرُ المغيرةَ فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب ـ أصلحك الله ـ إنما كانت مائتي ألف! قال: فما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة. قال: فقال عمر للعِلْج[3]: ما تقول؟ قال: لا والله لأصدقنَّك ـ أصلحك الله ـ، واللهِ ما دفع إليَّ قليلاً ولا كثيراً. قال: فقال عمرُ للمغيرةَ: ما أردتَ إلى هذا آلْعِلْج؟ قال: الخبيث كذب عليَّ فأحببت أن أُخزيه.

حدثنا مسلم بن صبيح الكوفي قال: سمعت أبي يقول: خطب المغيرة بن شعبة وفتىً من العرب آمرأة، وكان الفتى طريراً جميلاً فأرسلت إليهما المرأةُ فقالت: إنكما قد خطبتماني، ولست أجيب أحداً منكما دون أن أراه وأسمع كلامه فآحضرا إنْ شئتما. فحضرا فأجلستْهما بحيث تراهما، وتسمع كلامهما. فلما رآه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها وعلم أنها لن تؤثره عليه، فأقبل على الفتى فقال له: لقد أوتيت جمالاً وحسناً وبياناً فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم فعدد محاسنه ثم سكت. فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال: ما يسقط عليَّ منه شيء وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة. فقال له المغيرة: لكنني أضع آلْبَدْرَةَ[4] في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما يريدون فما أعلم بنفادها، حتى

(١) رئيسهم.

(٢) الاختيان من الخيانة.

(٣) الرجل الضخم من كفار العجم، وبعض العرب يطلق «آلْعِلْجَ» على الكافر مطلقاً.

(٤) البَدْرَة: عشرة آلاف درهم.

يسألوني غيرها. فقالت المرأة: واللهِ لَهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليّ من هذا الذي يُحصي عليّ مثل صغير الخردل. فتزوجت ٱلمغيرة.

فاتح مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه

ومن المنقول عن عمرو بن العاص: قال ابن الكلبي لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزّة، فبعث إليه علجها أن أرسل إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه، ففكر عمرو فقال: ما لهذا العلج أحد غيري. فقام حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط فقال له العلج: حدثني هل من أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هواني عندهم إذ بعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني فلا يدرون ما تصنع بي. قال: فأمر له بجائزة وكسوة وبعث إلى البواب إذا مر بك فٱضربْ عنقه وخُذْ ما معه. فمر برجل من النصارى من غسان فعرفه فقال: يا عمرو، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج. فرجع فقال له الملك: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي فأَرَدْتُ أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد! قال: صدقت، أَعجلْ بهم وبعث إلى البواب: خَلِّ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت حتى إذا أَمن قال: لاعدت لمثلها أبداً. فلما صالحه عمرو دخل عليه العلج فقال له: أنت هو؟ قال على ما كان من غدرك.

خزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه

ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت: عن الزهريِّ قال: أخبرنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أنَّ عمه حدثه أنَّ النبي ﷺ آبتاع فرساً من أعرابي فٱستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون الفرس لا يشعرون أنَّ النبيَّ ﷺ آبتاعه حتى زاد

بعضهم للأعرابي في آلسَّوْمِ على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فآبتعه وإلاَّ بعته. فقام النبي ﷺ فقال: أليسَ قد ابتعته منك؟ قال: لا. فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هَلُمَّ شهيداً يشهد أني قد بايعتك. فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إنَّ النبيَّ ﷺ لا يقول إلا حقاً حتى جاء خزيمة فآستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيداً يشهد أني قد بايعتك. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بِمَ تشهد؟ فقال: بتصديقك يارسول الله. فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لخزيمة: لِمَ تشهد ولم تكن معنا؟ قال: يا رسول الله، أنَا أُصدقك بخبر السماء، أفلا أصدقك بما تقول؟!

الحجاج بن علاط رضي الله عنه

ومن المنقول عن الحجاج بن علاط: عن معمر بن ثابت البناني قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله، إنَّ لي بمكة مالاً وإنَّ لي بها أهلاً وإني أريد أنْ آتيهم فأنا في حل إنْ أنا نلت منك أو قلت شيئاً. فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء. فأتى آمرأته حين قدم فقال: آجمعي لي ما كان عندك فإني أريد أنْ أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد آستبيحوا وأصيبت أموالهم. وفشا ذلك في مكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون سروراً وفرحاً. قال: وبلغ الخبر العباس بن عبدالمطلب فعقر [1] وجعل لا يستطيع أن يقوم. قال معمر وأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال: فأخذ آبناً له كان يُشبه برسول الله ﷺ فقال له: قم، وآستلقِ فوضعه على صدره وجعل

(١) أي: لم يقوَ على القيام من الفَرَق والدَّهَش.

يقول: حي قثم ذي الأنف الأشم. ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط فقال له: ويلك، ماذا جئت به وماذا تقول؟ ما وعد الله خيرٌ مما جئت به. قال: فقال الحجاج بن علاط: آقرأ على أبي الفضل السلام وقل له ليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره. قال: فجاء غلامه فلما بلغ الباب قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحاً حتى قَبَّلَ عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه.

قال: ثم جاء العباس فأخبره أن رسول الله ﷺ قد آفتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى صفية بنتَ حُيَيّ واتخذها لنفسه وخيرها بين أن يعتقها وتكون زوجة أو تلحق بأهلها فآختارت أن يعتقها وتكون زوجة ولكني جئت لمالي كان ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فآستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت فآحف عني ثلاثاً ثم آذكر ما بدا لك. قال: فجمعت آمرأته ما كان عندها من حُلي ومتاع فدفعته إليه ثم آنشمر به. فلما كان بعد ثلاثة أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنْ قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك. قال: أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمدالله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه فإن كان لك حاجة في زوجك فآلحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً. قال: فإني والله صادق والأمر على ما أخبرتك.

قال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل. قال: لم يصبني إلا خير بحمد الله. لقدأخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت سهام الله فيهم وآصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً وإنما جاء ليأخذَ مالَه وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب. فردَّ اللهُ الكآبةَ التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ممن كان دخل بيته مكتئباً حين دخل أبو الفضل العباس

فأخبرهم الخبر فَسُرَّ المسلمون وردَّ الله تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين.

نعيم بن مسعود رضي الله عنه

ومن المنقول عن نُعيم بن مسعود قال: أخبرنا ابن إسحاق قال: بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى نُعيم بن مسعود رسولَ الله ﷺ فحدثني رجل عن عبدالله بن كعب بن مالك قال: جاء نُعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحدٌ من قومي مرني أمرك. فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت مِنَّا رجل واحد، فحدث عنَّا ما آستطعت فإنما الحرب خَدْعَة. فآنطلق نُعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم: يا معشرَ قريظة ـ وكان لهم نديماً في الجاهلية ـ: إني لكم نديم وصديق قد عرفتم ذلك، قالوا: صدقت، فقال: تعلمون واللهِ ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة إنَّ البلد لبلدكم، به أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم، وإنَّ قريشاً وغطفان بلادهم غيرها وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم، فإنْ رَأَوْا فرصة آنتهزوها وإنْ رَأَوْا غيرَ ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم وخلوا بينكم وبين الرجل، فلا طاقةَ لكم به، فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم تستوثقون به، ولا تبرحوا حتى تناجزوا محمداً. فقالوا: لقد أشرت برأي ونصح. ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشرافَ قريش فقال: ما معشرَ قريش، إنكم قد عرفتم وُدِّي إياكم وفراقي محمداً ودينه، وإني قد جئتكم بنصيحة فآكتموا عليَّ، فقالوا: نفعل، ما أنت عندنا بمتهم، فقال: تعلمون أنَّ بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا إليه: ألاَ يرضيك أنْ نأخذَ لك من آلقوم رهناً من أشرافهم فندفعهم إليك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك. فقال: بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم فلا تعطوهم رجلاً واحداً فآحذروا. ثم جاء غطفان فقال: يا معشر

غطفان، قد علمتم أني رجل منكم. قالوا: صدقت. فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش. فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش أنَّ أبا سفيان يقول لكم: يا معشر يهود، إن ٱلْكُرَاع [1] والخفَّ قد هلكا، وإنَّا لسنا بدار مقام فٱخرجوا إلى محمد حتى نناجزه [2]. فبعثوا إليه: إنَّ اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا ـ مع ذلك ـ بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمداً. فقال أبو سفيان: قد واللهِ حذَّرنا نُعيم، فبعث إليهم أبو سفيان: إنَّا لا نعطيكم رجلاً واحداً، فإنْ شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا، وإنْ شئتم فٱقعدوا. فقالت يهود: هذا واللهِ الذي قال لنا نُعيم، واللهِ ما أراد القوم إلا أن يقاتلوا محمداً فإن أصابوا فرصة ٱنتهزوها، وإلا مضوا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل، فبعثوا إليهم: إنَّا واللهِ لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا فبعث الله تعالى الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان فخذلهم الله عز وجل.

الأشعث بن قيس رضي الله عنه

ومن المنقول عن الأشعث بن قيس: عن ٱلهيثم عن عدي قال: أخبرنا ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ٱبنه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني فقال فوقي أمير ذو إمرة ـ يعني: أمها ـ فقال: قم فَـوَامِرْهـا [3]. فخرج من عنده ولقيه الأشعث بن قيس بالباب فأخبره الخبر فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها فيقول ٱبن رسول الله وابن أمير المؤمنين ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها. قال: وَمَنْ

(١) قال ابن فارس: الكراع من الدَّوابِّ ما دون الكعب، ومن الانسان ما دون الرُّكبة. المصباح المنير مادة «كرع» والكراع: ٱسم يجمع الخيل.

(٢) نُبَارِزَهُ.

(٣) فشاورها.

ذلك؟ قال محمد بن الأشعث. قال: قد زوجته، ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، خطبت على الحسن آبنة سعيد؟ قال: نعم. قال: فهل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتمّ منها جمالاً وأكثر مالاً؟ قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس. قال: قد قاولنا رجلاً. قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل. قال: إنه قد فارقني ليوامرَ أمها. فقال: قد زوجها من محمد بن الأشعث. قال: متى؟ قال: الساعة بالباب. قال: فزوج الحسن جعدة. فلما لقي سعيدٌ الأشعثَ قال: يا أعور، خدعتني. قال: أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في ابن رسول الله ﷺ أَلَسْتَ أحمق؟! ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد، ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلاّ على أردية[1] قومي فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث.

وحشي بن حرب رضي الله عنه

ومن المنقول عن وحشي بن حرب: عن عبدالله بن الفضل عن سليمان بن يسار قال: حدثنا جعفر بن عمرو الضمري قال: خرجت مع عبيدالله بن عدي ابن الخيار فقال لي هل لك في وحشي فجئنا حتى وقفنا عليه فسلمنا فرد السلام وعبيدالله معتجر[2] بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيدالله: يا وحشي، أتعرفني؟ فنظر إليه ثم قال: لا والله إلاّ أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلاماً فآسترضعه فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فكأني نظرت إلى قدميه.

---

(١) جمع رداء.

(٢) اسم فاعل من «اعتجر» أي: لف العمامة على رأسه.

الباب التاسع

في سياق المنقول من ذلك عن الخلفاء رضي الله عنهم

قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا طرفاً عن أبي بكر الصديق وعمر وعلي والحسن والحسين ومعاوية وابن الزبير ونحن نذكر طرفاً مما نُقِلَ إلينا عمن بعدهم من الخلفاء، والله الموفق.

عبد الملك بن مروان

فمن المنقول عن عبد الملك بن مروان: أخبرنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: وجَّه عبد الملك بن مروان عامراً الشعبي إلى مَلِك الروم في بعض الأمر له، فآستكثر الشعبي فقال له: مِنْ أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا. فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حَمَّلَهُ رقعة لطيفة، وقال: إذا رجعت إلى صاحبك فأبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فآدفع إليه هذه الرقعة. فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر ما آحتاج إلى ذكره ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حَمَّلَني إليك رُقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حملني فدفعها إليه ونهض، فقرأها عبد الملك قال: فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال: فيها «عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا» أفتدري لِمَ كتب إليَّ بمثل هذا؟ فقال: لا. فقال: حسدني عليك فأراد أن يغريني بقتلك. فقال الشعبي: لو كان رآك يا أمير المؤمنين، ما

استكثرني فبلغ ذلك ملك الروم ففكر في عبد الملك فقال: لله أبوه، والله ما أَرَدْتُ إلاَّ ذلك.

هشام بن عبد الملك

ومن المنقول عن هشام بن عبد الملك: قال هشام لمؤدب ولده: إذا سمعت منه الكلمة ٱلْعَوْرَاءَ (١) في المجلس بين جماعة، فلا تؤنبه لتخجله وعسى أن ينصر خطأه فيكون نصره للخطأ أقبحَ من آبتدائه به ولكن آحفظها عليه فإذا خلا فرده عنها.

أبو العباس السفاح

ومن المنقول عن السفاح: أخبرنا سعيد الباهلي عن أبيه قال: حدثني مَنْ حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما كان ببني هاشم والشيعة ووجوه الناس، فدخل عبدالله بن حسين بن حسن ومعه مصحف فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنا حقنا آلذي جعله الله لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس أن يَعْجَلَ السفاح بشيءٍ إليه ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم أو يَعْيَا (٢) لجوابه فيكون ذلك نقصاً عليه وعاراً، فأقبل إليه غير مغضب ولا منزعج فقال: إنَّ جدك علياً كان خيراً مني وأعدلَ، وُلِّيَ هذا الأمرَ فأعطى جديك الحسن والحسين وكان خيراً منك شيئاً وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك. فما رد عبدالله إليه جواباً وآنصرف والناس يعجبون من جوابه له.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: أول خُطْبَةٍ خطبها السفاح في قرية يقال

---

(١) الكلمة القبيحة، وهي السَّقْطَة.

(٢) يَعْجِز.

لها « العباسية » فلما صار إلا موضع الشهادة من الخطبة، قام رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف فقال: أذكرك الله الذي ذكرته إلاَّ أنصفتني من خصمي، وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف. فقال له: ومن ظلمك؟ قال: أبو بكر اَلَّذي منع فاطمة فَدَكاً[1]. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم! قال: مَنْ؟ قال: عمر. قال: فأقام على ظلمكم؟ قال: نعم! قال: وهل كان بعده أحدٌ؟ قال: نعم! قال: مَنْ؟ قال: عثمان. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم! قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم! قال: مَنْ؟ قال: علي. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: فأسكت[2] الرجل وجعل يلتفت إلى ورائه يطلب مَخْلَصاً فقال له: واللهِ الذي لا إلٓه إلا هو لولا أنه أول مَقام قمته ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه عيناك، أُقعد وأَقبل على الخُطْبَة.

أبو جعفر المنصور

ومن المنقول عن المنصور: قال إسماعيل بن محمد: دخل ابن هرمة على أبي جعفر فأنشده. فقال: سَلْ حاجتك، قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني

---

(١) فَدَك: وهي بفتح الفاء والمهملة بعدها كاف، بلد بينها وبين المدينة ثلاث مراحل [والمرحلة المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم] وكان من شأنها ما ذكر اصحاب المغازي قاطبة: أن أهل فدك كانوا من يهود، فلما فتحت خيبر أرسل أهل فدك يطلبون من النبي ﷺ الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا. (راجع الفتح: ٦/١٥١ - ١٥٢).
أما عن قصة فاطمة مع أبي بكر في شأن هذه البلدة، فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضهما من فدك، وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال. قال أبو بكر: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلاّ صنعته. قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت.
ثم تنازعها علي والعباس في خلافة عمر، فسلمها عمر لها.
فلما كان عثمان تصرف في فدك بحسب ما رآه.

(٢) سَكَنَ.

سكران لا يحدني! قال: هذا حد ولا سبيلَ إلى إبطاله. قال: مالي حاجة غير ذلك. قال: ٱكْتُبْ إلى عاملنا بالمدينة مَنْ أتاك بٱبن هرمة وهو سكران فٱجلده ثمانين وٱجلد الذي جاء به مائة. قال: فكان ٱلشُّرَطُ [١] يمرون به وهو سكران فيقولون: مَنْ يشتري ثمانين بمائة؟! فيمرون ويتركونه.

وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات، فأرسل مَنْ أتاه به فسأله عن حاله فأخبره الرجل أنَّه خرج في تجارة فأفاد مالا وأنه رجع بالمال إلى منزله فدفعه إلى أهله، فذكرت ٱمرأته أن المال سرق من بيتها ولم تَرَ نَقْباً ولا تسليقاً، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة. قال: أفبكراً تزوجتها؟ قال: لا. قال: فلها ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فَشابّةٌ هي أم مُسِنَّةٌ؟ قال: بل حديثة [٢]. فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذه له حادّ الرائحة غريب ٱلنوع فدفعها إليه وقال له: تطيب من هذا الطيب، فإنه يذهب همك. فلما خرج ٱلرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته: لِيَقْعُدْ على كل باب من أبواب المدينة واحدٌ منكم، فمن مرَّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب - وأشْمَمَهُمْ منه - فليأتني به. وخرج ٱلرجل بٱلطيب، فدفعه إلى امرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه - وقد كانت دفعت المال إليه - فقالت له: تطيب من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومرَّ مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فشم ٱلْمُوَكَلُ بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: مِنْ أين ٱستفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة؟ قال: ٱشتريته! قال: أخبرنا ممن ٱشتريته فتلجلج [٣] الرجل

(١) أعوان السلطان.

(٢) فتية.

(٣) اللجلجة والتلجلج: التردد في الكلام.

وخلط كلامه. فدعا المنصور صاحب شرطته فقال له: خُذْ هذا الرجلَ إليك فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فَخَلِّهِ يذهب حيث شاءَ، وإن آمتنع فآضربه ألف سوط من غير مؤامرة. فلما خرجا من عنده دعا صاحب شرطته فقال: هول عليه وجرده ولا تقومنَّ بضربه حتى تؤامرني. فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه، أَذْعَنَ[1] برد الدنانير وأحضرها بهيئتها. فأعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير فقال له: أرأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيأتها أتحكمني في آمرأتك؟ قال: نعم! قال: فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك، وأخبره خبرها.

عن يعقوب بن جعفر أنه قال: ومما يعرف ويؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل مدينة فقال للربيع: آطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس فإني أحب أن أعرف ذلك، فجاء برجل يعرفه إلا أنه لا يبدؤه حتى يسأله المنصور، فلما فارقه أمر له بألف درهم فطالب بها الرجل الربيع فقال: ما قال لي شيئاً وأنا أهب لك ألفاً من عندي وسيركب فاذكره، فركب معه، فجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعاً للكلام فلما أراد المنصور أن يفارقه قال له الرجل شعراً:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم   مذقُ اللِّسان يقول ما لاَ يفعلُ

ثم إنه أراد الإمضاء فضحك وقال: يا ربيع، أعطه الألف درهم الَّذي وعدته وألفاً آخر.

وعن مبارك الطبري قال: سمعت أباعبيدالله يقول: خلا أبو جعفر يوماً مع يزيد بن أبي أُسيد فقال: يا يزيد، ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال: أرى أن تقتله وتقرب إلى الله بدمه فوالله لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي. قال: فنفر مني نفرة ظننت أنه سيأتي عليَّ ثُمَّ قال: قطع الله لسانك وأشمت بك عدوك

(١) انقاد ولم يستعص.

أتشير عليَّ بقتل أنصر الناس لنا، وأثقلهم على عدونا. أمَا والله لولا حفظي لما سلف منك، وأن أعدها هفوة من هفواتك لضربت عنقك قم لا أقام الله رجليك! قال: فقمت وقد أظلم بصري وتمنيت أن تسيخ الأرض بي، فلما كان بعد قتله قال لي: يا يزيد، أتذكر يوم شاورتك؟ قلت: نعم! قال: فوالله لقد كان ذلك رأياً وما لا أشك فيه ولكن خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي.

المهدي محمد بن عبد الله المنصور

ومن المنقول عن المهدي: عن القاسم بن محمد بن خلاد عن علي بن صالح قال: كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبد الله القاضي فأراد أن يبخره، فقال للخادم على رأسه: هاتِ عوداً للقاضي فجاء الخادم بالعود الذي يَلهى به، فوضعه في حِجْرِ[1] شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أخذه صاحب ٱلْعَسَسِ[2] ٱلبارحة، فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي، فقال: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فكسره، ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: آضمن ما تلف بقضيته.

حدثنا محمد بن الفضل قال: أخبرنا بعض أهل الأدب عن حسن الوصيف قال: قعد المهدي قعوداً عاماً للناس، فدخل رجل وفي يده نعل ملفوفة في منديل فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك، فقال: هاتها، فدفعها إليه فقبّل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم، فلما أخذها وآنصرف قال لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ

(١) حِضْن.
(٢) ٱلْعَسَسُ: الذين يطوفون للسلطان ليلاً.

لم يرها فضلاً عن أن يكون لَبِسَهَا، ولو كذبناه قال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردها عليَّ وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة ميلها إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي، وإن كان ظالماً فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح.

أبو العباس المأمون بن الرشيد

ومن المنقول عن المأمون ـ رحمه الله ـ: قال المبرد: حدثني عمارة بن عقيل قال ابن أبي حفصة الشاعر: أعلمت أن أمير المؤمنين ـ يعني: المأمون ـ لا يبصر آلشِّعْرَ؟ فقلت: من ذا يكون أفرس منه وإنَّا لننشد أول البيت فيسبق إلى آخره من غير أن يكون سمعه! قال: فإني أنشدته بيتاً أجدت فيه فلم أره تحرك له وهذا البيت:

أضحى امامُ الهدى المأمونُ مشتغلاً   بالدين والناسُ بالدنيا مَشَاغِيلُ

فقلت له: ما زدته على أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها مُسَبِّحَة، فمن يقوم بأمر آلدنيا إذا كان مشغولاً عنها وهو المطوق لها؟ ألا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد:

فَلاَ هو في الدُّنيا مُضَيِّعٌ نصيبَه   ولا عَرَض الدُّنيا عن الدِّين شاغلُه

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا أن حسناً اللؤلؤي كان يحدث المأمون ـ والمأمون يومئذ أمير ـ فَنَعَسَ المأمون فقال له اللؤلؤي: نمت أيها الأمير، فآستيقظ المأمون وقال: سوقي والله يا غلام، خذ بيده.

قال مؤلف الكتاب: قلت: وإنما قال ذلك لأن هؤلاء إنما يريدون الحديث ليناموا عليه فكان إيقاظه غفلة عما يراد من الحديث وسوء أدب.

المعتضد بالله

ومن المنقول عن المعتضد بالله: عن أبي عبدالله محمد بن حمدون قال لي المعتضدُ بالله ليلة ـ وقد قدم له عشاء ـ: لقمني ـ وكان الذي قدم له فراريج ودراريج ـ[1] فلقمته من صدر فروج فقال: لا ، لقمني من فخذه. فلقمته لقماً ثم قال: هاتِ من الدراريج فلقمته من أفخاذها فقال: ويلك هوذا تتنادر عليَّ هاتِ من صدورها ، فقلت: يا مولاي ، ركبت القياس[2] ، فضحك فقلت: إلى كم أضحكك ولا تضحكني ؟ قال: فشل ٱلمطرح وخذ ما تحته قال: فشلته فإذا دينار واحد فقلت: آخذ هذا ؟ قال: نعم! فقلت بالله هوذا تتنادر أنت الساعة على خليفة يجيز نديمه بدينار ، فقال: ويلك لا أجد لك في بيت المال حقاً أكثر من هذا ، ولا تسمح نفسي أن أُعطيك من مالي شيئاً ولكن هوذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار ، فقبلت يده فقال: إذا كان غد وجاءني القاسم ـ يعني: ابن عبيد الله ـ فهو ذا أسارك خبراً تقع عيني عليه سراراً طويلاً ألتفت فيه إليك كالمغضب وٱنظر أنت إليه في خلال ذلك كالمخالس لي نظر المترائي له فإذا ٱنقطع السرار ، فٱخرج ولا تبرح من ٱلدِّهْلِيز أو يخرج ، فإذا خرجت خاطبك بخطاب جميل وأخذك إلى دعوته ويسألك عن حالك ، فٱشكِ ٱلفقر وٱلْخَلَّةَ[3] وقلة حظك مني وثقل ظهرك بالدَّيْن والعيال وخذ ما يعطيك ، وٱطلب كل ما تقع عينك عليه فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار ، فإذا أخذتها ، فيسألك عما جرى بيننا فأصدقه وإياك أن تكذبه وعرفه أنَّ ذاك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا وحدثه بالحديث كلِّه على شرحه وليكن إخبارك إياه بذلك بعد ٱمتناع شديد وأحلاف منه بالطلاق والعتاق أن تصدقه ، وبعد أن تخرج من داره كل ما يعطيك إياه تجعله في بيتك.

---

(١) الدُّرَّاج: ضرب من الطير ذكراً كان أو أنثى.

(٢) ٱستخدمته.

(٣) الخَلَّة: الحاجة والفقر.

فلما كان الغد حضر القاسم فحين رآه آبتدأ يسارني وجرت القصة على ما واضعني عليه فخرجت فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني فقال: يا أبا محمد، ما هذا الجفاء لا تجيئني ولا تزورني ولا تسألني حاجة؟ فآعتذرت إليه باتصال الخدمة عليّ فقال: ما يقنعني إلا أن تزورني اليوم وتتفرج فقلت: أنا خادم الوزير فأخذني إلى طيارة وجعل يسألني عن حالي وأخباري وأشكو إليه الخلة والإضاقة والدَّيْن والبنات وجفاء الخليفة وإمساك يده فيتوجع ويقول: يا هذا، مالي لك ولن يضيق عليك ما يتسع لي على أن تجاوزك نعمة حصلت لي. ولو عرفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك، فشكرته وبلغنا داره، فصعد ولم ينظر في شيء وقال: هذا يوم أحتاج أن أختص فيه بالسرور بأبي محمد فلا يقطعني أحد عنه وأمر كتَّابه بالتشاغل بالأعمال وخلا بي في دار الخلوة، وجعل يحادثني ويبسطني وقدمت الفاكهة، فجعل يلقمني بيده وجاء الطعام، فكان هذا سبيله، فلما جلس للشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار فأخذتها للوقت وأحضر ثياباً وطيباً ومركوباً، فأخذت ذلك كله، وكان بين يدي صينية فضة فيها مغسل فضة وخردادي بلور وكوز وقدح بلور، فأمر بحمله إلى طيارتي، وأقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً له قيمة وافرة طلبته، وحمل إليّ فرشاً نفيساً وقال: هذا للبنات، فلما تقوض أهل المجلس خلا بي وقال: يا أبا محمد، أنت عالم بحقوق أبي عليك ومودتي لك. فقلت: أنا خادم الوزير. فقال: أريد أن أسألك عن شيء وتحلف لي أنك تصدقني عنه. فقلت: السمع والطاعة فأحلفني بالله وبالطلاق والعتاق على الصدق ثم قال لي: بأي شيء سارك الخليفة اليوم في أمري؟ فصدقته عن كل ما جرى حرفاً بحرف، فقال: فرجت عني ولكون هذا هكذا مع سلامة نيته أسهل عليّ فشكرته وآنصرفت إلى بيتي فلما كان من الغد باكرت المعتضد بالله فقال: هاتِ حديثك فسقته عليه، فقال: آحفظ الدنانير ولا يقع لك أني أعمل مثلها بسرعة.

أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي عن أبي القاسم علي بن المحسن عن أبيه قال: بلغني أن المعتضد بالله كان يوماً جالساً في بيت يُبنى له يشاهد الصناع فرأى في جملتهم غلاماً أسود، منكر الخلقة، شديد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين[1] مرقاتين، ويحمل ضعف ما يحملونه فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج، فقال لابن حمدون ـ وكان حاضراً ـ: أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال: ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه، ولعله لا عيالَ له فهو خالي القلب. قال: ويحك قد خمنت في أمره تخميناً ما أحسبه باطلاً إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها أو يكون لصاً يتستر بالعمل في الطين، فلاحاه[2] ابن حمدون في ذلك فقال: عليَّ بالأسود فأحضر وقال: مقارع فضربه نحو مائة مقرعة وقرره وحلف إنْ لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف والنِّطع، فقال الأسود: ألأمان. فقال: لك الأمان إلاّ ما يجب عليك فيه من حد ـ فلم يفهم ما قال له، وظن أنه قد أمنه ـ فقال: أنا كنت أعمل في أتاتين[3] الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالساً فأجتاز بي رجل في وسطه هِمْيَانٌ[4] فتبعته فجاء إلى بعض الأتاتين، فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الْهِمْيَانَ وأخرج منه ديناراً فتأملته فإذا كله دنانير فثاورته وكتفته وسددت فاه وأخذت الْهِمْيَانَ وحملته على كتفي وطرحته في نُقرة الأُتُون وطينته، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه، فطرحتها في دِجْلة والدنانير معي يقوى بها قلبي. فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من منزله، وإذا على الْهِمْيَان مكتوب: لفلان بن فلان. فنودي في البلدة بأسمه، فجاءت امرأة فقالت: هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في

(١) المِرْقَاة: الدَّرَجة.
(٢) نازعه.
(٣) الأتون: الْمَوْقِد.
(٤) الهِمْيَانُ: كيس يجعل فيه النقود ويشد على الوسط.

وقت كذا ومعه هِمْيَانٌ فيه ألف دينار، فغاب إلى الآن، فسلم الدنانير إليها، وأمرها أن تَعْتَدَّ، وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون.

قال المحسن: وبلغني أن المعتضد بالله قام في الليل لحاجة، فرأى بعض الغلمان المردان قد نهض من ظهر غلام أمرد ودب على أربعته حتى آندس بين الغلمان، فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل فإذا به يخفق خفقاً شديداً، فوكزه برجله فقعد وآستدعى آلات العقوبة، فأقر، فقتله.

قال المحسن: وبلغنا عن المعتضد بالله أن خادماً من خدمه جاء يوماً فأخبره أنه كان قائماً على شاطىء [دِجْلَةَ] في دار الخليفة، فرأى صياداً وقد طرح شبكته، فثقلت بشيء، فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنه قدره مالاً فأخذه وفتحه، فإذا فيه آجُرٌّ وبين الآجر كف مخضوبة بحنَّاء. قال: فأحضر الجراب والكف والآجر فهال المعتضد ذلك وقال: قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه، قال: ففعل فخرج جراب آخر فيه رِجْلٌ! قال: فطلبوا فلم يخرج شيء آخر، فآغتم المعتضد فقال: معي في البلد من يقتل انساناً ويقطع أعضاءه ويفرقه ولا أعرف به ما هذا ملك؟! قال: وأقام يومه كله ما طَعِمَ طعاماً، فلما كان من الغد أحضر ثقة له وأعطاه الجراب فارغاً وقال له: طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد فإن عرفه منهم رجل، فَسَلْهُ على من باعه، فإذا دَلَّكَ عليه، فَسَلِ ٱلمشتري مَنِ آشتراه منه، ولا تقر على خبره أحداً. قال: فغاب الرجل، وجاءه بعد ثلاثة أيام فزعم أنه لم يزل يتطلب في الدباغين وأصحاب الجرب إلى أن عرف صانعه وسأل عنه فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى وأنه مضى إلى العطار وعرضه عليه، فقال: ويحك كيف وقع هذا الجراب في يدك؟ فقلت: أوَ تعرفه؟ قال: نعم! آشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شيء أرادها وهذا منها! فقلت له: ومن

فلان الهاشمي؟ فقال: رجل من ولد علي بن ريطة من ولد المهدي يقال له: فلان عظيم، إلا أنه شر الناس وأظلمهم وأفسدهم لِحُرَمِ المسلمين وأشدهم تشوقاً إلى مكايدهم وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد خوفاً من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال، ولم يزل يحدثني ـ وأنا أسمع أحاديث له قبيحة ـ إلى أن قال: فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية جارية فلانة المغنية وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء فساوم مولاتها فيها، فلم تقاربه، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشترٍ قَدْ حضر بذل فيها ألوف دنانير، فوجه إليها: لا أقل من أن تنفذيها إليَّ لتودعني، فأنفذتها إليه بعد أن أنفذ إليها جذرها لثلاثة أيام، فلما آنقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيبها عنها، فما يعرف لها خبر وآدعى أنها هربت من داره. وقالت الجيران: إنه قتلها. وقال قوم: لا بل هي عنده، وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابه وسوّدت وجهها فلم ينفعها شيء. فلما سمع المعتضد سجد شكراً لله تعالى على آنكشاف الأمر له، وبعث في الحال من كبس على الهاشمي وأحضر المغنية وأخرج اليد والرجل إلى الهاشمي، فلما رآهما انتقع لونه وأيقن بالهلاك وآعترف، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال وصرفها ثم حبس الهاشمي، فيقال: إنه قتله، ويقال: مات في الحبس.

قال عبدالله بن محمد بن أحمد بن حمدون: كنت قد حلفت وعاهدت الله أن لا أعقد مالاً من القمار وأنه لا يقع في يدي منه شيء إلا صرفته في ثمن شمع يحترق، أو نبيذ يشرب، أو جذر مغنية. فجلست يوماً أُلاعب المعتضد فَقَمَرْتُهُ[1] بسبعين ألف درهم، فنهض المعتضد يصلي قبل العصر ركعتين من قبل أن يأمر لي بها، فجلست أفكر وأندم على ما حلفت عليه وقلت: كم أشتري من

---

(١) أي: غلبه في القمار.

هذه السبعين ألفا شمعاً وشراباً وكم أجذر، وما كانت هذه العجلة في اليمين، ولو لم أكن حلفت كنت الآن قد آشتريت بها ضَيْعَةً[١]، وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وصدقة الملك. فلما سلم من السجود قال لي: في أي شيء تفكرت؟ فقلت: خير، فقال: بحياتي اصدقني، فصدقته، فقال: وعندك أني أريد أن أعطيك سبعين ألفاً في القمار؟ فقلت: أفتصغر؟ قال: نعم قد صغرت، قم ولا تفكر في هذا. قال: ودخل في صلاة الفرض فلحقني الغم أعظم من الأول، وندمت على فوت المال، وجعلت ألوم نفسي لِمَ صدقته، فلما فرغ من صلاته قال لي: يا أبا عبدالله، بحياتي اصدقني عن هذا الفكر الثاني، فصدقته، فقال: أما آلقِمَار فقد قلت إني صغرت ولكني أهب لك سبعين ألفاً من مالي ولا يكون عليَّ إثم في دفعها إليك ولا عليك إثم في أخذها، وتخرج من يمينك فتشتري بها ضيعة حلالاً، فقبلت يده وأخذت المال فآقتنيت به ضيعة. والله أعلم.

(٢) أي: عقاراً.

الباب العاشر

في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء

يحي بن خالد البرمكي

قال ابن الموصلي: حدثني أبي قال: أتيت يحي بن خالد بن برمك فشكوت إليه ضيقة اليد فقال: ويحك وما أصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شيء، ولكن عليك ههنا أمر أدلك عليه فتكون فيه رجلاً، قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئاً وقد أبيت ذلك فألح عليَّ، وقد بلغني أنك قد أعطيت بجاريتك فلانة آلاف دنانير، فهو ذا أستهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني وإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وآنظر كيف يكون. قال: فوالله ما شعرت إلا بالرجل قد أتاني فساومني الجارية، فقلت: لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار، فلما سمعتها ضَعُفَ قلبي عن ردِّها، فبعتها وقبضت العشرين ألفاً، ثم صرت إلى يحي بن خالد فقال لي: كيف صنعت في بيعك الجارية؟ فأخبرته فقلت: والله ما ملكت نفسي إن أجبت إلى العشرين ألفاً حين سمعتها. فقال: إنك لخسيس[1]، وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا، فخذ جاريتك، فإذا ساومك، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك. قال: فجاءني الرجل فآستمت عليه خمسين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين

(١) الخسيس: الدَّنيء.

ألف دينار فَضَعُفَ قلبي عن ردِّها، ولم أصدق بها فأوجبتها له بها، ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال لي: بكم بعت الجارية؟ فأخبرته، فقال لي: ويحك أَلَمْ تؤدبك الأولى عن الثانية؟ قلت: ضَعُفْتُ واللهِ عن ردِّ شيء لم أطمع فيه. فقال: هذه جاريتك فخذها إليك. قال: فقلت: جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها! أشهدك أنها حرة وأني قد تزوجتها.

أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: قال يحيى بن خالد: ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية والكتاب والرسول.

وبلغنا أن المنصور كان يعجب بيحيى بن خالد ويجود رأيه وكان يقول: ولد الآباء أبناء، وولد خالد بن برمك آباء. وكان يحيى يقول ـ لابنه جعفر ـ: يا بُنَيَّ، خذ من كل أدب طرفاً فإنه من جهل شيئاً عاداه، وأنا أكره أن تكون عدوًّا لشيء من الأدب. وكان يقول: من بلغ رتبةً فَتَاهَ فيها [1]، أخبر أن محله دونها. وقال له رجل: والله لأنت أحلم من الأحنف، فقال: ما تقرب إليَّ من أعطاني فوق حقي.

الفضل بن الربيع

وبلغنا عن الرشيد أنه رأى يوماً في داره حُزْمَةَ خَيْزُرَانٍ [2] فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يرد أن يقول: الخيزران لموافقته آسم أم الرشيد.

وقال الفضل: إياكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب، فإنهم إن أجابوكم شق عليهم، وإن لم يجيبوكم شق عليكم.

---

(١) ضلَّ فيها.

(٢) الخيزران: نبات كالقصب قضبانه لينة وملساء.

الحسن بن سهل

قال ثعلب: قلت للحسن بن سهل ـ وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله ـ: ليس في السرف خير. فقال: بل ليس في الخير سرف، فرد اللفظ وآستوفى المعنى.

الفتح بن خاقان

ورأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً فلم يمسه بيده، ولا قال له شيئاً، ولكنه نادى: يا غلام، مرآة أمير المؤمنين، فجيء بها، فقابل بها وجهه حتى أخذ ذلك الشيء بيده.

أبو الحسن بن الفرات

حدثنا أبو علي بن مقلة قال: كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات وأخدم بين يديه، فأول شيء أمر لي برزق عشرة دنانير في كل شهر وهو يخلف أخاه في ديوان السواد، ثم زادت حاله فرقاني إلى ثلاثين ديناراً في كل شهر، فكنت كذلك معه إلى أن تقلد الوزارة الأولى، فحصل رزقي خمسمائة دينار في كل شهر، ثم أمر بقبض ما في دور المخالفين الذين بايعوا ابن المعتز، وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل إليه فيراها وينفذها إلى خزائن المقتدر، فجاؤوه يوماً بصندوقين، فقالوا له: هذان وجدناهما في دار ابن المعتز، فقال: أفعلمتم ما فيهما؟ قالوا: نعم! جرائد من بايعه من الناس بأسمائهم وأنسابهم. فقال: لا تفتح، ثم قال: يا غلمان، هاتوا ناراً فجاء الفراشون بفحم وأمرهم فأججوا النار، وأقبل عليَّ وعلى من كان حاضراً فقال: والله لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها آسم أني قد عرفته فتفسد نياتُ العالم كلهم عليَّ وعلى الخليفة وما هذا رأي حرقوهما، قال: فطرحا بأقفالهما في النار. فلما احترقا بحضرته أقبل عليَّ فقال: يا أبا علي، قد أَمَّنْتُ كل من جَنَى وبايع ابن المعتز

وأمرني الخليفة بأمانة، فاكتب للناس الأمان مني ولا يلتمس منك أحد أماناً كائناً من كان إلا كتبته له وجئتني به لأُوقع فيه، فقد أفردتك لهذا العمل، ثم قال لمن حضر أشيعوا ما قلته حتى يأنس المستترون بأبي علي ويكاتبونه في طلب الأمان، فشكرناه ودعت الجماعة له وشاع الخبر وكتب الأمان، فكتب في ذلك مائة ألف أو نحوها.

حدثنا ابن المحسن عن أبيه قال: سمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة يقول: كان أبو علي بن مقلة يوماً يأكل، فلما رفعت المائدة وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى التي كان يأكلها ففتح الدواة[1] واستمد منها نقطة على الصفرة حتى لم يبقَ لها أثر وقال: هذا أثر شهوة، وهذا أثر صناعتي، ثم أنشد:

إنَّما الزعفـران عِطـر العـذَارى وَمِـداد الدواة عِطْـرُ الرجـال

قال أبو بكر الصولي: قال لي المكتفي بالله ـ وقد أنشدته ـ أنت أشعر من فلان. فقلت: لإنعامك عليَّ ترى ذلك، وإلا ففلان أشعر مني. فلما خرجنا قال القاسم بن عبيد الله: رددت على أمير المؤمنين لأنه قال شيئاً فقلت: لا. فقلت: من أين لي هذا الفهم.

وذكر أن مَلِكاً كانت أسراره تظهر كثيراً إلى عدوه فيبطل تدبيره على العدو، فبلغ ذلك منه فشكا إلى أحد نصحائه وقال له: إن جماعة يطلعون على أسرار لي لا بُدَّ من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب فكتب فيه أخباراً من أخبار المملكة، وجعلها كذباً كلها، ثم دعا برجل رجل، كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره. فقال للملك: أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة

(١) الدواة: المِحْبَرَة.

لا يظهر عليه سائر أصحابه، وأمر كل واحد بستر ما أسررت إليه، وآكتب على كل خبر آسم صاحبه، فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أُفشي إليهم، وآنكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من يفشي سرّه فحذره.

قيل: رفعت إلى فخر الملك وزير السلطان قصة رجل سعى برجل، فكتب عليها: «السعاية قبيحة وإن كانت نصيحة، فإن كنت أخرجتها بالنصح فخسرانك فيها أكثر من الربح، وأنا لا أدخل في محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستور ولولا أنك في خَفارةِ شيبتك لقابلتك على جريرتك[1] مقابلة تشبه أفعالك وتردع أمثالك فآسترْ على نفسك هذا العيب، وآتقِ من يعلم الغيب[2] فإن الله للصالح والطالح بالمرصاد».

وقال الوزير أبو منصور بن جهير يوماً لولد أبي نصر بن الصناع: استعل بآداب وإلا كنت صناعاً بغراب.

---

(١) الجريرة: ما يجره الإنسان من ذنب.

(٢) وهو الله سبحانه وتعالى.

الباب الحادي عشر

في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والأمراء والحجاب والشرطة

عضد الدولة

قال المؤلف: بلغني أنَّ رجلاً قدم إلى بغداد للحج، وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار، فآجتهد في بيعه فلم ينفق، فجاء إلى عطار موصوف بالخير فأودعه إياه، ثم حجَّ وعاد فأتاه بهدية. فقال له العطار: من أنت وما هذا؟ فقال: أنا صاحب العقد آلذي أودعتك، فما كلمه حتى رَفَسَهُ[1] رَفْسَةً رماه عن دكانه، وقال: تدعي عليَّ مثل هذه الدعوى. فآجتمع الناس وقالوا للحاجي: ويلك هذا رجل خير ما لحقت من تدّعي عليه إلا هذا. فتحير الحاجي وتردد إليه فما زاده إلا شتماً وضرباً فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة، فله في هذه الأشياء فِراسة، فكتب قصته وجعلها على قصبة ورفعها لعضد الدولة، فصاح به فجاء فسأله عن حاله فأخبره بالقصة فقال: آذهب إلى العطار بكرة وآقعد على دكَّتِهِ، فإن منعك فآقعد على دكة تقابله من بكرة إلى المغرب، ولا تكلمه، وآفعل هكذا ثلاثة أيام فإني أمر عليك في اليوم الرابع، وأقف وأسلم عليك، فلا تقم لي ولا تزدني على ردِّ السلام وجوابِ ما أسألك عنه، فإذا

---

(١) ضربه برجله.

انصرفت فأعد عليه ذكر العقد، ثم أعلمني ما يقولَ لك فإن أعطاكه فجيء به إليَّ.

قال: فجاء إلى دكان العطار ليجلسَ فمنعه، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع آجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخراساني وقف وقال: سلام عليكم، فقال الخراساني ـ ولم يتحرك ـ: وعليكم السلام. فقال: يا أخي تقدم فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا؟ فقال كما اتفق ولم يشبعه الكلام وعضد الدولة يسأله ويستخفي وقد وقف ووقف العسكر كله والعطار قد أغمي عليه من الخوف. فلما آنصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال: ويحك متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء كان ملفوفاً؟ فذكرني لعلي أذكره. فقال: من صفته كذا وكذا، فقام وفتش ثم نفض جرة عنده فوقع العقد. فقال: قد كنت نسيت ولو لم تذكرني الحال ما ذكرت فأخذ العقد ثم قال: وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة؟ ثم قال في نفسه: لعله يريد أن يشتريه فذهب إليه فأعلمه، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار فعلق العقد في عنق العطار وصلبه بباب الدكان ونودي عليه: هذا جزاء من آستودع فجحد. فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فسلَّمه إلى الحاجي وقال: اذهب.

وقال المؤلف أيضاً: بلغني عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركي وكان يقف عند روزنة [1] إلى امرأة فيها، فقالت المرأة لزوجها، قد حرم عليَّ هذا التركي أن أتطلع في الروزنة فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد، فلا يشك الناس أن لي معه حديثاً، وما أدري كيف أصنع؟ فقال زوجها: آكتبي إليه رقعة وقولي فيها: لا معنى لوقوفك فتعال إليَّ بعد العشاء إذا غفل الناس في الظملة فإني خلف الباب. ثم قام وحفر حَفِيرَة [2] طويلة

---

(١) الروزنة: الكُوَّة، النافذة الصغيرة في الحائط.

(٢) الحفيرة: ما يُحفر في الأرض.

خلف الباب ووقف له، فلما جاء التركي فتح له الباب فدخل فدفعه الرجل فوقع في الحفيرة وطموا عليه، وبقي أياماً لا يدرى ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له: ما لنا فيه خبر، فما زال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدار، فأخذه أخذاً عنيفاً في الظاهر ثم قال له: هذه مائة دينار خذها وآمتثل ما آمرك به، إذا رجعت إلى مسجدك فأذن الليلة بليل وآقعد في المسجد فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب إنفاذي إليك فأعلمني به. فقال: نعم! ففعل ذلك، فكان أول من دخل ذلك الشيخ فقال له: قلبي إليك ولأي شيء أراد منك عضد الدولة؟ فقال: ما أراد مني شيئاً، وما كان إلاّ الخير. فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال فبعث إلى الشيخ فأحضره ثم قال له: ما فعل التركي؟ فقال: أصدقك، لي امرأة ستيرة مستحسنة كان يراصدها، ويقف تحت روزنتها، فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه. ففعلت به كذا وكذا. فقال: آذهب في دعة الله فما سمع الناس ولا قلنا.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاقة، فلا يقدر عليهم. فآستدعى أحد التجار ودفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيها حلوى قد شيبت بالسم وأكثر طيبها، وترك في الظروف الفاخرة وأعطاه دنانير وأمره أنْ يسير مع القافلة ويظهر أنَّ هذه هدية لإحدى نساء أمراء الأطراف. ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال، وآنفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم إلى الجبل، وبقي المسافرون عراة، فلما فتح الصندوقين وجد الحلوى يَضُوعُ[1] طيبُها ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه آلاستبداد بها، فدعا أصحابه فرأوا ما لم يروه أبداً قبل ذلك

---

(١) يفوح.

فأمعنوا [١] في الأكل عقيب مجاعة، فآنقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم، وآستردوا المأخوذ عن آخره. فلم أسمع بأعجبَ من هذه المكيدة، محت أثر العاتين، وحصدت شوكة المفسدين.

وقال مؤلف الكتاب: وحدثت أنَّ بعض التجار قدم من خراسان ليحج فتأهب للحج، وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتـاج إليها، فقال: إن حملتها خاطرت بها وإن أودعتها خفت جحد المودَع، فمضى إلى الصحراء فرأى شجرة خِرْوَعٍ فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد. ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئاً! فجعل يبكي ويلطم [٢] فإذا سئل عن حاله قال: الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له: لو قصدت عضد الدولة فإنَّ له فِطنة. فقال: أوَ يَعْلَمُ الْغيبَ؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فقصده فأخبره بقصتهَ فجمع الأطباء وقال لهم: هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق آلْخِرْوَعِ؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلاناً وهو من خواصك. فقال: عليَّ به، فجاء فقال له: هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال: نعم. قال: من جاءك به؟ قال: فلان الفراش. قال: عليَّ به، فلما جاء قال: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال: من المكان الفلاني. فقال: آذهب بهذا معك فأَرِهِ آلمكان آلّذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة وقال: من هذه الشجرة أخذت. فقال الرجل: ههنا والله تركت مالي. فرجع إلى عضد الدولة فأخبره فقال للفراش: هَلُمَّ المال. فتلكأ فأوعده فأحضر المال.

وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي قال: حكى السلامي الشاعر قال: دخلت على عضد الدولة، فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير، وبين يديه حسام خسرواني. فرآني ألحظه فرمى به إليَّ وقال: خذه، فقلت:

---

(١) بالغوا.

(٢) اللطم: الضرب على الوجه بباطن الراحة.

وكل خير عندنا من عنده

فقال عضد الدولة: ذاك أبوك. فبقيت متحيراً لا أدري ما أراد، فجئت أُستاذي [1] فشرحت له الحال فقال: ويحك قد أخطأت خطيئة عظيمة؛ لأنَّ هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلباً حيث يقول:

أنْعَتُ كلباً أهله في كدّه قد سَعُدت جدودهم بجده
وكلٌّ خيرٍ عندهم من عنده

قال: فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدي الملك. فقال: مالك؟ فقلت حمت الساعة. فقال: هل تعرف سبب حماك؟ قلت: نظرت في ديوان أبي نواس. فقال: لا تخف لا بأس عليك من هذه الحمى، فسجدت بين يديه وآنصرفت.

جلال الدولة

وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي في تاريخه قال: حدثني بعض التجار، وقال: كنت في المعسكر وآتفق أن ركب السلطان جلال الدولة يوماً إلى الصيد على عادته فلقيه سوادي يبكي فقال: ما لك؟ فقال: لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي. فقال: آمضِ إلى العسكر فهناك قبة حمراء فآقعد عندها، ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك. فلما عاد السلطان قال لبعض شرائه: قد اشتهيت بطيخاً، ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه ففعل وأحضر البطيخ فقال: عند من رأيتموه؟ فقيل: في خيمة فلان الحاجب. فقال: أحضروه. فقال له: من أين هذا البطيخ؟ فقال: الغلمان جاؤوا به. فقال: أريدهم الساعة، فمضى وقد أحس بالشر فهرب الغلمان خوفاً

(١) الأُسْتَاذ: كلمة أعجمية ومعناها: الماهر بالشيء.

من أن يقتلوا وعاد فقال: قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم. فقال: أحضروا السوادي فأحضر فقال له: هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال: نعم. قال: فخذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حين لم يحضر آلذين أخذوا منك البطيخ ووالله لئن خليته لأضربن رقبتك. فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه فآشترى آلحاجب نفسه منه بثلثمائة دينار. فعاد السوادي إلى السلطان وقال: يا سلطان، قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار. فقال: قد رضيت بذلك؟ قال: نعم. قال: آقبضها وآمض مصاحباً السلامة.

قال الصابي: وحكى لي من كان حاضراً بأصفهان قال: جاء إليه تركماني قد لزم يد تركماني فلما دخلا إليه قال: هذا وجدته قد آبتنى بآبنتي[1] وأريد أن أقتله بعد إعلامك به. قال: لا بل تزوجها به ونعطي المهر من خزائننا فقال: لا أقنع إلا بقتله. فقال: هاتوا السيف، فجيء به فسلّه، وقال للأب: تعال فلما قرب منه أعطاه آلسيف وأمسك بيده الْجَفْنَ[2] وأمره أن يعيد السيف إلى آلْجَفْنِ، فكلما رام[3] الرجل ذاك قلب السلطانُ آلجفن ولم يمكنه من إدخال السيف فقال: يا سلطان، ما تدعني؟ فقال: كذلك آبنتك لو لم تُرِدْ ما فعل بها هذا، فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فآقتلها جميعاً، ثم أحضر من زوّجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

العلاء بن المغيرة

حدثنا الأصمعي قال: وفد بلال بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز وهو بخاصرة فلزم سارية من المسجد يصلي إليها يحسن الركوع والخشوع وعمر بن عبد

(١) أي: دخل بها.

(٢) الجَفْنُ: غِمْدُ السَّيف.

(٣) أي: طلب.

العزيز ينظر إليه، فقال عمر للعلاء بن المغيرة ـ وكان خصيصاً لعمر ـ: إن يكن سرٌّ هذا كعلانيته فهو فعل أهل العراق غير مدافع عن فضل. فقال له العلاء بن المغيرة: أنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره، فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء فقال له: اشفع صلاتك فإن لي حاجة، فلما سلَّم من صلاته قال له العلاء: تعرف منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين فإني إن أشرت عليه أن يوليك العراق ما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة ـ وكان مبلغها عشرين ومائة ألف ـ قال: فآكتب لي على ذلك خطاً، فقام من وقته فكتب له خطاً بذلك، فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ـ وكان واليا على الكوفة ـ: أما بعد: فإن بلالاً غَرَّنَا بالله فكدنا نغتر به، ثم سبكناه (١) فوجدناه خبثاً كلّه.

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا أنّ رجلاً وعظ أميراً فأنفذ إليه الأمير مالاً قبله، فلما عاد الرسول قال الأمير: كلنا صياد ولكن الشباك تختلف.

وقيل: لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصا من يده، فتطير (٢) من ذلك فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودفعها إليه ثم أنشد:

فألْقَتْ عصاها وآستقرت بها النّوى ... كَمَا قَرَّ عيناً بالإِياب آلمسافرُ

فَسُرَّ بذلك وسَرَى عنه.

نزل أمير بقرية، فآحتاج إلى آلْمُزَيِّنِ يمسح شعره، فجاء آلأمير وحده إليه وقال: أنا حاجب هذا الأمير الذي قد نزل بكم فآمسح شعري، فإن كنت حاذقاً جاء الأمير فمسحت شعره. وإنما فعل ذلك لئلا يعلم أنه الأمير فينزعج فيجرحه.

---

(١) آختبرناه.

(٢) تشاءم.

الربيع حاجب المنصور

حدثني عمر بن عثمان قال: دخل المنصور ـ أمير المؤمنين ـ قصراً فرأى في جداره كتاباً:

وما لي لا أبكي بعينٍ حزينةٍ وقد قربت للظّاعنين حمولُ

وتحته مكتوب إيه إيه. قال أبو عمر: ويروى آه آه. فقال المنصور: أي شيء إيه إيه؟ فقال له الربيع ـ وهو إذا ذاك تحت يدي أبي الخصيب الحاجب ـ: يا أمير المؤمنين، إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي. فقال: قاتله الله ما كان أظرفه فكان هذا أول ما آرتفع به الربيع.

قال المؤلف: نقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل قال: دخل هاشمي على المنصور فآستدناه ودعا بغدائه وقال: أُدْنُه، فقال: قد تغديت، فكف عنه. فلما خرج دفع الربيع في قفاه فوافقه الحجاب، فدخل عمومته فشكوا إلى المنصور فقال الربيع: هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف فأدناه أمير المؤمنين وآستجلسه، ثم أذن له في الغداء فقال له: قد تغديت. قول من يظن أن الغداء عند أمير المؤمنين لا يصلح إلا لسد الخلة، ومثل هذا لا يكون أدبه بالقول ولكن بالفعل.

حدثنا المدائني عن غياث عن إبراهيم أن معن بن زائدة دخل على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقارب في خطوه، فقال له أبو جعفر: كبرت سنك يا معن. فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك، قال: وإن فيك لبقية. قال: هي لك.

عبد الله بن طاهر

حدثنا أبو الفضل الربعي قال: حدثني أبي، قال: قال المأمون لعبد الله بن طاهر: أيما أطيب مجلسي أو منزلك؟ قال: ما عدلت بك يا أمير المؤمنين. قال:

ليس إلى هذا ذهبت، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة. قال: منزلي يا أمير المؤمنين. قال: ولِمَ ذلك؟ قال: لأني فيه مالك، وأنا هنا مملوك.

أحمد بن طولون

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني أن أحمد بن طولون جلس يوماً في متنزه له يأكل، فرأى سائلاً في ثوب خَلَقٍ [١] فوضع يده على رغيف ودجاجة وفَرْخ وقطع لحم وقطعة فالوذج [٢]، وأمر بعض الغلمان بمناولته فرجع الغلام وذكر أنه ماهش له فقال آبن طولون للغلام: جئني به، فمثل به بين يديه، فآستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته. فقال له: أحضرني الكتب التي معك وآصدقني عمن بعث بك فقد صح عندي أنك صاحب خبر، وآستحضر السياط، فآعترف له بذلك. فقال بعض من حضر هذا: والله السحر، فقال أحمد: ما هو بسحر، ولكنه قياس صحيح رأيت سوء حال هذا فوجهت إليه بطعام يُسر إلى أكله الشبعان فما هش له ولا مد يده فأحضرْته فتلقاني بقوة جأش فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جَنَانِهِ علمت أنه صاحب خبر.

ورأى ابن طولون يوماً حمالاً يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت فقال: آصدقني عن حالها فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة فضرب الحمال مائتي عصا وأمر بقتل الأربعة.

وكان ابن طولون يبكر ويخرج، فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب، فدعا

(١) أي: بالٍ.

(٢) الفالوذج: نوع من الحلواء.

بعض أصحابه يوماً وقال: آمض إلى المسجد الفلاني وأعطِ إمامه هذه الدنانير، قال: فمضيت فجلست مع الإمام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها ٱلطَّلْقُ[1] ولم يكن معه ما يصلح به شأنها، وأنه صلى فَغَلِطَ مراراً في القراءة، فعدت إلى ابن طولون فأخبرته فقال: صدق، لقد وقفت أمس فرأيته يَغْلَطُ كثيراً فعلمت شغل قلبه.

حدثنا سهل بن محمد السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أَرَ في عمّال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلماً عليه فقال: يا سجستاني من أعلمكم بالبصرة؟ قلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو وهلال الرأي أفقهنا والشاذكوني أعلمنا بالحديث، وأنا ـ رحمك الله ـ أنسب إلى علم القرآن، وآبن الكلبي من أكتبنا للشروط. قال: فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم إليَّ. قال: فجمعنا. قال: أيكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا ـ يرحمك الله ـ قال: هل يجزي في الظهار عتق عبد أعور؟ فقال المازني: لست صاحب فِقْهٍ[2]، أنا صاحب عربية. فقال: يا زيادي، كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صَدَاقِها؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم هلال الرأي، قال: يا هلال، كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني. قال: ياشاذكوني من قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾[3] قال: ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم. فقال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة، وما أصابهم في الثمرة وتسأله لهم النظر بالبصرة؟ قال: لست ـ رحمك الله ـ صاحب بدعة وكتابة، أنا صاحب قرآن. قال، ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم

(١) الطَّلْق: وجع الولادة.

(٢) الفقه لغة: الفهم، وشرعاً: العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية.

(٣) الآية: ٥ ـ من سورة هود.

خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه ولم يمر، لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

نظر بعض العمال في ديوانه إلى رجل يُصْغِي إلى سره فأمر بضربه وحبسه فقال كاتب الحبس: كيف أكتب قصته؟ قال: آكتب: ﴿آسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (١). ووجد أعمى مع عمياء فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتهما فقال صاحب الربع آكتب: ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (٢).

الواثقي صاحب شرطة بغداد للمكتفي بالله

قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحي الواثقي: كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة، فآجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فتحير حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار إلى أن آجتاز يوماً في نصف آلنهار في زقاق(٣) خالٍ في بعض أطراف بغداد فدخله فوجد فيه منكراً ووجد فيه زقاقاً لا ينفذ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة وعظم الصلب وتقدير ذاك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لواحد من أصحاب آلمسالخ: ويحك ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدر ثمنها؟ قال: دينار. فقال: أهل هذا الزقاق لا تتحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق بيّن آلاختلال إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخافه، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة، وما هي إلا بلية يجب أن يكشف عنها. فآستبعد الرجل هذا وقال: هذا فكر بعيد. فقال: آطلبوا امرأة من الدرب أكلمها فدق

---

(١) الآية: ١٨ ـ من سورة الحجر.

(٢) الآية: ٤٠ ـ من سورة النور.

(٣) الزقاق: الطريق الضيق.

باباً غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماء، فخرجت عجوز ضعيفة فما زال يطلب شَرْبَةً بعد شَرْبَةٍ وهي تسقيهم، والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها: فهذه الدار من يسكنها؟ وأومأ إلى التي عليها عظام السمك، فقالت: والله ما ندري على الحقيقة من سكانها إلا أن فيها خمسة شباب أعفار كأنهم تجار، وقد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهاراً إلا كل مدة طويلة، وإنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً، وهم طول آلنهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد، ولهم صبي يخدمهم، وإذا كان الليل آنصرفوا إلى دار لهم في الكرخ. ويدعون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم. قال: فقطع الوالي آستسقاء الماء، ودخلت العجوز، وقال للرجل: هذه صفة لصوص أم لا؟ فقال: بلى. فقال توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها، قال: وأنفذ في الحال وآستدعى عشرة من الرجال، وأدخلهم إلى سطوح الجيران، ودق هو الباب، فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه، فما فاتهم من القوم أحد، وحملهم إلى مجلس الشرطة وقررهم، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها، ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم الواثقي، وكان يفتخر بهذه القصة.

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا عن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب بآلْحَمَام فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم، فبعث الأمير إلى وزيره ليعلم الحال، فَكَرِهَ الوزير أن يكتب إليه أنك قد سبقت، ولم يدر كيف يكني عن ذلك، فكان ثَمّ كاتب فقال: إن رأيت أن تكتب شعراً:

يا أيُّها الملِكُ الذي جَدُّه ... لكلِّ جد قاهر غالبُ
طائِرُكَ السابقُ لكنَّه ... أتى وفي خدمته حاجبُ

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة وكتب به.

ابن النسوي

قال الشيخ: حدثني أبو محمد عبدالله بن علي المقري قال: كان حاجب باب ابن النسوي ذكياً فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت برادة، فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجلاً وامرأة. فقيل له: من أين علمت هذا؟ قال: في الشتاء لا يبرد الماء، وإنما هذه علامة بين هذين.

وبه حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه قال: حدثني أبي قال: جيء إلى ابن النسوي برجلين قد آتهما بالسرقة فأقامهما بين يديه، ثم قال: شربة ماء فجاء بها فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمداً فوقعت فآنكسرت، فآنزعج أحد الرجلين لآنكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج: آذهب أنت، وقال للآخر: ردَّ ما أخذت فقيل له: من أين علمت؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج، وهذا المنزعج بريء لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

وبه ذكر بعض مشايخنا أنَّ رجلاً من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف فقال له ابن النسوي: كُلْ. فامتنع، فقال: كأني بك وأنت تقول من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُلْ، فما أكلت قَطُّ أحل من هذا، فقال - بحكم المداعبة -: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم. فقال: كنت منذ ليالٍ في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: مَنْ؟ فقالت: آمرأة تستأذن، فأذن لها، فدخلت، فأكبت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج ولي منه آبنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليَّ وما يقربني والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة. فقلت لها: ما صناعته؟ فقالت: خباز. قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، ويعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنت بنت من؟ فقالت: بنت فلان. قلت: فما آسم بناتك؟

قالت: فلانة وفلانة. فقلت: أنا أرده إليك ـ إن شاء الله تعالى ـ فقالت: هذه شُقَّةٌ قد غزلتها أنا وآبنتاي، وأنت في حل منها. قلت: خذي شقتك وآنصرفي. فمضت فبعثت إليه اثنين، وقلت: أحضراه ولا تُزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك إنما آستدعيتك لأعطيك كُرَّ[1] طعام وعُمَالَتَهُ[2] تقيمه خبزاً للرحالة، فسكن رُوعُهُ[3] وقال: ما أريد له عُمالة. قلت: بلى. صديق مخسر عدو مبين. أنت مني وإليَّ. كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير. قلت: الله الله لا أحتاج أن أُوصيك بها لا تضيق صدرها. فقبَّل يدي، فقلت: آمض إلى دكانك وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فآنصرف. فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة، فدخلت وهذا الصحن معها، وأقسمت عليَّ بأن لا أردها، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا ترده. فقبلته، فهل هو حلال؟ فقال: والله ما في الدنيا أحل من هذا. قال: فكُلْ، فأكل.

كان لأحمد بن خصيب وكيل له في ضياعه، فرمى إليه بخيانة، فعزم على القبض عليه والإساءة إليه، فهرب فكتب إليه أحمد يؤنسه ويحلف له على بطلان ما آتصل إليه ويأمره بالرجوع إلى عمله، فكتب إليه:

أنا لكَ عبدٌ سامعٌ ومطيعُ ... وإني لما تهوى إليك سريعُ
ولكن لي كفاً أعيش بفضلها ... فما أشتري إلاّ بها وأبيعُ
أأجعلها تحت الرحائم أبتغي ... خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ[4]

حدثنا أبو سهل بن زياد قال: كان شاعر له ضويعة[5]، فهجا عاملها، وبلغه

(١) الكُرُّ: كيل معروف.
(٢) أجرته.
(٣) خاطره وقلبه.
(٤) يقال للواهي العقل: رقيع، تشبيهاً بالثوب الخَلَق كأنه رُقِعَ.
(٥) الأصح أن يقال: ضُيَيْعَة وليس ضويعة.

ذلك فأمسك عنه. فلما كان وقت الغَلَّةِ[1] ركب العامل إلى البيدر فقسمها، وحمل غلة الشاعر أصلاً، فجاء الشاعر إليه يشكو فقال: يا هذا، ليس بيننا شيء، هجوتنا بالشِّعْرِ ونحن نهجوك بالشَّعير، فقد آستوت آلحال بيننا وبينك.

قال الشيخ: وحدّثني ابن شبيب المشرف بالمحرز أنه لقي الخليفة المستنجد فقال له الخليفة: أين شتيت؟ قال: عندك يا أمير المؤمنين، وأراد الخليفة تصحيف ابن شبيب، وأراد هو تصحيف عبدك.

كان بعض العمال واقفاً على رأس أمير، فأخذه البول، فخرج، فلما جاء قال: أين كنت؟ قال: أصوب الرأي. يعني: أنه لا رأي لحاقن.

حدثني بعض الشيوخ قال: سرق من رجل خمسمائة دينار، فحمل المتهومين إلى الوالي فقال الوالي: أنا ما أضرب أحداً منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فادخلوا فليمرَّ كلٌّ منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج، فإن الخيط يلف على يد الذي سرق - وكان قد سَوَّدَ آلخيط بسخام[2] - فدخلوا، فكلهم جَرَّ يَدَهُ على الخيط في الظلمة إلا واحداً منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحداً فألزمه بالمال فأقرَّ به.

---

(١) الغلة: كل شيء يحصل من رَيْعِ الأرض أو أُجرتها ونحو ذلك.

(٢) السُّخَام: سواد القِدْر.

الباب الثاني عشر
في سياق المنقول من ذلك عن القضاة

كعب بن سوار

حدثنا الشعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله يقوم آلليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم أخذها الحياء فقالت: أقلني[1] يـا أمير المؤمنين، فقال جزاك آلله خيراً فقد أحسنت الثناء قد أقلتك. فلما وَلَّتْ قال كعب بن سوار: يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجها. قال: علـيَّ بالمرأة وزوجها، فجيء بهما، فقال لكعب: آقض بينهما. قال: أقضي وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت لما لم أفطن إليه. قال: فإن الله يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[2] صُمْ ثلاثة أيام وأفطر عندها يوماً، وقم ثلاث ليالٍ وبت عندها ليلة؛ فقال عمر: لَهذا أعجب إليَّ من الأول فرحله بدابة وبعثه قاضياً لأهل البصرة.

شريح القاضي

أخبرنا مجالد بن سعيد قال: قلت للشعبي: يقال في آلمثل: إن شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا؟ فقال لي في ذلك: إن شريحاً خرج أيام الطاعون إلى

---

(١) اصفح عني.

(٢) الآية: ٣ ـ من سورة النساء.

النجف، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تُجاهه، فيحاكيه ويخيل بين يديه، فيشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميه وجعل قَلَنْسُوَتَهُ وعِمامته عليه، فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتى شريح من خلفه، فأخذه بغتة، فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل.

أخبرنا مجالد عن الشعبي قال: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: يا أبا أمية، ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون.

حدثنا شيخ من قريش قال: عرض شريح ناقة يبيعها فقال له المشتري: يا أبا أمية، كيف لبنها؟ قال: آحلب في أي إناء شئت. قال: كيف الوطء؟ قال: آفرشِ ونم. قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها علق سوطك وسر. قال: كيف قوتها؟ قال: آحمل على الحائط ما شئت. فآشتراها، فلم ير شيئاً مما وصف، فرجع إليه فقال: لم أرَ فيها شيئاً مما وصفتها به قال: ما كذبتك. قال: أقلني. قال: نعم.

قال القرشي: وحدثني أبو القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال: إن شريحاً خرج من عند زياد وهو مريض فأرسل إليه مسروق بن آلأجدع رسولاً يسأله: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى. قال: يأمر بالوصية وينهى عن النياحة.

قال الشيخ: وقد روينا أن عدي بن أرطأة أتى شريحاً وهو في مجلس القضاء فقال لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط! قال: آسمع مني. قال: لهذا جلست مجلسي. قال: إني رجل من أهل الشام قال: الحبيب القريب. قال: وتزوجت امرأة من قومي. قال: بارك الله لك بالرفاء والبنين. قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها. قال: الشرط أملك. قال: وأريد الخروج. قال: في حفظ الله. قال: آقضِ بيننا. قال: قد فعلت.

إياس بن معاوية

حدثنا صالح بن أحمد العجلي قال: حدثني أبي قال: دخل على إياس بن معاوية ثلاث نسوة فقال: أما واحدة فمرضع، والاخرى بكر، والثالثة ثَيِّب. فقيل له: بِمَ علمت؟ قال: أما المرضع؛ فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر؛ فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب؛ فلما دخلت رمقت[1] بعينها يميناً وشمالاً.

أخبرنا أبو الحسن القيسي قال: آستودع رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً وكان أميناً لإياس، وخرج المستودِع إلى مكة، فلما رجع طلبه فجحده، فأتى إياساً فأخبره فقال له إياس: أَعَلِمَ أنك أتيتني؟ قال: لا. قال: فنازعته عند أحد؟ قال: لا، لم يعلم أحد بهذا. قال: فآنصرف وآكتم أمرك، ثم عُدْ إليَّ بعد يومين. فمضى الرجل فدعا إياس أمينه ذلك، فقال: قد حضر مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأَعِدَّ موضعاً للمال وقوماً يحملونه، وعاد الرجل إلى إياس فقال له: آنطلق إلى صاحبك، فآطلب المال؛ فإن أعطاك فذاك؛ وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي. فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي وإلاَّ أتيت القاضي وشكوت إليه، وأخبرته ما جرى، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال، وجاء الأمين إلى إياس فزَبَرَهُ[2] وآنتهره وقال: لا تقربني يا خائن.

وذكر آلجاحظ أنَّ إياس بن معاوية نظر إلى صَدْعٍ[3] في أرض فقال: تحت

---

(١) أطالت النظر.

(٢) زجره.

(٣) الصَّدْعُ: الشَّقُّ.

هذا دابة[1] فنظروا، فإذا حية. فقيل له: من أين علمت؟ قال رأيت ما بين الآجرتين نَدياً من بين جميع تلك الرَّحْبَة[2] فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

قال الجاحظ: وحج إياس فسمع نباح كلب فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمع نباحه فقال: قد أرسل فانتهوا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال، فقيل له: من أين علمت؟ قال: كان نباحه وهو موثوق يسمع من مكان واحد، ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى.

ومَرَّ إياس ليلة بماء فقال: أسمع صوت كلب غريب، فقيل له: كيف عرفته؟ قال: بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين. فسألوا فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه.

حدثنا أبو سهل قال: لم يشرك في القضاء بين أحد قط إلا بين عبيدالله بن الحسن العنبري وبين عمر بن عامر على قضاء البصرة، وكانا يجتمعان جميعاً في المجلس وينظران جميعاً بين الناس. قال: فتقدم إليهما قوم في جارية لا تثيب، فقال فيها عمر بن عامر: هذه ضئيلة، وقال عبيدالله بن الحسن: كل ما خالف ما عليه الخلقة فهو عيب.

أخبرنا يزيد بن هارون قال: تقلد القضاة بواسط[3] رجلٌ ثقة كثير الحديث، فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف دينار، فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة الرجل قدَّر أنه قد هلك فهمَّ بإنفاق المال، ثم دَبَرَ وفتق الكيس من أسفله، وأخذ الدنانير، وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت، وقدَّر أن الرجل وافى[4] وطلب الشاهد بوديعته،

---

(١) الدابة: تطلق على كل ما دَبَّ على وجه الأرض.

(٢) الرَّحْبَة: البقعة.

(٣) وَاسِط: بلد سمي بالقصر الذي بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة.

(٤) أتى.

فأعطاه الكيس بختمه، فلما حصل في منزله فضّ ختمه فصادف في الكيس دراهم، فرجع إلى الشاهد فقال له: عافاك الله أردد عليَّ مالي فإني آستودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها، فأنكره ذلك واستعدى عليه (١) القاضي المقدم ذكرُه، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه، فلما حضرا سأل الحاكم: منذ كم أودعته هذا الكيس؟ قال: منذ خمس عشرة سنة. فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها، فإذا هي دراهم حديثة ـ منها ما قد ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها ـ فأمره أن يدفع الدنانير إليه، فدفعها إليه وأسقطه وقال له: يا خائن، ونادى مناديه: ألا إن فلان ابن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد فآعلموا ذلك ولا يغترن به أحد بعد اليوم. فباع الشاهد أملاكه بواسط وخرج عنها هارباً فلم يعلم له خبر ولا أحس منه أثر.

أخبرنا أبو محمد القرشي قال: آستودع رجل رجلاً مالاً ثم طلبه فجحده فخاصمه إلى إياس بن معاوية فقال الطالب: إني دفعت المال إليه. قال: ومن حضر؟ قال: دفعته في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد. قال: فأي شيء في ذلك آلموضع؟ قال: شجرة. قال: فآنطلق إلى ذلك آلموضع وآنظر آلشجرة فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يتبين به حقك، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت، فتتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى الرجل، قال إياس للمطلوب: آجلس حتى يرجع خصمك، فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة ثم قال له: يا هذا، أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا. قال: يا عدوَّ الله، إنك لخائن. قال أقلني ـ أقالك الله ـ، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال له إياس: قد أقر لك بحقك فخذه.

حدثنا ابن السماك قال: آختصم إلى قاضي القضاة الشامي يوماً رجلان وهو

---

(١) آستعان به عليه.

بجامع المنصور فقال أحدهما: إني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير. فقال للآخر: ما تقول؟ قال: ما أسلم إليّ شيئاً. فقال للطالب: هل لك بَيِّنَةٌ؟ قال: لا ـ قال: ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا، لم يكن هناك إلا الله عز وجل. قال: فأين سلمتها إليه؟ قال بمسجد بالكرخ. فقال للمطلوب: أتحلف؟ قال: نعم. قال للطالب: قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه وآئتني بورقة من مصحف لأحلفه بها. فمضى الرجل وآعتقل القاضي الغريم، فلما مضت ساعة آلتفت القاضي إليه فقال: تظنّ أنه قد بلغ ذلك المسجد؟ فقال: لا، ما بلغ إليه. فكان هذا كالإقرار، فألزمه بالذهب فأقرّ به.

ابن أبي دؤاد

حدثنا أبو العيناء قال: ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي دؤاد ما خرجت من عنده يوماً فقال يا غلام خذ بيده، بل كان يقول: يا غلام آخرج معه. فكنت أفتقد هذه الكلمة عليه، فلا يخل بها ولا أسمعها من غيره.

يحي بن أكثم

ذكر أبو علي عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي يقول: سمعت أبي يقول: وُلِّيَ يحي بن أكثم قضاء البصرة وسنه عشرون أو نحوها قال: فآستصغره أهل البصرة فقال له أحدهم: كم سن القاضي؟ قال: فعلم أنه قد آستصغره فقال له: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل آليمن، وأنا أكبر من كعب بن سوار الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على أهل البصرة.

حفص بن غياث

حدثنا ابن الليث قال: باع رجل من أهل خراسان جِمَالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر، فَمَطَلَهُ[1] بثمنها وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره، فقال: آذهب إليه فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، وآخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فآئتني حتى أشاور عليك. ففعل الرجل، فأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم، فرجع إلى الرجل فأخبره فقال: عُدْ إليه فقل له: إذا ركبت غداً فطريقك على القاضي فأحضر وأوكل رجلاً بقبض آلمال وأخرج، فإذا جلس إلى القاضي فآدع عليه بما بقي لك من المال. ففعل ذلك، فحبسه القاضي فأخرجته أم جعفر وقالت لهارون: قاضيك حبس وكيلي، فمره لا ينظر في الحكم، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصاً الخبر فقال للرجل: أحضر لي شهوداً حَتى أسجل لك على المجوسي قبل ورود كتاب أمير المؤمنين، فحضر فقال للرجل: مكانك. فلما فرغ من آلسجل أخذ الكتاب، فقرأه وقال للخادم: آقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد وقد أنفذت الحكم.

المطلب بن محمد الحنطبي

حدثنا المدايني قال: كان المطلب بن محمد الحنطبي على قضاء مكة، وكان عنده امرأة قد مات عنها أربع أزواج، فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي!!

أبو حازم

قال المؤلف: وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني. فقال له: أوَ ليس قد طلقتها؟ قال:

(١) سَوَّفَه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

لا. قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلاّ اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فآحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي، وأنت في عافية.

قال أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي: حدثني من أثق به أن قاضياً من القضاة سألته زوجته أن يبتاع [1] لها جارية فتقدم إلى النخاسين بذلك، فحملوا إليه عدّة جوارٍ، فآستحسن إحداهنّ، فأشار على زوجته بها قال: أبتاعها لك من مالي. فقالت: ما لي إليه حاجة، ولكن خذ هذه الدنانير فآبتعها لي بها، وأعطته مائة دينار، فأخذها فعزلها في مكان وخرج، فآشتراها لنفسه وأعطى ثمنها من ماله، وكتب عُهْدَتَها بآسمه، وأعلم الجارية بذلك سراً واستكتمها [2] فكانت زوجته تستخدمها، فإذا أصاب خلوة من زوجته وَطِيءَ الجارية فآتفق يوماً أنها صادفته فوقها فقالت له: ما هذا يا شيخ سوء زانٍ؟ أما تتقي الله، أما أنت من قضاة المسلمين؟ فقال: أما الشيخ فنعم، وأما الزنا فَمَعَاذَ اللهِ، وأخرج عُهدة الجارية بآسمه، وعرفها الحيلة، وأخرج دنانيرها بختمها، فعرفت صحة ذلك، ولم تزل تداريه حتى باعها.

أخبرنا التنوخي عن أبيه قال: سمعت قاضي القضاة أبا السائب يقول: كان ببلدنا همذان رجل مستور، فأحب القاضي قبول قوله، فسأله عنه فزكي له سراً وجهراً، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله وأمر بأخذ خطه في كتب ليحضر، فيقيم الشهادة فيها، وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود، فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسئل القاضي عن سبب ذلك فقال: آنكشف لي أنه مُراء، فلم يسعني قَبول قوله. فقيل له: وكيف؟ قال: كان يدخل إليّ في

---

(١) يشتري.

(٢) سألها أن تكتمه.

كل يوم فأعـد خُطُوَاتِه مـن حيث تـقعُ عيني عليه من داري إلى مجلسي، فلما دعوته آليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك آلمكان، فإذا هي قد زادت خُطوتين أو ثلاثاً، فعلمت أنه متصنع فلم أقبله.

ابن أبي دؤاد

قال أبو بكر الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: كان الأفشين يحسد أبا دلف ويبغضه للفروسية والشجاعة، فآحتال عليه حتى شهد عليه عنده بخيانة وقتل، فأحضر السيَّاف فبلغ ابن أبي دؤاد، فركب مع من حضر من عدوله، فدخل في الأفشين ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تحمله إليه مسلّماً، ثم آلتفت إلى العدول فقال: آشهدوا أني قد أديت الرسالة عن أمير المؤمنين إليه، فلم يقدم الأفشين عليه، وسار ابن أبي دؤاد إلى المعتصم فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما أعتد بعمل خير خيراً منها، وإني لأرجو لك آلجنة بها، ثم أخبره الخبر، فصوب رأيه ووجه من أحضر القاسم، فأطلقه ووهب له، وعنَّف[1] الأفشين فيما عزم عليه.

قال ابن قتيبة: شهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس وزيدوناً، فقيل له ـ حين آنصرف ـ: والله ما أجاز شهادتك.

أبو ضمضم

تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي، فآدعى أحدهما على الآخر طنبوراً وأنكر المدعى عليه، فقال المدعي: لي بَيِّنَةٌ، فجاء برجلين فشهدا. فقال المدعى عليه: أَيُّها القاضي، سلهما عن صناعتهما، فقال أحدهما: أنا نَبَّاذ، وقال الآخر:

(١) لاَمَهُ وعتب عليه.

هو قَوّاد. فآلتفت القاضي إلى المدعى عليه فقال له: أتريد على طنبور أعدل من هذين قم فأعطه طنبوره.

آختصم رجلان في شاة وكل واحد منهما قد أخذ بأُذنها. فجاء رجل فقالا: قد رضينا بحكمك، فقال: إن رضيتما بحكمي فليحلف كل واحد منكما بالطلاق أنه لا يرجع فيما أحكم به، فحلفا. فقال: خلياها، فخلياها، فأخذ بأُذنها وساقها، فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه.

أبو عمر القاضي

قال المؤلف: بلغنا عن أبي عمر القاضي أنه قلد بعض الأعيان القضاء فذكر عنده بأشياء لا تليق بالقضاء، فأراد صرفه فعوتب على ذلك وقيل له: إن صح عندك ما رمي به فآعزله. فقال: ما صح عندي، ولا بد من صرفه. قيل: ولِمَ ذاك؟ قال: أليس قد آحتمل عِرْضُه أن يقال فيه مثل هذا، وتشبهت صورته بصورة من إذا رمي بهذا يصار أن يشك فيه، والقضاء أرق من هذا فصرفه.

أحمد ابن أبي دؤاد

دخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق فقال له: كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات، فذكرك بكل قبيح. فقال: الحمد لله ـ يا أمير المؤمنين ـ الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق عليَّ ورغبني عنه.

تقدم رجل إلى بعض القضاة ليشهد في كتاب بمهر فقال له القاضي: ما آسمك؟ قال: المسيب. فقال: اليوم لا.

الباب الثالث عشر
في سياق المنقول من ذلك عن علماء هذه الأمة وفقهائها

الشعبي

فمن المنقول عن الشعبي: قال مجاهد: دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مِئزر، فغمض عينيه، فقال داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان قال: فجعل يلقمني بيده ويقول: يا شعبي، لحَديثك أشهى إليّ من الماء البارد، ثم قال: كم عطاك؟ فقلت: ألفي درهم، فجعل يسار أهل الشام ويقول: لَحَنَ العراقي، ثم قال: كم عطاؤك لأرد قولي، فيغلطني، فقلت: ألفا درهم، فقال: ألم تقل ألفي درهم؟ فقلت: لَحَنْتَ يا أميرَ المؤمنين فَلَحَنْتُ، لأني كرهت أن تكون راجلاً وأكون فارساً. فقال: صدقت وٱسْتَحْيَا.

إبراهيم النخعي

ومن المنقول عن إبراهيم النخعي: قال الشيخ: حدثنا ٱلمبارك بن علي قال: حدثنا جرير عن مغيرة قال: كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه، خرجت الخادم[1] فقالت: ٱطلبوه في المسجد.

---

(١) الخادم: واحد الخَدَم، غلاماً كان أو جارية.

قال القرشي: حدثني الأعمش عن إبراهيم قال: أتاه رجل فقال: إني ذكرت رجلاً بشيء، فبلغه عني، فكيف لي أن أعتذر إليه؟ قال: تقول: والله إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء!

وقال علي بن هاشم عن رجل قد سماه قال: كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول: ان سئلتم عني، فقولوا: لا ندري أين هو فإنكم إذا خرجتم لا تدرون أين أكون!!

الأعمش

ومن المنقول عن الأعمش: أخبرنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً من ناحية، فجلسنا في ناحية أخرى، وفي الموضع خليج[1] من ماء المطر، فجاء رجل عليه سواد، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة. قال: قُمْ عبِّرني هذا الخليج، وجذب بيده، فأقامه وركبه، وقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[2] فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ثم رمى به، وقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً، وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ﴾[3]. ثم خرج وترك المسود يتخبط في الماء.

حدثنا أبو بكر بن عياش قال: كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء، فقرأوا عليه، وكان أبو حصين إمامهم. فقال الأعمش يوماً: إنَّ أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم، حتى يفرغ ويتعلم بغير شكر، ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه: إنَّ أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في صلاة الفجر، فإذا كان غداً فاقرأ عليَّ «الصافات» وآهمز «الحوت»[4]، فلما كان من الغد

(١) نهر.

(٢) الآية: ١٣ - من سورة الزخرف.

(٣) الآية: ٢٩ - من سورة المؤمنون.

(٤) أي: قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾. الآية: ١٤٢ - من سورة الصافات. والمعنى: أن ينطق بالألف مهموزة لا موصولة، فيقول «أحوت».

قرأ عليه الرجل «الصافات» وهمز «الحوت»، ولم يأخذ عليه الأعمش، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بـ «الصافات» في الفجر، فلما بلغ الحوت همز، فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه، فقال له الأعمش: يا أبا فلان، لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لقي «الحوت» من هذا المحراب، فعلم أبو حصين ما الذي فعل به، فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد. قال: وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد.

أخبرنا أبو الحسن المدايني قال: جاء رجل إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد، آكْتَرَيْتُ[1] حماراً بنصف درهم فأتيتك لأسألك عن حديث كذا وكذا، فقال: اكثر بالنصف وآرجع.

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه

ومن المنقول عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: أخبرنا ابن آلمبارك قال: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة، وشُوي لهم فَصِيل[2] سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل فتحيروا. فرأيت أبا حنفية، وقد حفر في الرمل حفرة، وبسط عليها السُّفْرَة[3]، وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا آلشِّواءَ بالخل، فقالوا له: تحسن كل شيء. فقال: عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم.

حدثنا محمد بن الحسن قال: دخل اللصوص على رجل، فأخذوا مَتاعه وآستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يعلم أحداً، قال: فأصبح الرجل وهو يرى

---

(١) استأجرت.

(٢) الفصيل: ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

(٣) السُّفْرَةُ:المائدة التي يُبسط عليها الطعام.

اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أنْ يتكلم من أجل يمينه، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أحضرني إمام حيك والمؤذن والمستورين منهم، فأحضره إياهم فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم. قال: فآجمعوا كل ذي فجر عندكم وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد، ثم أخرجوا واحداً واحداً، فقولوا: هذا لصك؟ فإن كان ليس بلصة قال: لا، وإن كان لصه فليسكت، فإذا سكت فآقبضوا عليه، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة، فردَّ الله عليه جميع ما سرق منه.

حدثنا حسين الأشقر قال: كان بالكوفة رجل من الطالبيين من خيارهم، فمرّ بأبي حنيفة، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد ابن أبي ليلى. قال: فإذا رجعت فأحب أن أراك - وكانوا يتبركون بدعائه - فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام، وإذ رجع مرّ بأبي حنيفة، فدعاه وسلم عليه فقال له أبو حنيفة: ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى؟ فقال: شيء كتمته الناس، فأملت أن يكون لي عنده فرج. فقال أبو حنيفة: قل ما هو. قال: إني رجل موسر [1] وليس لي من الدنيا إلا ابن، كلّما زوجته آمرأة طلّقها وإن آشتريت له جارية أعتقها. قال: فما قال لك؟ قال: قال لي ما عندي في هذا شيء. فقال أبو حنيفة: آقعدْ عندي حتى أُخرجك من ذلك، فقرب إليه ما حضر عنده فتغدى عنده، ثم قال: آدخل أنت وآبنك إلى السوق فأي جارية أعجبته ونالت يدك ثمنها، فآشترها لنفسك لا تشترها له، ثم زوجها منه، فإن طلقها رجعت إليك، وإن أعتقها لم يَجُزْ عتقه، وإن ولدت ثبت نسبه إليك. قال: وهذا جائز؟ قال: نعم هو كما قلت. فمرّ الرجل إلى ابن أبي ليلى فأخبره، فقال: هو كما قال لك.

وعن أبي يوسف قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور

(١) موسر: غني.

ـ وكان يعادي أبا حنيفة ـ: يا أميرَ المؤمنين، هذا أبو حنيفة يخالف جدَّك، كان عبدالله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين! فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إن الربيع يرى أن ليس لك في رقاب جندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك، ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع، لا تَعَرَّض[1] لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تُشِيطَ بدمي[2]. قال: لا. ولكنك أردت أن تُشِيطَ بدمي، فخلصتك وخلصت نفسي.

حدثنا عبد الواحد بن غياث قال: كان أبو العباس الطوسي سيِّئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على أبي جعفر أمير المؤمنين وكثر الناس، فقال الطوسي: اليوم أقيد أبا حنيفة، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منّا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟ قال: بالحق. قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

حدثنا علي بن عاصم قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض لا تزد. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه يكثر، فتتبع مواضع السواد لعلّه يكثر.

حدثنا يحيى بن جعفر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: آحتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم،

---

(١) لا تتعرض، والمعنى: لا تتصدى.

(٢) أن تهدر دمي.

فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت: يا أعرابي، ما رأيك في السَّوِيق[1]؟ فقال: هات. فأعطيته سويقاً ملتوتاً بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عَطِشَ فقال: شربة. قلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فآستردت الخمسة وبقي معي الماء.

حدثنا عبد المحسن بن علي قال: ذكر أبو حنيفة وفطنته، فقال: آستودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة، فحج ثم رجع، فطلب وديعته، فأنكر آلمستودَع وجعل يحلف له، فآنطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره، فقال: لا تُعلم أحداً بجحوده. قال: وكان المستودَع يجالس أبا حنيفة، فخلا به وقال له: إن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يصلح للقضاء، فهل تنشط؟ فتمانع الرجل قليلاً، وأقبل أبو حنيفة يرغبه فآنصرف على ذلك وهو طمع، ثم جاء صاحب الوديعة، فقال له أبو حنيفة: آذهب إليه وقل له: أحسبك نسيتني، أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا. قال: فذهب الرجل فقال له، فدفع إليه الوديعة، فلما رجع المستودَع قال أبو حنيفة: إني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

حدثنا ابن الوليد قال: كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده، فقال يوماً لأبي حنيفة: إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة، وقد خطبت إليهم، وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج. فقال أبو حنيفة: فآستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك، فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه، جاء إلى أبي حنيفة فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أَبَوْا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله، فماذا ترى؟ قال: آحتل وآقترض

(١) السَّوِيقُ: طعام يعمل من الحنطة والشعير.

حتى تدخل بأهلك، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن اقرضه، فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فآكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وأنه يريد حمل أهله معه، فآشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك، فقال لهم أبو حنيفة: له أن يخرجها إلى حيث شاء. قالوا له: ما يمكننا أن ندعها تخرج. فقال لهم أبو حنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوه إلى ذلك. فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرئوك منه، فقال له الفتى: وأنا أريد منهم شيئاً آخرَ فوق ذلك، فقال أبو حنيفة: أيما أحب إليك، أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال: فقال الرجل: اللهَ اللهَ لا يسمعون بهذا، فلا آخذ منهم شيئاً، فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

أخبرنا أحمد بن الدقاق قال: بلغني أن رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج، فقال أهل المرأة: نسأل عنه أبا حنيفة، فأوصاه أبو حنيفة، فقال: إذا دخلت عليَّ فضع يدك على ذكرك، ففعل ذلك، فلما سألوه عنه قال: قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم.

وبلغنا أنَّ رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع لا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة: ليس هذا فقهاً فأحتال لك فيه، ولكن آذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى، ففعل الرجل ذلك فلم يمضِ إلاَّ أقل من رُبُع الليل حتى ذكر آلموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله عز وجل.

ابن عون

ومن المنقول عن ابن عون: قال أبو بكر القرشي: حدثنا ابن مثنى أنّ ابن عون كان في جيش، فخرج رجل من المشركين، فدعا للبراز، فخرج إليه ابن عون وهو متلثم، فقتله ثم آندس، فجهد الوالي أن يعرفه فلم يقدر عليه، فنادى مناديه أعزم على من قتل هذا المشرك إلاّ جاءني، فجاءه ابن عون فقال: وما على الرجل أن يقول أنا قتلته.

وعن يحي بن يزيد قال: جاء شرطي يطلب رجلاً من مجلس ابن عون، فقال: يا أبا عون، فلاناً رأيته؟ قال: ما في كل الأيام يأتينا، فذهب وتركه.

هشام بن الكلبي

ومن المنقول عن هشام بن الكلبي: أخبرنا محمد بن أبي السري قال: قال لي هشام بن الكلبي: حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على [عدم] حفظ القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوماً في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة.

عمارة بن حمزة

ومن المنقول عن عمارة بن حمزة: بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور، فجلس على مرتبته المرسومة له، فقام رجل فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين. فقال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي. فقال: المنصور: قم يا عمارة فآجلس مع خصمك، قال: ما هو لي بخصم. قال: وكيف وهو يتظلم منك؟ قال: إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد تركتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين بالرفعة فيه، فأجلس في أدناه بسبب ضيعة.

عبدالله بن المبارك رضي الله عنه

ومن المنقول عن ابن المبارك رضي الله عنه: قال ابن حميد: قال عَطَسَ رجل عند ابن المبارك، فلم يحمد الله. فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال: الحمد لله. قال: يرحمك الله.

قاضي القضاة أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمها الله

ومن المنقول عن أبي يوسف رحمه الله تعالى: حدثنا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: حدثني أبي قال: كان عند الرشيد جارية من جواريه وبحضرته عِقْدُ جوهر، فأخذ يقلبه ففقده فاتهمها به، فسألها عن ذلك فأنكرت، فحلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدقنه، فأقامت على الإنكار وهو متهم لها، وخاف أن يكون قد حنث في يمينه، فاستدعى أبا يوسف وقص عليه القصة، فقال أبو يوسف: تخليني مع الجارية وخادم معنا حتى أخرجك من يمينك، ففعل ذلك. فقال لها أبو يوسف: إذا سألك أمير المؤمنين عن العقد فأنكريه، فإذا أعاد عليك السؤال فقولي قد أخذته، فإذا أعاد عليك الثالثة فأنكري، وخرج. فقال للخادم: لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى، وقال للرشيد: سلْها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد فإنها تصدقك. فدخل الرشيد فسألها، فأنكرت أول مرة، وسألها الثانية، فقالت نعم قد أخذته. فقال: أي شيء تقولين؟ فقالت: والله ما أخذته، ولكن هكذا قال لي أبو يوسف، فخرج إليه فقال: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد خرجت من يمينك؛ لأنها أخبرتك أنها قد أخذته، وأخبرتك أنها لم تأخذه، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين، وقد خرجت أنت من يمينك. فسرَّ ووصل أبا يوسف، فلما كان بعد مدة وجد العِقْدَ.

وبلغنا أن الرشيد قال لأبي يوسف: ما تقول في الفالُوذَج واللَّوْزِينَج[1] أيهما أطيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا أقضي بين غائبين عني. فأمر بإحضارهما، فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى نصَّف جاميهما، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

يزيد بن هارون

ومن المنقول عن يزيد بن هارون: قال أحمد بن محمد بن يحيي بن سعيد القطان: قال لي يزيد بن هارون: أنت أثقل عندي من نصف رَحَى[2] البزر. قلت: يا أبا خالد، لِمَ لَمْ تقل من الرحى كلِّه؟ فقال: إنه إذا كان صحيحاً تدحرج وإذا كان نصفاً لم يرفع إلاّ بجهد.

الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

ومن المنقول عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: حدثنا الحسن بن الصباح قال: لما أن قدم الشافعي إلى بغداد، وافق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد. قال: فبكر الناس ليهنوا الرشيد، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن، فجعل الناس يقولون: كيف ندعو لهما؟ فإنا إذا فعلنا ذلك كان دعاءً على الخليفة، وإن لم نَدْعُ لهما كان تقصيراً. قال: فدخل الشافعي، فجلس فقيل له في ذلك، فقال: الله الموفق، فلما أذن دخل الناس، فكان أول متكلم الشافعي فقال:

لا قصّرا عنها ولا بلغاها حتى يطولَ على يديْك طوالها

(١) اللَّوْزينَج: من الحلواء شبه القطائف، يُؤْدَم بدهن اللَّوْز.

(٢) الرحى: حجر الطاحون.

قال عبد العزيز بن أبي رجاء: سمعت الربيع يقول: مرض الشافعي، فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عبدالله، قوّى الله ضعفك. فقال: يا أبا محمد، والله لو قوّى الله ضعفي على قوتي أهلكني. قلت: يا أبا عبدالله، ما أردت إلاّ الخير، فقال: لو دعوت الله عليَّ لعلمت أنك لم تردْ إلاّ الخير.

قال المؤلف: من فقه الشافعي رضي الله عنه أنه أخذ بظاهر اللفظ، فعلم أنه إذا قوي الضعف حصل الأذى. وقد جاء في حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه علَّم رجلاً دعاء فقال قل: «اللهمَّ قوِّ في رِضَاكَ ضَعْفِي» إلاّ أن معناه: قوِّ ما ضعف. وفي هذا نوع تجوز. والربيع تجوز، والشافعي قصد الحقيقة.

حدثنا الربيع قال: رأيت الشافعي وقد جاءه رجل يسأله عن مسألة: فقال: من أهل صنعاء أنت؟ قال: نعم. قال: فلعلك حداد؟ قال: نعم.

حدثنا حرملة بن يحي قال: سمعت الشافعي، وقد سأله رجل فقال: حلفت بالطلاق إن أكلت هذه الثمرة أو رميت بها. قال: تأكل نصفها، وترمي نصفها.

مسائل من الطلاق تحتاج إلى فطنة وذكاء

قال المؤلف: وهذا المنقول عن الشافعي هو قول أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه. وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيراً لا يكاد يتنبه له في الفتوى إلاّ الفَطِن، فنذكر منه ههنا مسائل؛ لأن ذكر مثل هذا ينبه ٱلْفَطِن.

فمنها: إذا قال لزوجته وهي في ماء: إن أقمت في هـذا الماء فأنت طالق، وإن خرجت منه فأنت طالق، فإننا ننظر، فإن كان الماء جارياً ولا نية له لم تطلق سواء خرجت أو أقامت، وإن كان راكداً فٱلحيلة أن تحمل في الحال

مكرهة. فإن كانت على سُلّم فقال لها: إن صعدت فيه أو نزلت أو أقمت أو رميت نفسك أو حطّك[1] أحدٌ، فأنت طالق، فإنها تنتقل إلى سلم آخر. فإن أكل رطباً كثيراً، ثم قال: أنت طالق ان لم تخبريني بعدد ما أكلتُ، فخلاصها أن تَعُدَّ من واحد إلى عدد يتحقق أنّ ما أكله قد دخل فيه. فإن أكل رطباً، فقال لها: أنت طالق إن لم تميزي نوى ما أكلتُ من نوى ما أكلتِ، وقد اختلط، فإنها تفرد كل نواة على حِدة. فإن قال لها: أنت طالق إن لم تصدقيني هل سرقت مني أم لا، فإنها إذا قالت سرقت ما سرقت لم تطلق. فإن كان له ثلاث زوجات فاْشترى لهنَّ خمارين[2]، فاْختصمن عليها، فقال: أنتن طوالق إن لم تختمر كلُّ واحدة منكن عشرين يوماً في هذا الشهر، فالوجه أن تختمر الكبرى والوسطى بالخمارين عشرة أيام، ثم تدفع الكبرى الخمار إلى الصغرى ويبقى خمار الوسطى إلى تمام العشرين يوماً، ثم تـأخذ الكبرى خمار الوسطى إلى تمام الشهر.

مسألة: إذا سافر بالنسوة سفراً قدره ثلاثة فراسخ[3]، ومعه بغلان، فاْختصمن على الركوب، فحلف باْلطلاق لتركبن كـلّ واحـدة منكـن فـرسخين، فتركـب الكبرى والوسطى فرسخاً، ثم تنزل الوسطى وتركب الكبرى مكانها، وتركب الصغرى مكان الوسطى إلى تمام المسافة وتركب الوسطى مكان الكبرى عند تمام الفرسخين. والله أعلم.

مسألة: إذا حمل إلى بيته ثلاثين قارورة عشرة ملأى وعشرة في كـل واحـدة نصفها وعشرة فرغ، ثم قال: أنتن طوالق إن لم أقسمها بينكنّ بالسوية من غير أن أستعين على القسمة بميزان ولا مكيال، فإنه يملأ خمساً من المنصفات بالخمس الأُخر، ثم يدفع إلى كل واحدة خمسة مملوءة وخمسة فرغاً.

---

(١) أنزلك.

(٢) مثنى خِمَار: ثوب تغطي به المرأة رأسها.

(٣) الفَرْسخ: مقياس للمسافات مقداره ثلاثة أميال أو ٥٥٤٤ متراً.

فإن رأى مع زوجته إناء فيه ماء، فقال: آسقنيه فآمتنعت، فحلف بالطلاق لا شربتِ هذا الماء، ولا أرقتِهِ ولا تركتِهِ في الإناء، ولا فعل غير ذلك فآلحيلة أن تطرح في الإناء ثوباً يشرب الماء، ثم يُجفف في الشمس.

فإن حلف رجل أن امرأته بعثت إليه: قد حرمت عليك وتزوجت بغيرك، وأوجبت عليك أن تبعث لي نفقتي ونفقة زوجي. فهذه امرأة زوجها أبوها من مملوكه، ثم بعث بالمملوك في تجارة فهات الأب، فإن البنت ترثه وينفسخ نكاح العبد، وتقضي العِدّة وتتزوج برجل فتبعث إليه أنفذ لي المال الذي معك فهو لي.

فإن كان له زوجتان إحداهما في الغرفة، والأخرى في الدار، فَصَعِدَ في الدَّرَجَةِ فقالت كل واحدة: إليّ، فحلف لا صعدت إليك ولا نزلت إليك ولا أقمت مكاني ساعتي هذه، فإن التي في الدار تصعد والتي في الغرفة تنزل، وله أن يصعد أو ينزل إلى أيتهما شاء.

فإن حلف على زوجته لا أُدخل بيتك بارية [1] ولا وطئتك إلاّ على بارية، فوطئها في البيت ولم يحنث، فوجهه: أن يحمل إلى بيته قصباً، وينسج له الصانع بارية في البيت ويطأها عليه.

فإن حلف لا بد أن يطأ زوجته نهار يوم ولا يغتسل فيه من جَنَابة [2] مع قدرته على آستعمال الماء، ولا تفوته الصلاة في الجماعة مع الإمام، فإنه يصلي مع الإمام الفجر والظهر والعصر، ويطأها بعد العصر، فإذا غربت الشمس آغتسل وصلى مع الإمام.

---

(١) البَارِيَّة: الحصير آلخَشِن.

(٢) الجُنُب: اسم يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع. يقال: رجل جنب، وامرأة جنب ورجال جنب، ونساء جنب. وأصل الجنابة: البعد، ويقال للذي يجب عليه الغسل من حدث الجنابة: جنب، لأن جنابته تبعده عن الصلاة وعن المسجد وقراءة القرآن حتى يتطهر.

فإن حلف أني رأيت رجلاً يصلي إماماً بنفسين وهو صائم، فآلتفت عن يمينه، فنظر إلى قوم يتحدثون، فحرمت عليه امرأته وبطل صومه ووجب جلد المأمومين ونقض الجامع، فهذا رجل تزوج بامرأة قد غاب زوجها، وشهد المأمومان بوفاته وأنه وصى بداره أن تجعل مسجداً وكان مقيماً صائماً، فالتفت فرأى زوج المرأة قد قدم والناس يقولون خرج يوم الصوم وجاء العيد، وهو لم يعلم بأن هلال شوال قد رُؤي، ورأى إلى جانبه ماء وعلى ثوبه نجاسة، فإن المرأة تحرم عليه بقدوم زوجها، وصومه يبطل بكون اليوم عيداً، وصلاته تبطل برؤية الماء، ويجلد الرجلان لكونهما شاهدي زور، ويجب نقض المسجد لأن الوصية ما صحت والدار لمالكها.

فإن كان عنده تمر وتين وزبيب ووزن الجميع عشرون رطلاً، فحلف أنه باع التمر كل رطل بنصف درهم، والتين كل رطل بدرهمين، والزبيب كل رطل بثلاثة دراهم، فجاء ثمن الجميع عشرين درهماً، فإنه قد كان التمر أربعة عشر رطلاً، والتين خمسة أرطال، والزبيب رطلاً واحداً.

يحي بن المبارك اليزيدي

ومن المنقول عن أبي محمد يحي بن المبارك اليزيدي: قال محمد بن يحي النديم: حدثنا المبرد قال: سأل المأمون يحي بن المبارك عن شيء فقال: لا. وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. فقال: للهِ دَرُّكَ[1] ما وضعت واوٌ قَطٌّ موضعاً أحسن منها في هذا الموضع ووصله وجمله.

أبو العيناء

ومن المنقول عن أبي العيناء: أخبرنا محمد بن يحي قال: حدثنا أبو العيناء قال: قال المتوكل: قد أردتك لمجالستي، فقلت: لا أُطيق ذلك ولا أقول هذا

(١) يقال في المدح: لله دَرُّهُ. أي: عَمَلُهُ. ويقال في الذم: لا دَرَّ دَرُّهُ. أي: لا كَثُر خَيْرُهُ.

جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف، ولكنني محجوب والمحجوب تختلف إشاراته، ويخفى عليه الإيماء، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان، ومتى لم أُميز هذين هلكت. قال: صدقت، ولكن تلزمنا. فقلت: لزوم الفرض الواجب، فوصلني بعشرة آلاف درهم.

قال: وروي أن المتوكل قال: أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنه ضرير. فقال أبو العيناء: إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الهلال ونقش الخواتيم فإني أصلح.

وبلغنا عن أبي العيناء أنه شكا تأخر رزقه إلى عبدالله بن سليمان، فقال: ألم يكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل في أمرك؟ قال: جرني على شوك المطل. قال: أنت آخترته. قال: وما عليَّ وقد آختار موسى قومه سبعين رجلاً [1] فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة، وآختار رسول الله ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مرتداً [2]، وآختار علي أبا موسى، فحكم عليه [3].

شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال، فقال أبو العيناء: لا أراني الله يوم فراغك. وقيل لأبي العيناء: بقي من يلقي؟ قال: نعم في البئر. وسئل أبو العيناء

---

(١) قال تعالى: ﴿وآخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا...﴾ الآية: ١٥٥ ـ من سورة الأعراف.

(٢) هو عبدالله بن سعد بن سرح، القرشي العامري، أخو عثمان لأمه من الرضاعة. أرضعته أم عثمان. وهو أول من كتب الوحي بمكة، ثم آرتد ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله ﷺ ـ وكان قد أهدر دمه فيمن أهدر من الدماء ـ فجاء إلى عثمان بن عفان فآستأمن له، فأمنه رسول الله ﷺ، ثم حسن إسلام عبدالله بن سعد جداً.

(٣) إشارة إلى ما جرى بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص يوم التحكيم، حيث خلع أبو موسى علياً ومعاوية ـ على أن يكون الامر شورى بيـن الناس ليتفقوا على من يختارونه لأنفسهم ـ وجاء عمرو فخلع علياً وأثبت معاوية.

عن حماد بن زيد بن درهم، وعن حماد بن سلمة بن دينار فقال: بينهما في القدر ما بين أبوابهما في الصرف.

إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري

ومن المنقول عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثنا غلام لابن المزوق البغدادي قال: كان مولاي مكرماً لي، فآشترى جارية وزوجنيها فأحببتها حباً شديداً، وأبغضتني بغضاً شديداً عظيماً، وكانت تنافرني دائماً وأحتملها إلى أن أضجرتني يوماً، فقلت لها: أنت طالق ثلاثاً إن خاطبتِني بشيء إلاّ خاطبتك بمثله، فقد أفسدك آحتمالي لك، فقالت لي في الحال: أنت طالق ثلاثاً بتاتاً، قال: فأبلست [1] ولم أدرِ ما أجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت، فتصير بذلك طالقاً مني، فأرشدت إلى أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرى، فقال: أقم معها بعد أن تقول لها: أنت طالق ثلاثاً إن أنا طلقتك، فتكون قد خاطبتها به فوفيت بيمينك ولم تطلقها ولا تعاود الأيمان.

علي بن عيسى الربعي

ومن المنقول عن علي بن عيسى الربعي: أنه كان يمشي على دِجْلَةَ فرأى الرضي والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جني، فقال: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً بينهما وعلي يمشي على الشط بعيداً عنهما.

أبو الوفاء بن عقيل

ومن المنقول عن أبي الوفاء بن عقيل رضي الله عنه: حدثني أزهر بن عبد الوهاب قال: جاء رجل إلى ابن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمسني الماء، ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع؟

---

(١) يقال: أَبْلَسَ الرجلُ، إذا سكت غمّاً.

قال له: لا تصلِّ، فقيل له: كيف قلت هذا؟ قال: لأنَّ النبي ﷺ قال: «رُفِعَ القلمُ عَنْ ثلاثٍ: عن الصبيّ حتى يبلغَ وعن النائم حتى ينتبه وعن المجنون حتى يفيقَ» ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل، فهو مجنون.

قال: وحدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار عن ابن عقيل قال: بلغني أن السلطان محمد بن علي عزم على القدوم إلى بغداد، فخرجت متطيلساً فجلست على تل في طريقه، فلما وصل سأل عني فقيل: هذا ابن عقيل، فآنحرف فنزل وجلس معي، وقال: كنت أحب أن ألقاك وسألني عن مسائل في الطهارة، ثم قال لخادمه: أي شيء معك؟ فأخرج خمسين ديناراً. فقال: تقبل هذه؟ فقلت: لست بمحتاج فإن أمير آلمؤمنين لا يحوجني إلى أحد ولا أقبلها، فلما آنصرفت إلى المنزل إذا خادم قد جاءني بمال من عند الخليفة وشكر فعلي. قال: وأنا علمت أن ثَمَّ من هو عين للخليفة يخبره بما جرى.

وبلغني عن ابن عقيل أنه تعوّق يوماً عن الجمعة فجاءوه يستوحشون له، فقال: أنا صليت عند المنارة. وإنما عنى صناديق بيته ومنارة بيته.

المنقول عن بعض الفقهاء

ومن المنقول عن بعض الفقهاء: أنّ رجلاً قال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل، أتوجه إلى القِبلة أم إلى غيرها؟ قال: توجه إلى ثيابك التي نزعتها.

الباب الرابع عشر
في سياق المنقول من ذلك عن العباد والزهاد

السري السقطي

حدثنا جعفر الخلدي قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: آعتللت بِطَرسُوس علة الذرب[1]، فدخل عليَّ هؤلاء القراء يعودوني، فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله، فمددت يدي فقلت: اللهمَّ علمنا أدب العيادة.

ذو النون المصري

حدثنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن جعفر الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قيل لي: إنَّ ذا النون يعرف آسم الله الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة، ثم قلت له: يا أُستاذي، إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي إنك تعرف آسم الله الأعظم، وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي، فأحب أن تعلمني إياه قال: فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني قال: فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل، وكان ذو النون يسكن الجِيزَة، فقال: تعرف فلاناً صديقنا من الفسْطَاط؟ قلت: نعم. قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه. قال: فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذي النون

---

(١) الذَّرَب: داء يَعرض للمعده، فلا تَهْضِم الطعام، ويَفسد فيها فلا تمسكه.

يوجه إلى فلان بهدية ترى أي شيء هي فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر ، فحللت المِنديل ورفعت المكبة ، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت . قال : فآغتظت غيظاً شديداً وقلت : ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة ، فرجعت على ذلك الغيظ ، فلما أن رآني عرف ما في وجهي ، فقال : يا أحمق ، إنما جربناك ائتمنتك على فأرة ، فخنتني أفأأتمنك على اسم الله الأعظم ؟ مرّ عني ، فلا أراك .

الباب الخامس عشر
في سياق المنقول من ذلك عن العرب وعلماء العربية

نزار بن معد وأولاده الأربعة

حدثنا علي بن المغيرة قال: لما حضرت نزار بن معد الوفاةُ[1] قسم ماله بين بنيه وهم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار فقال: يا بني هذه القبة الحمراء هي من أَدَم وما أشبهها من المال لمضر، فسمي مضر الحمراء. وهذا الخِبَاء [2] الأسود وما أشبهه من المال لربيعة، فأخذ خيلاً دهماً [3]، فسمي ربيعة الفرس. وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد، وكانت الخادم شَمْطاء، فأخذ إياد البَلَق. وهذه البَدْرَةُ والمجلس لأنمار يجلس فيه، فأُخذ أنمار ما صار له وقال لهم: إن أشكل الأمر عليكم في ذلك واختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى الجرهمي، فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كـلأً قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور، فقال ربيعة: وهو أزور، وقال أياد: وهو أبتر، وقال أنمار: وهو شَرُود، فلم يسيروا إلاَّ قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. قال إياد: هو أبتر؟ قال: نعم. قـال أنمار: هو شَرُود؟ قال:

---

(١) الوفاة: الموت.

(٢) الخِبَاء: واحد الأخْبِية، من وبر أو صوف ويكون على عَمُودَيْن أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت.

(٣) أسود.

نعم. هذه والله صفة بعيري دلوني عليه، فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أُصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته، فساروا حتى قدموا على نَجْرَان[1]، فنزلوا بالأفعى الجرهمي، فنادى صاحب البعير: أصحاب بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نَرَهُ. فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً، فعرفت أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لآزوراره. وقال إياد: عرفت بتره بآجتماع بعره ولو كان ذيالاً لمصع بعره به، وقال أنمار: عرفت أنه شَرُود أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته، ثم يجوز إلى مكان آخر أرق منه وأخبث. فقال الشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فآطلبه. ثم سألهم من هم؟ فأخبروه فرحب بهم وقال: تحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى؟ فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب وشربوا، فقال مضر: لم أَرَ كاليوم خمراً أجود لولا أنها على قبر. وقال ربيعة: لم أرَ كاليوم لحماً أطيب لولا أنه رُبي بلبن كلبة. وقال إياد: لم أرَ كاليوم رجلاً سرياً لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له. وقال أنمار: لم أَرَ كاليوم كلاماً أنفع من حاجتنا. فلما سمع صاحبهم كلامهم، فقال: ما هؤلاء إلاَّ شياطين، فسأل أمه فأخبرته أنها كانت تحت ملِك ولا يولد له ولد، فكرهت أن يذهب الملك، فأمكنت رجلاً نزل بهم من نفسها، فوطئها، وقال للقهرمان: الخمر التي شربناها ما أمرها؟ قال: من حبة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم ما أمره؟ فقال: شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم شيء غيرها. فأتاهم فقال: قصوا قصتكم، فقصوا عليه ما وصى به أبوهم وما كان من آختلافهم، فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فصارت له الدنانير والإبل وهنَّ حمر فسميت مضر الحمراء، وما أشبه الخِباء الأسود من

---

(١) نجران: بلدة من بلاد هَمْدَان من اليمن سميت بآسم بانيها: نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

دابة ومال فهو لربيعة، فصارت له الخيل وهي دهم فسمي ربيعة الفرس، وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بَلَق فهو لإياد، فصارت له الماشية البَلَق من الخيل والبقر. وقضى لأنمار بالدراهم والأرض، فساروا من عنده على ذلك.

قال مؤلف الكتاب: وٱعلم أن العرب تضرب المثل للذكي بالدهاء، فيقولون: أدهى من قيس بن زهير وهو سيد عبس، وكان شديد الذكاء، ومن كلامه: أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونَذْل[1] شبع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت.

عن الشعبي قال: خرج عمرو بن مَعْـدِيكَرب[2] يوماً حتى انتهى إلى حي، فإذا بفرس مشدودة ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وَهْدَةٍ[3] يقضي حاجته، فقلت له، خذ حذرك فإني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قلت: عمرو بن مَعْـديكَرِبَ. قال: يا أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذَ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى ٱحتبى بسيفه وجلس، فقلت له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهداً، فأنت أعلم، فتركته ومضيت، فهذا أحيل مَنْ رأيت.

عن أبي حاتم الأصمعي قال: حدثنا شيخ من بني العنبر قال: أسرت بنو شيبان رجلاً من بني العنبر، فقال لهم: أرسل إلى أهلي ليفدوني[4]. قالوا: ولا تكلم الرسول إلاّ بين أيدينا، فجاءوه برسول فقال له: ٱئت قومي فقل لهم: إن

---

(١) النَّذَالَة: السَّفَالَة. والنَّذْلُ: الخسيس.

(٢) مَعْـدِيكربُ: فيه ثلاثة لغات: مَـعْديـكربَ برفع الباء غير مصروف. ومَعْـديكَرِب: بفتح الباء، مضاف إليه غير مصروف، لأن كَرِبَ عنـد صـاحـب هـذه اللغـة مـؤنـث معـرفـة. ومَعْدِيكَرِبٍ: مضاف إليه مصروف. وياء مَعْدِي ساكنه بكل حالٍ.

(٣) الوَهْدَة: المكان المطمئن.

(٤) الفِدْية: عِوَضُ الأسير.

الشجر قد أورق، وإن النساء قد آشتكت، ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم أعقل. قال: فما هذا ـ وأشار بيده ـ؟ قال: هذا الليل. قال: أراك تعقل، آنطلق فقل لأهلي: عرّوا جملي الأصهب، وآركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثة عن أمري. فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى حارثة فقص عليه الرسول القصة، فلما خلا معهم قال: أما قوله: إن الشجر قد أورق، فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا. وقوله: إن النساء قد آشتكت، فإنه يريد أنها قد آتخذت الشكل للغزو وهي الأسقية. وقوله: هذا الليل، يريد يأتوكم مثل الليل أو في الليل. وقوله: عروا جملي الأصهب، يريد ارتحلوا عن الصمان. وقوله: اركبوا ناقتي يريد اركبوا الدهناء. فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحداً.

قال مؤلف الكتاب: وبلغني عن ابن الأعرابي قال: أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب، فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا [1] عليهما في الفِداء، فأعطيا به عطية لم يَرْضَوْها، فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين [2] يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم آنصرفا، فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كلمة لَئِنْ كان فيه خير لَيَنْجُوَنَّ، فما لبث أن جاء وطرد قطعة من إبلهم، فذهب بها. كأنه قال له: اِلزمْ الفرقدين على جبل طيء، فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه.

حدثنا ابن الأعرابي عن بعض مشايخه، أنّ رجلاً من بني تميم كانت له ابنة جميلة، وكان غيوراً، فآبتنى لها في داره صومعة، وجعلها فيها، وزوجها من أكفائه من بني عمها، وإن فتى من كنانة مرَّ بالصومعة، فنظر إليها ونظرت إليه فاشتد وجدُ كلٍّ واحد منهما بصاحبه ولم يمكنه الوصول إليها، وأنه آفتعل بيتاً من

(١) جاروا وظلموا.

(٢) الفرقدان: نجمان قريبان من القُطْب.

الشعر ودعا غلاماً من الحي، فعلمه البيت وقال له: ٱدخلْ هذه الدارَ وأنشد كأنك لاعب، ولا ترفع رأسك ولا تصوبه ولا تومىء في ذلك الى أحد، ففعل الغلام ما أمر به، وكان زوج الجارية قد أَزْمَعَ[(١)] على سفر بعد يوم أو يومين، فأنشأ الغلام يقول:

لَحَى الله من يُلحي على ٱلحبِّ أَهْلَهُ ... وَمَنْ يمنعُ النفسَ ٱللجوجَ هَواها

قال: فسمعت الجارية ففهمت، فقالت:

أَلاَ إنَّما بين التفرُّقِ ليلة ... وتُعْطَى نُفوسُ ٱلعاشقينَ مُنَاهَا

قال: فسمعت الأم ففهمت، فأنشأت يقول:

أَلاَ إنَّما تَعنون ناقة رحْلِكُم ... فَمَنْ كانَ ذا نوقٍ لديه رَعَاهَا

قال: فسمع الأب، فأنشأ تقول:

فإنّا سنرعاها وَنُوثِقُ قَيْدَها ... ونطردُ عنها الوحشَ حين أَتَاهَا

فسمع الزوج ففهم، فأنشأ يقول:

سَمِعْتُ الَّذي قُلْتُم فها أنا مُطَلِّقٌ ... فَتَاتكم مَهْجُورة لِبَلاَهَا

قال: فطلقها الزوج وخطبها ذلك الفتى وأرغبهم[(٢)] في المهر فتزوجها.

حدثنا العتبي قال: ٱشتد الحر عندنا بالبصرة ليلة، وركدت الريح، فقيل لأعرابي: كيف هواؤكم البارحة؟ قال: أمسك كأنه يستمع.

حدثنا الربيع قال: سمعتُ الشافعيَّ يقول: وقف أعرابيّ على قوم فقال: رحمكم الله إني من أبناء سبيل وأَنْضَاء سفر، فرحم الله ٱمْرَأً أعطى من سعة وواسى من كفاف، فأعطاه رجل درهماً فقال له: آجرك الله من غير أن يبتليك.

---

(١) يقال: أزمع الأمرَ، وأزمع على الأمر والمعنى: ثَبَّتَ عليه عَزْمَهُ.

(٢) رغبهم.

عن ابن الأعرابي قال: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟ فقال: نعم. فتجاعلا جُعْلاً، فلما شربه آذاه، فقال: كبش أملح ونبت أقبح وأنا فيه أسجح، فقال: أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الْحَضر قال: فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله آمرأة وآبنان وآبنتان منها، قال: فقلت لآمرأتي: اِشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً - أنا وآمرأتي وآبناي وآبنتاي وآلأعرابي - قال: فدفعنا إليه الدجاجة، فقلنا: اِقسمها بيننا - نريد بذلك أن نضحك منه - قال: لا أحسن القِسْمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم. قلنا: فإنا نرضى. قال: فأخذ رأس الدجاجة، فقطعه، ثم ناولنيه وقال: الرأس للرئيس، ثم قطع آلْجَناحين قال: وآلْجَناحان للابنين، ثم قطع السَّاقين فقال: والساقان للابنتين. ثم قطع الزمكى وقال: العَجُزُ[1] للعجوز. ثم قال: والزَّوْرُ[2] للزائر، فأخذ الدجاجة بأسرها، فلما كان من الغد قلت لآمرأتي: اِشوي لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء، قلنا: آقسم بيننا، قال: أظنكم وجدتم من قسمتي أمس. قلنا: لا لم نجد، فآقسم بيننا، فقال: شفعاً أو وتراً؟ قلنا: وتراً. قال: نعم. أنت وآمرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى بدجاجة، ثم قال: وآبناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية، ثم قال: وآبنتاك ودجاجة ثلاثة، ثم قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه قال: ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي: الوتر ما تجيء إلاّ هكذا، قلنا: فآقسمها شفعاً قال: فقبضهنَّ إليه ثم قال: أنت وآبناك ودجاجة أربعة، ورمى إليه بدجاجة، والعجوز وآبنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهنَّ

(١) العَجُزُ: بضم الجيم مُؤَخَّرُ الشيء.
(٢) الزَّوْرُ: بالفتح أعلى الصَّدْرِ.

بدجاجة، ثم قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة، وضم إليه ثلاث دجاجات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله أنت فهمتها لي.

قال: قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى كل شيء مني في إدبار وإدباري في إقبال.

حدثني مهدي بن سابق قال: أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه، والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم. قال: فاقرأ. فقرأ: ﴿وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾ (١) قال الرجل: فأين التين؟ قال: التين تحت كسائك.

حدثنا عيسى بن عمر قال: وُلِّي أعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه. قال: فقال الأعرابي: لا جرم (٢)، فهل أديتم دِيَتَهُ (٣)؟ فقالوا: لا. فقال: والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إليَّ دِيَتَهُ، فما خرجوا حتى دفعوها له.

حدثنا ابن قتيبة قال: كان أبو العاج على جوالي البصرة، فأُتي برجل من النصارى، فقال: ما اسمك؟ فقال: بندار شهر بندار! فقال: أنتم ثلاثة وجزية (٤) واحدة لا والله العظيم. فأخذ منه ثلاث جزًى.

---

(١) الآية: ١ و ٢ - من سورة التين.

(٢) لا جَرَمَ: للعلماء فيها أقوال، أشهرها قولان:
الأول: أن «لا جَرَمَ» بمعنى «حقاً». و«لا» و «جرم» عند أصحاب هذا القول كلمة واحدة. وهذا قول لسيبويه وقول للخليل والفراء. حكاه النحاس. الثاني: أن معناها لا بدّ ولا محالة. وهو قول آخر للفرّاء والخليل. حكاه الثعلبي.

(٣) الدِّيَةُ: ما تعطى عوضاً عن دم القتيل إلى وليه.

(٤) الجِزْيَة: مبلغ معين من المال يوضع على الرؤوس من أهل الكتاب أو المجوس.
والأصل في فرض الجزية على الذميين، إيجاد التوازن في الدولة عن طريق التكافؤ. ومن هنا فرضت الجزية على أهل الذمة في مقابل فرض الزكاة على المسلمين. وكان في الزكاة معنى

قال: وولي تبالة، فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير ولاني بلدكم هذه، وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي هذا، ولن أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً، فكانوا يتعاطون الحق بينهم، ولا يرتفعون إليه.

قال: رُوي أن أعرابياً جاء إلى عمرو بن عبيد، فقال له: إنّ ناقتي سرقت، فادع الله أن يردّها عليَّ. فقال: اللهمَّ إن ناقة هذا الفقير سرقت، ولم تُرِدْ سرقتها، اللهمَّ أرددها عليه. فقال الأعرابي: يا شيخ، الآن ذهبت ناقتي ويَئِسْتُ منها. قال: وكيف؟ قال: لأنه إذا أراد أن لا تسرق فسرقت، لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع، ونهض من عنده منصرفاً.

حاجب بن زرارة

استأذن حاجب بن زرارة على كسرى، فقال له الحاجب: مَنْ أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له، فلما وقف بين يديه قال له: مَنْ أنت؟ قال: سيد العرب. قال: ألَم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى ولكنني وقفت بباب الملِك وأنا رجل منهم، فلما وصلت إلى الملِك سدتهم، فقال كسرى: زه[1] احشوا فاه دراً.

قال الجاحظ: قال رجل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء. قال: تجرّ فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي.

قال: كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغنوي رُقعة فيها:

= تعبدي، بينما كان في الجزية معنى قانوني دولي خاص. وقد لاحظ القرطبي ذلك في قوله: الجزية وزنها فِعلة، من جزى يجزي، إذا كافأ عما أسدِي إليه، فكأنهم أعطَوْها جزاءَ ما منِحوا من الأمن.

وفي مقادير الجزية اختلاف حسب أحوال الناس من غنى أو فقر أو توسط.

(١) كلمة تعجب.

رأيتُ في النومِ أني مالِكٌ فرساً ... ولي نصيفٌ وفي كفي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ ... رَأَيتَ خيراً وللأحلامِ تفسيرُ
أُقْصُصْ مَنَامَكَ في دارِ الأمير تَجِدْ ... تحقيقَ ذاك وللفَالِ ٱلتَّباشِيرُ

فلما قرأها كتب في ظهرها ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ (١).

قال: أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له. قال: كيف تراه؟ قال: أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك؛ لأنك لو تركته لأورثك الشك.

قيل: نزل أعرابي في سفينة، فٱحتاج إلى البِراز (٢)، فصاح: الصلاةَ الصلاةَ، فقربوا إلى الشطِّ، فخرج فقضى حاجته، ثم رجع، قال: ادفعوا فصلاتكم بعد وقت.

وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: ٱسمي وثيق، وقال الآخر: منيع، وقال الآخر: ٱسمي ثابت، وقال الآخر: ٱسمي شديد. فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عملت إلا من أسمائكم.

قال هشام بن عبدالملك يوماً لأصحابه: من يسبني ولا يَفْحَشُ وهذا ٱلْمُطْرَفُ (٣) له؟ وكان فيهم أعرابي، فقال ألقه يا أحول، فقال: خذه قاتلك الله.

وقف أبو العيناء على باب صاعد، فقيل له: هو يصلي فٱنصرف، وعاد فقيل له: في الصلاة. فقال: لكل جديد لَذَّةٌ.

سئل الحسن: لأي شيء استحب صوم أيام البيض (٤)؟ فقال: لا أدري. فقال أعرابي في حلْقته لكني أدري. قال: وما هو؟ قال: لأنَّ القمر لا ينكسف إلا

---

(١) الآية ٤٤ من سورة يوسف.

(٢) البِرَازُ: كناية عن قضاء الحاجة.

(٣) المُطْرَفُ: ثوب من خزٍّ له أعلام. ويقال: ثوب مربع من خز.

(٤) يقال: صامَ أيامَ البيضِ، وفي الكلام حذف والتقدير: أيامَ الليالي البيض، وهي ليلةُ ثلاثَ =

فيهن فأحب الله عز وجل أن لا يحدث في السماء أمر إلا حدثت له في الأرض عبادة.

حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك فجعل يَمُدُّ يديه، فقال له الحاجب: كُلْ مما بين يديك. فقال: من أجدب أنْتجع [1]. فشق ذلك على سليمان وقال: لا يَعُدْ إلينا.

ودخل أعرابي آخر فمدَّ يديه فقال له الحاجب: كُلْ مما يليك فقال: من أخصب [2] تخير، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

حدَّث ابن المدبر قال: آنفرد الرشيد، وعيسى بن جعفر بن المنصور، والفضل بن الربيع في طريق الصيد، فلقوا أعرابياً فصيحاً، فولَعَ به عيسى إلى أن قال له: يا ابن الزانية. فقال له: بئسما قلت قد وجب عليك ردّها أو العِوَض فـآرْضَ بهذين آلمليحين يحكمان بيننا. قال عيسى: قد رضيت، فقالا للأعرابي: خذ منه دانقين [3] عِوضاً من شتمك، فقال: هذا الحكم؟ قال: نعم. قال: فهـذا دِرْهَم [4] خذوه، وأمكم جميعاً زانية، وقد أرجحت [5] لكم بدل ما وجب لي

= عَشْرَةَ، وليلةُ أرْبَعَ عشرة، وليلةُ خَمْس عشرة. وسميت هذه الليالي بالبيض، لاستنارة جميعها بالقمر.

وقد ورد غير ما حديث يدل على استحباب صيام «أيام البيض»، منها: حديث أبي هريرة في الصحيحين قال: أوصاني خليلي بثلاثٍ: صيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ... الحديث.

ومنها أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله «لا يُفْطِرُ أيامَ البيض في حَضَرٍ ولا سَفَرٍ» رواه النسائي بإسناد حسن.

(١) أي: من آفتقر وآحتاج سافر بعيداً طلباً للرزق.

(٢) أخصب: أي: وجد الخير الكثير.

(٣) الدَّانِق: بفتح النون وكسرها سُدُسُ الدِّرْهَم.

(٤) الدِّرْهَم: اسم للمضروب من الفضة وهو ستة دوانق.

(٥) أرجحت: أعطيت.

عليكم، فغلب عليهم الضحك، وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي، وضمه الرشيد إلى خاصته.

سمع أعرابي رجلاً يروي عن ابن عباس أنه قال: من نوى حِجَّةً وعاقه عنها عائق كتبت له. فقال الأعرابي: ما وقع العام كِرَاءٌ [1] أرخص من هذا.

نظر أعرابي إلى البدر في رمضان فقال: سمنت فأهزلتني أراني الله فيك السِّل [2].

ودعا أعرابي على عامل، فقال: صب الله عليك الصادات - يعني: الصَّفْع والصرف والصلب.

وقال أعرابي: اللهم من ظلمني مرة فأجزه، ومن ظلمني مرتين فأجزني وأجزه، ومن ظلمني ثلاث مرات فأجزني ولا تُجْزِهِ.

وقال أعرابي لآمرأته: أين بلغت قِدركم؟ قالت: قد قام خطيبها - تعني: الغليان -.

وقف المهدي على عجوز من العرب فقال لها: ممن أنت؟ فقالت: من طيء. فقال: ما منع طيئاً أن يكون فيهم آخر مثل حاتم. فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك. فعجب من سرعة جوابها، وأمر لها بصلة.

وقال الأصمعي: سألت أعرابية عن ولدها كنت أعرفه. فقالت: مات وتالله لقد آمنني الله بفقده المصائب، ثم قالت:

وَكُنْتُ أَخَافُ ٱلدَّهْرَ مَا كانَ باقياً ... فلمَّا تولّى ماتَ خوفي مِنَ الدَّهْرِ

سمع ابن الأعرابي رجلاً يقول: أتوسل إليكم بعلي ومعاوية. فقال له: جمعت بين ساكنين.

---

(١) الكِرَاء: الأجرة.

(٢) جملة: أراني الله فيك السّل: ظاهرها خبر لكن لو تأملنا حقيقتها لوجدناها دعاءً (وهي إنشاء) وأصلها: اللهمَّ أرني في البدر السّل. وهذا ما يعرف عند البلاغيين بـ «تبادل الخبر والإنشاء».

الباب السادس عشر
في ذكر من آحتال بذكائه لبلوغ غرض

الهرمزان

حدثنا محمد بن سعد قال: كان الهرمزان من أهل فارس، فلما آنقضى أمر جلولاء، خرج يزدجرد من حلوان إلى أصبهان، ثم أتى أصطخر، ووجهه الهرمزان إلى بلدة تستر، فضبطها وتحصن في القلعة، وحاصرهم أبو موسى، ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر، فبعث أبو موسى بالهرمزان ومعه اثنا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباجُ ومناطقُ[1] الذهب وأَسْوِرَةُ الذهب، فقدموا بهم المدينة في زِيِّهم[2] ذلك، فجعل الناس يعجبون، فأتوا بهم منزل عمر، فلم يصادفوه فجعلوا يطلبونه، فقال الهرمزان بالفارسية: قد ضل مِلككم، فقيل لهم: هو في المسجد، فدخلوا فوجدوه نائماً متوسداً رداءه. فقال الهرمزان: هذا مِلككم؟ قالوا: هذا الخليفة. قال: أما له حاجب ولا حارس؟ قالوا: الله حارسه حتى يأتي عليه أجله. فقال الهرمزان: هذا الملك الهني، فقال عمر: الحمد لله الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام، فآستسقى[3] الهرمزان، فقال عمر: لا يجمع عليك القتل والعطش، فدعا له بماء، فأمسك بيده، فقال عمر: اِشرب لا بأس عليك إني غير قاتلك حتى تشربه، فرمى بالإناء من يده، فأمر عمر بقتله، فقال: أوَ لم

---

(١) المِنْطَقُ: بالكسر ما شَدَدْتَ به وَسَطَكَ.

(٢) الزِّي: اللباس والهيئة.

(٣) آستسقى: طلب السَّقي.

تؤمني؟ قال: وكيف؟ قال: قلت لي لا بأس عليك، فقال الزبير وأنس وأبو سعيد: صدق. فقال عمر: قاتله الله أخذ أماناً ولا أشعر، ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان.

عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت المغيرة بن شُعبة يقول: ما خدعني قط غير غلام من بني الحرث بن كعب، فإني ذكرت امرأة منهم، وعندي شاب من بني الحرث، فقال: أيها الأمير، إنه لا خير لك فيها. فقلت: وَلِمَ؟ قال: رأيت رجلاً يقبلها، فأقمت أياماً، ثم بلغني أن الفتى تزوج بها، فأرسلت إليه فقلت: أَلَمْ تُعْلِمْني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: بلى. رأيت أباها يقبلها، فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمني ذلك.

قال الهيثم: وأخبرنا الفرات بن الأحنف بن مرح العبدي عن أبيه: أنّ رجلاً خطب إلى قوم، فقالوا ما تعالج[1]؟ قال: أبيع الدواب. فزوجوه، ثم سألوا عنه فإذا هو يبيع السنانير[2]، فخاصموه إلى شريح، فقال: السنانير دواب وأنفذ تزويجه.

أخبرنا الأصمعي أن محمد بن الحنفية أراد أن يقدم الكوفة أيام المختار، فقال المختار حين بلغه ذلك: إن في المهدي علامة يضربه رجل في السوق بالسيف فلا يضره، فلما بلغ ذلك محمداً أقام ولم يقدم الكوفة.

القاضي سعيد بن عبد الرحمن

أخبرنا داود بن الرشيد قال: قلت للهيثم بن عدي: بأي شيء آستحق سعيد ابن عبدالرحمن أنْ ولاه المهدي القضاء، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال: إن خبره في آتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك. قال: قلت: والله قد

(١) عالَجَ الشيء معالجة وعلاجاً: زاوله.

(٢) السَّنانيرُ: جمع سِنَّوْر وهو الهِرّ.

أحببت ذلك. قال: آعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال: أستأذن على أمير المؤمنين، فقال له الربيع: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا[1] صالحة، وقد أحببت أن تذكرني له، فقال الربيع: يا هذا، إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم، فكيف ما يراه لهم غيرهم، فآحتل بحيلة هي أرد عليك من هذه. فقال له: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه فلم تفعل، فدخل الربيع على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين، إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم، فقد آحتالوا لكم بكل ضرب. قال له: هكذا صنع الملوك فما ذاك؟ قال: رجل بالباب يَزْعُمُ[2] أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليه، فقال له المهدي: ويحك يا ربيع، إني والله أرىٰ الرؤيا لنفسي،

---

(١) الرؤيا: هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن فُعْلىٰ.
قال الراغب: والرؤية بالهاء: إدراك المرء بحاسة البصر، وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو: أرى أن زيداً مسافر، وعلى التفكر النظري نحو: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ الأنفال: ٤٨، وعلى الرأي: وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن.
ثم جميع المرائي تنحصر على قسمين:
١ ـ الصادقة: وهي رؤيا الانبياء ومن تبعهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم بندور، وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم.
٢ ـ والأضغاث: وهي لا تنذر بشيء وهي انواع:
الأول: تلاعب الشيطان ليحزنَ الرائي، كأن يرى انه قطع رأسه وهو يتبعه، أو رأى انه وقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك.
الثاني: أن يرى ان بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلاً ونحوه من المحال عقلاً.
الثالث: أن يرى ما تتحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام، وكذا رؤية ما جرت به عادته في اليقظة، أو ما يغلب على مزاجه ويقع عن المستقبل غالباً وعن الحال كثيراً، وعن الماضي قليلاً. راجع الفتح: ١٢/٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) الزعم: يطلق بمعنى القول، يقال: زعم فلان، أي: قال، ويطلق على الظن وهو رجحان الشيء، ويستعمل بمعنى الاعتقاد، لكن اكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه آرتياب.

فلا تصح لي، فكيف إذا آدعاها من لعله قد آفتعلها؟ قال: والله قلت له مثل هذا، فلم يقبل. قال: هات الرجل، فأدخل إليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك. ماذا رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين، آتياً أتاني في منامي فقال لي: أخبر أمير المؤمنين المهديَّ أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلِّب يواقيت، ثم يعدها، فيجدها ثلاثين ياقوتة، كأنها قد وهبت له، فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك، لم نعاقبك، لِعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت. قال له سعيد: يا أمير المؤمنين، فما أنا أصنع الساعة إذا صرت[1] إلى منزلي وعيالي، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صِفْراً[2]؟ قال المهدي: فكيف نعمل؟ قال: يجعل لي أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم، فقبض المال، وقيل: من يكفل بك، فمد عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه وآلزِّي، فقال: هذا يكفل بي، فقال له المهدي: أتكفل به؟ فآحمر وخجل وقال: نعم. وكفله وآنصرف. فلَمَّا كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً حرفاً وأصبح سعيد في الباب وآستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه قال: أين مِصْدَاق[3] ما قلت لنا؟ قال له سعيد: وما رأى أمير المؤمنين شيئاً؟ فضجع في جوابه، فقال سعيد: آمرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئاً. قال له المهدي: ويحك ما أجرأك على آلحَلِف بالطلاق. قال:

---

(١) رجعت.

(٢) الصِفْرُ: بالكسر: الخالي، يقال: بيتٌ صِفْرٌ من المتاع، ورجل صِفْرُ اليدين.

(٣) ما يُصَدِّق.

لأنني أحلف على صدق. قال له المهدي: فقد والله رأيت ذلك مبيناً. فقال لـه سعيد: الله أكبر، فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني. قال له: حُبَّةً وكرامةً ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت ثياب من كل صنف، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة، فأخذ ذلك وآنصرف، فلحق به آلخادم آلذي كان كفل به، وقال له: سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل؟ قال له سعيد: لا والله. قال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له. قال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله، وحدَّث به نفسه، وأسرَّ به قلبه، وشغل به فكره، فساعة نام خيل له ما حل في قلبه، وما كان شغل به فكره في المنام. قال له الخادم: فقد حلفت بالطلاق. قال: طلقت واحدة وبقيت معي على ثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم، وأتخلص وأتحصل على عشرة آلاف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكـب. قـال فبهـت الخادم في وجهـه وتعجـب من ذلك، فقال له سعيد: قد صدقتك وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك بي، فاستر عليَّ ذلك، ففعل. فطلبه المهدي لمنادمته، فنادمه وحظي عنده وقلَّده القضاء على عسكر المهدي فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

قال مؤلف الكتاب: هكذا رويت لنا هذه الحكاية.

عن عاصم الأحول قال: حدثنا سمير أن رجلاً خطب آمرأة وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوجك حتى تطلق. قال: آشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه وأقـام على آمرأته وآدعى القوم الطلاق، فقال لهم: كيف قلت؟ قالوا: قلنا لا نزوجك حتى تطلق ثلاثاً، فقلت: آشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً. فقال: أما تعلمون أنه كان تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى. قال: وكان تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى. قال: وكان تحتي فلانة بنت فلانة

فطلقتها؟ قالوا: بلى. قال فقد طلقت ثلاثاً. قالوا: ما هذا أردنا. فلما وفد شقيق ابن ثور إلى عثمان وقدم علينا شقيق أخبر أنه سأل عثمان عن ذلك فجعلها نية.

عن عوف بن مسلم النحوي عن أبيه قال: خرج عمر بن محمد صاحب السند وأصحابه يسيرون في بلاد الترك، فرأوا شيخاً ومعه غلام، وقد كان العدو ندر بهم، فهربوا، فقال له عمر: يا شيخ دلنا على قومك وأنت آمن. قال: أخاف إن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني، ولكن اقتل هذا الغلام حتى أدلك، فضرب عنق الغلام، فقال الشيخ: إنما كرهت إن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام فالآن قد أمنت. والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها، فضرب عنقه.

حدثنا الحسن بن عمارة قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك؟ فقال: حدثني. فقلت: حدثني الحكم بن عتبة عن يحي بن الجزار قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما أخذ الله عز وجل على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخـذ على أهل العلم أن يعلموا. قال: فحدثني أربعين حديثاً.

حدثنا الحميدي قال: كنا عند سفيانَ بن عُيينة، فحدثنا بحديث زَمْزَم «أنه لما شُرب له»[1] فقام رجل من المجلس ثم عاد، فقال له: يا أبا محمد أليس الحديث بصحيح الذي حدثتنا به في زمزم أنه لما شُرب له؟ فقال سفيان: نعم. فقال: إني قد شربت الآن دلواً من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث. فقال سفيان: اقعد فحدثه بمائة حديث.

حدثنا ابن ذر قال: كان الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عالٍ ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين

(١) يعني حديث: ماءُ زمزم لما شُرب له. رواه ابن ماجه وغيره من حديث جابر بن عبدالله.

يديه، فقال: يا أبا محمد، حدثني، فحدثه أحاديث، فقال: زدني، فزاده، فقال: زدني، فزاده، فدفعه في صدره فوقع إلى الوادي فتفاشى[1] ذلك، فآجتمع الحجاج وقالوا: سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج، فلما كثر ذلك أشفق سفيان، فنزل إلى الرجل فترك رأسه في حجرِه وقال: مالك؟ أي شيء أصابك؟ فلم يزل يركض رجليه ويزبد من فيه. قال: وكثر الضجيج، سفيان بن عيينة قتل رجلاً، فقال له: قم ويلك أما ترى الناس يقولون؟ فقال له وهو يخفي صوته: لا والله لا أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار ففعل فقام.

قال المحسن بن علي التنوخي عن أبيه قال: حججت في موسم آثنين وأربعين، فرأيت مالاً عظيماً وثياباً كثيرة تفرق في آلمسجد آلحرام، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: بخراسان رجل صالح عظيم النعمة وآلمال يقال له علي الزراد، أنفذ عام أول مالاً وثياباً إلى ههنا مع ثقة له، وأمره أن يعتبر[2] قريشاً، فمن وجده منها حافظاً للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثوباً. قال: فحضر الرجل عام أول، فلم يجد في قريش ألبتة أحداً يحفظ القرآن إلا رجلاً واحداً من بني هاشم، فأعطاه قسطه[3]، وتحدث الناس بالحديث ورَدّ باقي المال إلى صاحبه، فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب، فوجد خلقاً عظيماً من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن، وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته، وأخذوا الثياب والدراهم، فقد فنيت وبقي منهم من لم يأخذ، وهم يطالبونه، قال: فقلت: لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له.

حدثنا إبراهيم بن عبدالله قال: كنت في بيت عمتي ولها بنون فسألت عنهم

(١) ظهر وآنتشر.
(٢) يختبر ويمتحن.
(٣) القِسْطُ: الحصة والنصيب.

فقالوا: قد مضوا إلى عبدالله بن داود فأبطأوا [١]، ثم جاؤوا يذمونه وقالوا: طلبناه في منزله فلم نجده، وقالوا: هو في بُستينة له فقصدناه، وسلَّمنا عليه، وسألناه أن يحدثنا، فقال: متعت بكم أنا في شغل عن هذا. هذه البُستينة لي فيها معاش، وتحتاج أن تُسقى وليس لنا من يسقيها، فقلنا نحن ندير الدولاب ونسقيها، فقال: إن حضرتكم نية فآفعلوا، فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان، ثم قلنا له: حدثنا الآن، فقال: متعت بكم ليس لي نية في أن أحدثكم، وأنتم كانت لكم نية تؤجرون عليها.

أخبرنا علي بن المحسن عن أبيه قال: أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف [٢] الجسر سائلان أعميان، أحدهما يتوسل بأمير المؤمنين علي، والآخر بمعاوية، ويتعصب لهما الناس، ويجمعان القطع، فإذا آنصرفا فيقتسمان القطع، وكان يحتالان بذلك على الناس.

قال حدثنا عبدالواحد بن محمد الموصلي قال: حدثنا بعض فتيان آلْمَوْصِل [٣] قال: لما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رايق الموصلي، نهب [٤] الناس داره بالموصل، فدخلت لأنهبَ، فوجدت كيساً فيه أكثر من ألف دينار، فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك، فيبصرني بعض الجند، فيأخذه مني فطفت الدار، فوقعت على المطبخ، فعمدت إلى قدر كبيرة فيها سِكْبَاج [٥] فطرحت الكيس فيها، وحملتها على يدي، فكل من آستقبلني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القِدْر حتى سلمت إلى منزلي.

(١) تأخر مجيئهم.

(٢) الطَّرَف: الناحية.

(٣) الْمَوْصِل: بلد في العراق معروف وهو على دِجلة من الجانب الغربي.

(٤) النَّهْبُ: أي: الانتهاب، وهو الغلبةُ على المال والقهرُ.

(٥) السِّكْبَاجُ: نوع من الطعام.

وحدثني أبو الحسن بن عباس القاضي قال: رأيت صديقاً على بعض زواريق[١] الجسر ببغداد جالساً في يوم شديد الريح، وهو يكتب رقعة، فقلت: ويحك في هذا الموضع وهذا الوقت. قال: أريد أن أزور على رجل مرتعش، ويدي لا تساعدني، فتعمدت الجلوس ههنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح، فيجيء خطي مرتعشاً فيشبه خطه.

قال المحسن: وحدثني أبو الطيب بن عبد المؤمن قال: خرج بعض حذاق المكيدين من بغداد إلى حِمص ومعه امرأته، فلمّا حصل بها قال: إن هذا بلد حماقة[٢]، وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني، فقالت: شأنك، قال: كوني بموضعك ولا تجتازي بي ألبتة، فإذا كان كل يوم فخذي لي ثلثي رِطل[٣] زبيباً وثلثي رطل لوزاً نيئاً فاعجنيه وآجعليه وقت الهاجِرة[٤] على آجرة جديدة نظيفة لأعرفَها في آلْميضَأَة[٥] الفلانية ـ وكانت قريبة من الجامع ـ ولا تزيديني على هذا شيئاً ولا تمري بناحيتي، فقالت: أفعل. وجاء هو فأخرج جبة صوف كانت معه فلبسها وسراويل صوف ومئزراً، وجعله على رأسه، ولزم أُسطوانة[٦] يمر الناس عليها، فصلى نهاره أجمع لا يستريح إلا في الأوقات المحظور فيها الصلاة، فإذا جلس فيها سبح ولم يَنْطِق بلفظة، فتنبه على مكانه، وروعي مدة، ووضعت العيون عليه، فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام، فتحير أهل البلد في أمره، وكان لا يخرج من آلجامع إلاّ في وقت الهاجِرة في كل يوم دَفعة إلى تلك

(١) زواريق: جمع زورق. ضرب من آلسفن.
(٢) الحماقة: اسم من الحُمْق، بسكون الميم: قِلّة العقل.
(٣) الرَّطْلُ: معيار يوزن به، وكسره أشهر من فتحه. والرَّطْلُ: مِكيال أيضاً وهو بالكسر: وبعضهم يحكي الفتح.
(٤) الهَاجِرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.
(٥) الميضَأَة: بكسر الميم المِطْهَرَةُ يتوضأ منها.
(٦) الأُسطوانة: السَّارية، العمود.

الميضَأة فيبول فيها، ويعدل إلى الآجرة وقد عرفها وعليها ذاك المعجون، وقد صار منحلاً وصورته صورة الغائط[1] - فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط - فيأكله فيقيم أوده ويرجع، فإذا كان وقت صلاة ٱلعَتَمَة[2] أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته، وأهل حِمص يظنون أنه لا يَطعم الطعام ولا يذوق الماء، فعظُم شأنه عندهم فقصدوه وكلموه فلم يجبهم، وأطافوا به[3]، فلم يلتفت، وٱجتهدوا في خطابه، فلزم الصمت، فزاد مجلة عندهم حتى إنهم كانوا يتمسحون بمكانه، ويأخذون التراب من موضعه، ويحملون إليه المرضى والصبيان، فيمسح بيده عليهم، فلما رأى منزلته قد بلغت إلى ذلك، وكان قد مضى على هذا السَّمْت[4] سنة ٱجتمع مع ٱمرأته في المِيضَأة وقال: إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس فتعالي فٱعلقي بي وٱلطمي وجهي وقولي: يا عدو الله، يا فاسق قتلت ٱبني ببغداد وهربت إلى ههنا تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك، ولا تفارقيني وأظهري أنك تريدين قتلي بٱبنك، فإن الناس سيجتمعون إليك، وأمنعهم أنا من أذيتك وأعترف باني قتلته وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني، فٱطلبي قَوَدي بإقراري، وحملي إلى السلطان، فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات، أو ما ٱستوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم، فإذا تناهت أعطيتهم في ٱفتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً، فٱقبلي الفداء منهم، وٱجمعي المال وخذيه وٱخرجي من يومك إلى بغداد ولا تقيمي بالبلد فإني سأهرب وأتبعك.

---

(١) الغائط: المطمَئِن الواسع من الأرض، ثم أطلق الغائط على الخارج المستقذر من الإنسان كراهة لتسميته بٱسمه الخاص، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في المواضع المطمئنة، فهو من مجاز المجاورة (تسمية الشيء باسم ما يجاوره).

(٢) وقت صلاة العشاء.

(٣) يقال: أطاف به: أي: أَلَمَّ به وقاربه.

(٤) السَّمْتُ: الطريق. وهو أيضاً هيئة أهل الخير.

فلما كان من الغد جاءت المرأة فتعلقت به وفعلت به ما قال، فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا: يا عدوة الله، هذا من الأبدال (١)، هذا قوام العالم، هذا قطب (٢) الوقت، فأومأ إليهم أن آصبروا ولا تنالوها بشر فصبروا، وأوجز في صلاته ثم سلم وتمرغ في الأرض طويلاً ثم قال: أيُّها الناس، هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم؟ فآستبشروا بسماع كلامه وآرتفعت ضجة عظيمة وقالوا: لا. قال: إني إنما أقمت عندكم تائباً مما ذكرته، وقد كنت رجلاً في دفع وخسارة، فقتلت آبن هذه المرأة وتبت، وجئت إلى ههنا للعبادة، وكنت محدثاً نفسي بالرجوع لها لتقتلني خوفاً من أن تكون توبتي ما صحت، وما زلت أدعو الله أن يقبل توبتي ويمكنها مني إلى أن أجيبت دعوتي بآجتماعي بها وتمكينها من قودي (٣)، فدعوها تقتلني وأستودعكم الله. قال: فآرتفعت الضجة والبكاء، وهو مار إلى والي البلد ليقتله بآبنها. فقال الشيوخ: يا قوم: لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح، فآرفقوا بالمرأة وآسألوها قَبول الدية نجمعها من أموالنا، فطافوا بها وسألوها. فقالت: لا أفعل. فقالوا: خذي ديتين، فقالت: شعرة من آبني بألف دية، فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات، فقالت: آجمعوا المال، فإذا رأيته وطاب قلبي بقَبوله فعلت؛ وإلاّ قتلت القاتل، فجمعوا مائة ألف درهم وقالوا: خذيها، فقالت: لا أريد إلاّ قتل قاتل آبني في نفسي أثر، فأقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء حليهن، فأخذت ذلك وأبرأته من الدم وآنصرفت، وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد

---

(١) الأَبْدَالُ: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر.

(٢) القطب: باصطلاح الصوفية: سيد الأولياء الذي يدور عليه أمرهم.

(٣) القَوَد: القِصَاص.

بعدت، ثم هرب في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر حتى آنكشف لهم إنه كان حيلة بعد مدة طويلة.

قال: كان بالكوفة آمرأة قد ضاق بزوجها المعاش فقالت له: لو خرجت فضربت في البلاد، وطلبت من فضل الله تعالى. فخرج إلى الشام فكسب ثلاثمائة درهم، فآشترى بها ناقة فارهة [١]، وكانت زَعِرة، فأضجرته وآغتاظ منها ومن زوجته حيث أمرته بالخروج، فحلف بالطلاق ليبيعنها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم وأخبر زوجته، فعمدت إلى سِنَّوْر فعلقتها في عنق الناقة وقالت: أدخلها السوق ونادِ عليها من يشتري هذا السِّنَّوْر بثلثمائة درهم والناقة بدرهم ولا أفرق بينهما، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول: ما أحسنك ما أفرهك لولا هذا السنَّور الذي في عنقك.

أبو دلامة •

وبلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي، فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، تهب لي كلباً، فغضب وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول تهب لي كلباً! فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك؟ قال: لا بل لك؛ قال: فإني أسألك أن تهب لي كلبَ صيدٍ، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد أعدو على رجلي، فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين، فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، فهبني قصدت صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه؟ فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أين يبيتون؟ فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاً - أي: جمعاً - من عيال، فمن أين ما يتقوت به هؤلاء؟ قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب [٢] عامر وألف جريب غامر، فقال: أما

---

(١) الفارِه من الدواب: الجيد السَّير.

(٢) الجريب من الطعام والأرض: مقدار معلوم.

العامر فقد عرفته، فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه. قال: فأنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالدو[1]، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريباً واحداً عامراً. قال: من أين؟ قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، فقال: يا أمير المؤمنين، إذا حولوا منه المال صار غامراً، فضحك منه وأرضاه.

الضحاك بن مزاحم

كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم، فقال له يوماً: لِمَ لا تُسْلِم؟ قال: لأني أحب الخمر ولا أصبر عنها. قال: فأسلم وآشربها، فأسلم.فقال له الضحاك: إنك أسلمت الآن؛ فإن شربت حددناك[2]؛ وإن رجعت عن الإسلام قتلناك.

وروى ضمرة بن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها سراً، ثم قال لأهله: إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة، فآغتسلوا، فآغتسل هو وآغتسل أهله.

قال الجاحظ: كان رجل يرقي الضرس يسخر بالناس ليأخذَ منهم شيئاً، وكان يقول للذي يرقيه: إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد، فيبيت وجعاً فيبكر إليه، فيقول: لعلك ذكرت القرد. فيقول: نعم. فيقول: من ثَمَّ لم تنفع الرقية.

عقبة الأزدي

وبلغنا عن عقبة الأزدي أنه أُتي بجارية قد جُنَّتْ في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها، فعزم[3] عليها، فإذا هي قد سقطت. فقال لأهلها: أخلوني بها، قال لها: آصدقيني عن نفسك وعليَّ خلاصك، فقال: إنه قد كان لي

(١) الدَّوّ: المفازة، الصحراء المهلكة.

(٢) أقمنا عليك الحدّ.

(٣) يقال: عزم الراقي: كأنه أقسم على الداء.

صديق وأنا في بيت أهلي، وإنهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست ببكر، فخفت الفضيحة. فهل عندك حيلة في أمري؟ فقال: نعم. ثم خرج إلى أهلها، فقال: إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها، فاختاروا من أي عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها، وآعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يَهْلِكَ ويَفْسُدَ، فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من أذنها صمَّت وإن خرج من فمها خرست، وإن خرج من يدها شلت، وإن خرج من رجلها عرجت، وإن خرج من فرجها ذهبت عذرتها. فقال أهلها: ما نجد شيئاً أهون من ذهاب عذرتها، فأخرج الشيطان من فرجها، فأوهمهم أنه قد فعل، ودخلت المرأة على زوجها.

الأحنف بن قيس

لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له: لِمَ لطمتني؟ قال: جُعِلَ لي جُعْلٌ [١] أن ألطم سيد بني تميم قال: ماصنعت شيئاً، عليك بحارثة بن قدامة، فإنه سيد بني تميم فآنطلق فلطمه فقطع يده وذاك ما أراده الأحنف.

قال الشيخ: حكى لنا أبو محمد الخشاب النحوي قال: جاز بعض آلْحَاكَةِ [٢] على طبيب، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمرهندي، فقال: من لا يحسن مثل هذا؟ فرجع إلى زوجته فقال: آجعلي عِمامتي كبيرة، فقالت: ويحك أي شيء قد طرأ لك؟ قال: أريد أن أكون طبيباً. قالت: لا تفعل، فإنك تقتل الناس فيقتلوك، قال: لا بد. فخرج أول يوم، فقعد يصف للناس، فحصل قراريط [٣]، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة فآنظري أيش [٤]

(١) الجُعْلُ والجِعالة: ما جعل للإنسان من شيء على فعل. الأجرة.
(٢) الحَاكَةُ: جمع حائك، وهو الذي يحوك الثياب.
(٣) القيراط: نصف دانق. وأما القيراط الذي في الحديث، فقد جاء تفسيره فيه أنه مثل جبل أُحُد.
(٤) أيَّ شيء.

حصل. فقالت: لا تفعل، قال: لا بد. فلما كان في اليوم الثاني، اجتازت جارية، فرأته فقالت لسيدتها ـ وكانت شديدة المرض ـ اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك، قالت: آبعثي إليه فجاء ـ وكانت المريضة قد آنتهى مرضها ومعها ضُعْفٌ ـ فقال: عليَّ بدجاجة مطبوخة، فجيء بها، فأكلت، فقويت ثم استقامت، فبلغ هذا إلى السلطان، فجاء به فشكا إليه مرضاً يشتكيه، فاتفق أنه وصف له شيئاً صلح به، فآجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذاك الحائك، فقالوا له: هذا رجل حائك لا يدري شيئاً، فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه، فلا أقبل قولكم. قالوا: فنجربه بمسائل قال: افعلوا، فوضعوا له مسائل وسألوه عنها، فقال: إن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها؛ لأنّ الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلاّ الطبيب، ولكن أليس عندكم مارستان[1]؟ قالوا: بلى. قال: أليس فيه مرضى لهم مدة؟ قالوا: بلى. قال: فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟ قالوا: لا، فجاء إلى باب المارستان وقال: آقعدوا لا يدخل معي أحد، ثم دخل وحده وليس معه إلا قيِّم المارستان، فقال للقيِّم: إنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك، وإن سكت أغنيتك قال: ما أنطق. قال: فأحلفه بالطلاق ثم قال: عندك في هذا المارستان زيت؟ قال: نعم. قال: هاته، فجاء منه بشيء كثير، فصبه في قدر كبير، ثم أوقد تحته، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى، فقال لأحدهم: إنه لا يصلح لمرضك إلاّ أن تنزل إلى هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت، فقال المريض: اللهَ اللهَ في أمري، قال: لا بد. قال: أنا قد شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع، قال: أيش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟ قال: لا شيء. قال: فآخرج وأخبرهم، فخرج يعدو ويقول شفيت بإقبال هذا الحكيم، ثم جاء إلى آخر فقال: لا يصلح لمرضك إلاّ أن

(١) المَارَسْتَان: بفتح الراء، دار المرضى.

تقعد في هذا الزيت فقال: اللهَ اللهَ أنا في عافيةٍ، قال: لا بد. قال: لا تفعل، فإني من أمس أردت أن أخرج، قال: فإن كنت في عافية فآخرج وأخبر الناس بأنك في عافية، فخرج يعدو ويقول: شفيت ببركة الحكيم، وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له، والله الموفق.

بلغنا أن امرأة كان لها عشيق، فحلف عليها إن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك، فوعدته أن تفعل ذلك، فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة، فقالت لزوجها: أشتهي أصعد هذه النخلة فأجتني من رطبها بيدي، فقال: افعلي، فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت: يا فاعل من هذه المرأة التي معك. ويلك أما تستحي تجامعها بحضرتي، وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد، فنزلت فجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها أنه ما كان إلا وحده، ثم قال لها: آقعدي حتى أصعد أنا، فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها، فوطئها، فآطلع الزوج، فرأى ذلك فقال لها: جعلت فداك، لا يكون في نفسك شيء مما رميتني به، فإن من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت.

الفرزدق

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثني: أن الفرزدق مرَّ بآمرأة وعليه ثوب موشًّى فتعرض لها، فقالت جاريتها: ما أحسن هذا البُرْد، فقال: هل لك أن أُقبّل مولاتك وأهب لها هذا البرد؟ فقالت الجارية لمولاتها: ماذا يضرك من هذا الأعرابي الذي لا يعرفه الناس، فأذنت له فقبلها وأعطاها البرد، ثم قال للجارية: آسقني ماء، فجاءت الجارية بماء في قدح زجاج، ولما وضعته في يده

ألقاه من يده فآنكسر ، فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار ، فقال: يا أبا فراس، ألك حاجة؟ قال: لا ، ولكني آستسقيت من هذه الدار ماء فأتيت بقدح من زجاج، فوقع الإناء من يدي فآنكسر ، فأخذوا بردي رهناً ، فدخل الرجل فشتم أهله وقال: ردّوا على الفرزدق برده.

الباب السابع عشر
في ذكر من آحتال فآنعكس عليه مقصوده

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

حدثنا إبراهيم قال: لما أَسَنَّ[1] معاوية آعتراه أرق وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس[2]، فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه، قال: يا معشر العرب، هل فيكم من يفعل ما آمره به وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: تذهب بكتابي إلى مِلك الروم، فإذا صرت على بساطه أَذَّنْتَ، قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. قال: لقد كلّفت صغيراً وأعطيت كثيراً، فلما خرج وصار على بساط قيصر أَذَّنَ، فحارت البطارقة[3] واخترطوا سيوفهم، فسبق إليه مِلك الروم فجثـا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقه عليهم حتى كفوا، ثم ذهب به إلى سريره حتى صعد به، ثم جعله بين رجليه، فقال: يا معشر البطارقة، إن معاوية قد أَسَنَّ، وَمَنْ أسن أرق، وقد آذته النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس، وبالله ليرجعنَّ إليه على خلاف ما ظن، فكساه وحمله، فلما رجع إلى معاوية قال له: أوَ قد جئتني سالماً؟ قال: أما من قبلك فلا.

---

(١) كَبِرَ.

(٢) الناقوس: خشبة طويلة يضربها النصارى إعلاماً للدخول في الصلاة.

(٣) البطارقة: جمع بِطْريق، بكسر الباء: القائد من قوّاد الروم.

ويقال: ما ولي المسلمين أحد إلاّ وملِك الروم مثله، إنْ حازماً وإنْ عاجزاً، وكان الذي ملكه على عهد عمر بن الخطاب هو الذي دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العدو، وكان الذي على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وعمله.

حدثنا رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها، فلما صرت في الطريق ـ وقد سرت عدة فراسخ ـ تعبت وكنت على دابة وعليها خرجي ورحلي وقد قرب المساء، فإذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة، فنزل إليّ واستقبلني، وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني ففعلت، فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري، فأخذ بدابتي وجعل رحلي في بيت وطرح للدابة الشعير، وجاءني بماء حار ـ وكان الزمان شديد البرد، والثلج يسقط ـ وأوقد بين يدي ناراً عظيمة، وجاء بطعام طيب فأكلت، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم، فسألته عن طريق النوم، ثم سألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه، وكان في غرفة فمشيت، فلما صرت على باب المستراح، إذا باريَّة عظيمة فلما صارت رجلاي عليها نزلت، فإذا أنا في الصحراء، وإذا الباريَّة كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج تلك الليلة يسقط سقوطاً عظيماً، فصحت فما كلمني، فقمت وقد تجرح بدني إلاّ أني سالم، فجئت فاستظللت بطاق عند باب الحصن من الثلج، فإذا حجارة لو جاءتني وتمكنت من دماغي طحنته، فخرجت أعدو وأصيح، فشتمني فعلمت أن ذلك من جانبه، وطمع في رحلي، فلما خرجت وقع الثلج عليّ وبلّ ثيابي، ونظرت، فإذا أنا تالف بالبرد والثلج، فولد لي الفكر أن طلبت حجراً فيه نحو ثلاثين رِطلاً، فوضعته على عاتقي وأقبلت أعدو في الصحراء شوطاً طويلاً حتى أتعب، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر وجلست أستريح، فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وسعيت كذلك إلى الغداة، فلما كان طلوع الشمس، وأنا خلف الحصن إذ سمعت صوت باب الدير قد فتح، وإذا أنا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذي قد سقطت منه، فلما

لم يرني قال: يا قوم ما فعل؟ وأنا أسمعه وأظنه المشئوم قد رأى بقربه قرية، فقام يمشي إليها كيف أعمل؟ قال: وأقبل يمشي، فخالفته أنا إلى الباب ودخلت الحصن، وقد مشى هو من ذاك المكان يطلبني حوالي الحصن، فحصلت أنا خلف باب الحصن، وقد كان في وسطي سكين لم يعلم بها الراهب، فوقفت خلف الباب، فطاف الراهب، فلما لم يقف لي على أثر عاد ودخل وأغلق الباب، فحين خفت أن يراني ثرت[1] إليه ووجأته بالسكين فصرعته وذبحته، وأغلقت باب الحصن، وصعدت إلى الغرفة واصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت عليّ من تلك الثياب، وفتحت خرجي ولبست منه ثياباً، وأخذت كساء الراهب، فنمت فيه، فما أفقت إلا قريب العصر، ثم انتبهت فطفت الحصن حتى وقعت على طعام، فأكلت وسكنت نفسي، ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن، وأقبلت أفتح بيتاً بيتاً وإذا بأموال عظيمة من عين[2] وورِق[3] وأمتعة وثياب وآلات، ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتاز به وحيداً ويتمكن منه، فلم أدر كيف أعمل في نقل المال، فلبست من ثياب الراهب شيئاً ووقفت في صومعته أياماً أتراءى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لَئِلاَّ يشكوا فيَّ أني أنا هو، فإذا قربوا لم أبرز لهم وجهي إلى أن خفي خبري، ثم نزعت تلك الثياب وأخذت جوالقين[4] مما كان في الدير من تلك الأمتعة وملأتها مالاً، وجعلتها على الدابة وسقتها إلى أقرب قرية كانت، واكتريت فيها منزلاً ولم أزل أنقل منه الصامت[5] حتى حملته كله، ثم ما خف

---

(١) نهضت. يقال ثار إلى الشَّرِّ: نهض.

(٢) العين: ما ضُرب من الدنانير، وقد يقال لغير المضروب عين أيضاً.

(٣) الوَرِق: الدراهم المضروبة من الفضة.

(٤) الْجُوَالِق: وعاءُ الجمع.

(٥) الصامت: الذهب والفضة. يقال: ما لَهُ صامتٌ ولا ناطق: فالصامت: الذهب والفضة، والناطق: الإبل والغنم. أي: ليس له شيء.

وكثرت قيمته، حتى لم أدع إلاّ الأمتعة الثقيلة، وأكتريت عدة أحمال وحمير ورجَّالة، وجئت بهم دَفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة، حتى قدمت بلدي، وقد حصل لي عشرة آلاف درهم ودنانير كثيرة مع قيمة الأمتعة، وغصت في الأرض فما عرف خبري.

ابن أبي الطيّب القلانسي

عن علي بن الحسن عن أبيه قال: حدثنا جماعة من أهل جنديسابور فيهم كتَّاب وتجّار وغير ذلك، أنه كان عندهم في سنة ونيف [1] وأربعين وثلاثمائة، شاب من كتَّاب النصارى، وهو ابن أبي الطيب القلانسي، فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق [2]، فأخذته الأكراد وعذبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل، وكتب إلى أهله انفذوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أني أشربها فتلحقني سكتة فلا تشك الأكراد أني قد مِتّ، فيحملوني إليكم فإذا حصلت عندكم، فأدخلوني الحمام وآضربوني ليحمى بدني وسوّكوني بالأيارج، فإني أفيق.

وكان الفتى متخلّفاً وقد سمع أنه من شرب أفيوناً أسكت [3]، فإذا دخل الحمام وضرب وسوِّك بالأيارج برىء، فلم يعلم مقدار الشربة من ذلك، فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته فلفوه في شيء وأنفذوه إلى أهله، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وسوّكوه، فما تحرك وأقام في الحمام أياماً ورآه أهل الطب فقالوا: قد تلف، كم شرب أفيوناً؟ قالوا: وزن أربعة دراهم! فقالوا لهم: هذا لو شوي في جهنم ما عاش، إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب

---

(١) النَّيِّف: مِن واحد إلى ثلاثة، والبِضع: من أربع إلى تسع. ولا يقال نيف إلا بعد عِقد.

(٢) الرُّسْتَاقُ: مُعرَّب ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم.

(٣) سكن.

أربعة دوانيق أفيوناً أو وزن درهم أو حواليه، فأما هذا، فقد مات، فلم يقبل أهله ذلك فتركوه في الحمام حتى أراح[١] وتغيّر فدفنوه، وآنعكست الحيلة على نفسه.

بلال بن أبي بردة

قال المحسن: وقد رُوي قديماً مثل هذا، أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج[٢] وكان يعذبه. وكان كل من مات في الحبس رفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج آسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فآفعل وعليَّ غناك أبداً، فأخذ السجان المال ورفع آسمه في الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاتِه، فعاد إلى بلال فقال: أعهد، قال: وما الخبر؟ قال: إن الحجاج قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه مَيْتاً قتلني، وعلم أني أردت آلحيلة عليه، ولا بد أن أقتلك خنقاً فبكى بلال وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى، فأخذه السجان وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتاً قال: سلمه إلى أهله فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه.

وذكر ابن جرير وغيره أن المنصور دفع عبدالله بن علي إلى عيسى بن موسى سراً بالليل وقال: يا عيسى إن هذا أراد أن يزيل نعمتي ونعمتك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه فآضرب عنقه، وإياك أن

---

(١) أنتن.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي.

تَخُورَ[1] أو تَضْعُفَ، ثم كتب إليه: ما فعلت فيما أمرتك به؟ فكتب إليه: قد أنفذت ما أمرتني به، فلم يشك في أنه قتله، وكان عيسى قد أخبره كاتبه بالحال، فقال: إنما أراد قتلك وقتله؛ لأنه أمرك أن تقتله سراً ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به، قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في منزلك، فإن طلبه منك علانية أظهرته علانية.

ثم إن المنصور دسَّ على عمومته من يحركهم على مسألته عن عبدالله بن علي ويطمعهم في أنه يفعل وكلموه ورافعوه، فقال: عليَّ بعيسى بن موسى فأتاه، فقال: يا عيسى، قد علمت أني دفعت إليك عبدالله بن علي، وقد كلموني فيه فأتني به، فقال: يا أمير المؤمنين، ألم تأمرني بقتله؟ قال: لا. قال: أنت أمرتني بقتله. قال: كذبت، ما أمرتك بقتله ثم قال لعمومته: قد أقر لكم بقتل ابن أخيكم فآدعى أني أمرته بقتله وكذب، قالوا: فآدفعه إلينا نقيده. قال: شأنكم به فأخرجوه إلى الرحبة[2]، وآجتمع الناس، فشهر أحدهم سيفه وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت قال إي[3] والله، قال: ردوني إلى أمير المؤمنين، فردوه، فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني. هذا عمك حي سوي فأتاه به.

حدثنا الحارثي قال: اجتزت ببغداد في أيام المقتدر، وأنا حَدَثٌ[4] مع جماعة من مُجَّان[5] أصحاب الحديث، وإذا بخادم خَصِي جالس على دَكَّة[6] في

---

(١) تلين.

(٢) الرَّحْبَة: البقعة المتسعة.

(٣) بَلَى.

(٤) شاب.

(٥) مُجَّان: جمع ماجن وهو الذي لا يبالي ما صنع.

(٦) الدَّكَّةُ: المكان المرتفع يجلس عليه.

الطريق وبين يديه أدوية ومكاحل ومباضع [١]، وعلى رأسه مِظلّة خرق كما يكون الطبيب، فقلت لأصحابنا: ما هذا؟ فقالوا: خادم طبيب يصف للناس ويعالج ويأخذ الدراهم، وهذا من عجائب بغداد، فقلت: أنا أحب أن أخاطبه لأنظرَ كيف فهمه، فقال واحد منهم: فهمه لا أدري، ولكن نحب أن نَعْبَثَ به، فقلت: اْفعل. فتقدم إليه وتغاشى وتماوت وتمارض وقال: يا أستاذ يا أستاذ دَفَعَات، فضجر الخادم وقال: قـل - لا شفاك الله - أيش أصابك، أي طاعون ضربك قال: فقال له: يا أستاذ أجد ظلمة في أحشاي ومغصاً في أطراف شعري، وما آكله اليوم يخرج غداً مثل الجيفة، فصف لي صفة لما أنا فيه، قال: - وكان الخادم قد أعد الجواب - فقال: أمَّا مـا تجـد من مغص في أطراف شعرك فآحلق رأسك ولحيتك حتى يذهب مغصك، وأمَّا ظلمة في أحشائك، فعلق على باب جحرك قنديلاً يضيء مثل الساباط [٢] وأمَّا من تـأكله اليوم يخرج غداً مثل آلجيفة، فَكُلْ خراك وآربح النفقة. قال: فعطعط بنا العامة القيام، وضحكوا بنا، وانقلب الطَّنْزُ [٣] الذي أردنا بالخادم، وصار طنزاً بنا، فصار أقصى إرادتنا الهرب، فهربنا.

حدثنا الحسين بن عثمان وغيره: أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملِك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملِك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملِك في أمره وعلم أنه لا يكفر [٤] له إذا دخـل عليـه كما جرى رسم الرَّعية أن يقبّل الأرض بين يدي الملِك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه إلاّ راكعاً، ليدخلَ القاضي منه على تلك الحال عوضاً من تكفيره بين يديه، فلما

(١) المِبْضَع: بالكسر ما يُبضع به العِرْق والأديم.
(٢) السَّابَاط: سقيفة بين حائطين تحتها طريق.
(٣) الطَّنْزُ: السّخْرِيَة.
(٤) يُكَفِّر: أي: يَذِلُّ ويخضع.

وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد آستقبل الملِك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذٍ إلى الملِك، فعلم الملك من فطنته وهابه.

وقد روينا أن مُزَيْنَةَ[١] أسرت ثابتاً أبا حسان الأنصاري وقالوا: لا نأخذ فداءه إلا تيساً، فغضب قومه وقالوا: لا نفعل هذا، فأرسل إليهم: أعطوهم ما طلبوا، فلما جاءوا بالتيس قال: أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، فسموا مزينة التيس، فصار لهم لقباً وعبثاً.

كان مهيار الشاعر ألحى، والمطرز الشاعر كوسجاً، فمرّا بأبي الحسن الجهرمي فقال:

أضرط على الكوسج والألحى   وزِدْهما إنْ غَضِبَا سلحا[٢]

وأراد أن يتمها، فقال له المطرز: فكيف وقع لك أن تذكر علي بن أبي علي حاجب القادر بالله، والحسن بن أحمد صاحب القادر بعد علي بن أبي علي - وكان علي ألحى والحسن كوسجاً - فآنزعج الجهرمي وخاف أن يبلغه ذلك فيقابل عليه، فكتب إلى مهيار الديلمي يستعطفه:

أبا الحسن آصفحْ إنّ مثلي مَنْ جَنَى   ومثلكَ مَنْ أعفى من العدو أو عَفَا
أَئِن طوّحتْ بي هفوةٌ قلت جفوة   وحمّلت سمعي من عِتابِكَ مَا حَفَا

حدثني أبو بكر الخطاط قال: كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة، فكان الفقهاء يعيبونه بخطه، ويقولون: لا يكون خط أردأ من خطك، فيضجر من عيبهم إياه، فمرّ يوماً بمجلد يباع فيه خط أردأ من خطه، فبالغ في ثمنه، فآشتراه

(١) مُزَيْنة: اسم قبيلة.
(٢) السّلاَح: النَّجْوُ: ما يخرج من البطن.

بدينار وقيراط، وجاء له ليحتجّ عليهم إذا قرؤوه. فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه، فقال لهم: قد وجدت أقبح من خطي وبالغت في ثمنه حتى أتخلص من عيبكم، فأخرجه فتصفحوه وإذا في آخره آسمه وأنه كتبه في شبابه، فخجل من ذلك.

قال: كان بالبصرة مغنية جذرها خمس دنانير، وكانت مفرطة في حسن الصورة والغناء إلا أنها بدوية تقلب القاف كافاً، فدعيت لبعض أمراء البصرة، فغنت:

وما لي لا أبكي وأندب ناقتي

فجاء في كلامها وأندب ناكتي..

فقال الأمير: قد وزنا خمسة دنانير، فإذا كنت تندبينا فما نريد أن تقيمي عندنا، فصرفها وقد خجلت. والله أعلم

الباب الثامن عشر

في ذكر من وقع في آفة فتخلص منها بالحيلة

ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استعمل رجلاً من قريش على عمل فبلغه أنه قال:

إِسقني شَربةً ألذّ عليها ... وآسقِ بالله مثلها آبنَ هشامِ

فأشخصه إليه، وذكر أنه إنما أشخصه من أجل البيت، فضم إليه آخر فلما قدم عليه قال: ألست القائل:

إِسقني شربة ألذ عليها ... وآسقِ بالله مثلها آبن هشام

قال: نعم يا أمير المؤمنين:

عسلاً بارداً بماء سحاب ... إنني لا أحب شرب آلْمُدَام[1]

قال: الله الله، آرجع إلى عملك.

قال: حدثني عبيد راوية الأعشى قال: خرج النعمان إلى ظهر الحيرة، وكان معشاباً[2]، وكانت العرب تسميه خد العذراء فيه نبت الشِّيح والقَيْصُوم والْخُزَامى والزعفران وشقائق النعمان والأقحوان، فمرَّ بالشقائق، فأعجبته فقال: من نزع

---

(١) الْمُدَام: الخمر.

(٢) كثير العشب.

من هذا شيئاً فآنزعوا كَتِفَهُ، قال: فسميت شقائق النعمان، قال: فإنه ليسير فيها يوماً فآنتهى إلى وَهْدة[1] في طرف النجف، وإذا شيخ يخصف نعلاً، فوقف عليه ـ وقد سبق أصحابه ـ فقال: ممن أنت يا شيخ؟ قال: من بكر بن وائل، فقال: يا شيخ، ما لك ههنا؟ قال: طرد النعمان الرعاة فأخذوا يميناً وشمالاً، ووجدت وَهْدَة خالية، فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن، فقال: أوَ ما تخاف النعمان؟ قال: وما أخاف منه، والله لربما لمست بيدي هذه ما بين سرة أمه وعانتها، كأنه أرنب جَاثِم، قال: أنت أيها الشيخ؟ قال: نعم. قال: فهاج وجهه غضباً وطلعت أوائل خيله، فقالوا: حييت أبيت اللعن. قال: وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه، فقال النعمان: أيُّها الشيخ، كيف قلت؟ قال: أبيت اللعن، لا يهولَنَّك ذاك، فوالله لقد علمت العرب أنه ليس بين لابَتَيْها[2] أكـذب مني فضحك ثم مضى.

قال: طلب الحجاج الحكم بن أيوب من جبر بن حبيب، فخشي أن يجيء بـه فيعاقبه، فقال: تركته يتحرك رأسه يصب في حلقة الماء، والله لئن حمل على سرير لتكونن عورة عليه، فقيل له: انصرف.

حدثنا محمد بن قتيبة في حديث عبدالله بن مسعود أنه ذكر بني إسرائيل وتحريفهم وتغييرهم، وذكر عالماً كان فيهم عرضوا عليه كتاباً آختلقوه[3] على الله عز وجل، فأخذ ورقة فيها كتاب الله عز وجل، ثم جعلها في قرن، ثم علقه في عنقه، ثم لبس عليه الثياب، فقالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: آمنت بهذا الكتاب ـ يعني: الكتاب الذي في القرن ـ فلما حضره الموت نبشوه، فوجدوا القرن والكتاب، قالوا: إنما عني هذا.

---

(١) الوَهْدَة: المكان المطمئن.

(٢) اللاَّبَة: الحرَّة وهي الأرض ذات الحجارة السود.

(٣) آفتروه.

وعن الأصمعي عن أبيه قال: أتي عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: آضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلاّ غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما آدعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك، فضحك وخلى سبيله.

خالد بن صفوان التميمي

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: قال شبيب بن شيبة: دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد، فقال: يا أمير المؤمنين، إني والله ما زلت منذ قلّدك الله خلافته أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في هذه الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل. قال: فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك وأجلت الفكر فيك، فلم أرَ أحداً له مثل قدرك آتساعاً في الاستمتاع بالنساء منك، ولا بأضيق فيهن عيشاً، إنك ملكت نفسك آمرأة من نساء العالمين، واقتصرت عليها، فإن مرضت مرضت، وإن غابت غبت، وإن عركت عركت، وحرمت يا أمير المؤمنين نفسك من التلذذ بأطراف الجواري، ومعرفة آختلاف أحوالهن والتلذذ بما يشتهى منهن. فإن منهن يا أمير المؤمنين، الطويلة التي تشتهى لجسمها، والبيضاء التي تحب لروعتها، والسمراء اللعساء [1]، والصفراء العجزاء [2]، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك، وما يشتهى من نظافتهن. وتخلل خالد بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن، فلما فرغ قال: ويحك والله ما

---

(١) اللَّعَسُ: بفتحتين، لون الشَّفَةِ إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً، وذلك يُستملح.

(٢) عظيمة العَجُز.

سلك مسامعي كلام أحسن من هذا، فأعد عليَّ كلامك فقد وقع مني موقعاً، فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما آبتدأه، ثم آنصرف.

وبقي ابو العباس مفكراً فدخلت عليه أم سلمة، وكان قد حلف أن لا يتخذ عليها ووفى، فلما رأته مفكراً قالت: إني لأذكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه، أو أتاك خبر آرتعت له؟ قال: لا، فلم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد. قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها: ينصحني وتشتمينه، فخرجت إلى مواليها فأمرتهم بضرب خالد، قال[1]: فخرجت من الدار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين ولم أشك في الصلة، فبينما أنا واقف أقبلوا يسألون عني فحققت الجائزة. فقلت لهم: ها أناذا، فآستبق إليَّ أحدهم بخشبة فغمزت برذوني ولحقني فضرب كفله، وركضت ففتهم واستخفيت في منزلي أياماً، ووقع في قلبي أني أتيت من قبل أم سلمة، فما أشعر إلاّ بقوم قد هجموا عليَّ وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إلى قلبي أنه الموت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لم أرَ دم شيخ أضيع من دمي، فركبت إلى دار أمير المؤمنين، فلقيته خالياً، فنظرت في المجلس بيتاً عليه ستور رقاق، وسمعت حساً خلف الستر، فقال: ويحك وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب إنما اشتقت اسم الضَّرَّة من الضَّر، وإن أحداً لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلاّ ضر وتنغص، فقال أبو العباس: لم يكن هذا في الحديث. قال: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأنهن في القِدر يغلي عليهن، قال: برئت من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك ولا مرَّ في حديثك، قال: وأخبرتك ان الأربع من النساء شر مجموع لصاحبه يشيبنّه ويهرمنّه. قال: لا والله ما سمعت هذا منك. قلت: بلى والله. قال: أفتكذبني؟

(١) أي: خالد.

قلت: أفتقتلني؟ نعم والله يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن أبكار الإماء رجال، إلاّ أنه ليس لهنّ خُصى. قال خالد: فسمعت ضحكاً من خلف الستر، ثم قلت: نعم والله، وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش، وأنت تطمح بعينك إلى النساء والجواري. قال: فقيل لي من وراء الستر: صدقت والله يا عماه، بهذا حدثته ولكنه غير حديثك ونطق على لسانك، فقال أبو العباس: مالكَ قاتلكَ الله! قال: وآنسللت[1]، فبعثت إليّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب.

نصيب

قال: حدثني أيوب بن عناية قال: حدثني رجل من بني نوفل بن عبد مناف قال: لما أصاب نصيب من المال ما أصاب وكان عنده أم محجن وكانت سوداء، اشتاق إلى البياض، فتزوج امرأة سرية[2] بيضاء، فغضبت أم محجن وغارت عليه، فقال لها: والله يا أم محجن، ما مثلي يغار عليه إني شيخ كبير، وما مثلك يغار إنك لعجوز كبيرة، وما أحد أكرم عليّ منك ولا أوجب حقاً، فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه عليّ. فرضيت وقرت ثم قال لها بعد ذلك: هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة، فهو أصلح لذات البين، وألمّ للشعث[3] وأبعد للشماتة، فقالت: نعم اِفعل، وأعطاها ديناراً وقال لها: إني أكره أن ترى بك خصاصة أن تفضل عليك، فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداً بهذا الدينار. ثم أتى زوجته الجديدة فقال لها: إني أردت أن أجمعك إلى أم محجن غداً، وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن، فخذي هذا الدينار فآهدي لها به إذا أصبحت عندها غداً لَئِلاَّ ترى بك خصاصة، ولا تذكري لها الدينار، ثم أتى

(١) خرجت.

(٢) السُّرِّيَّة: الأمة التي بوأتها بيتاً. وهي منسوبة إلى السرّ وهو الإخفاء لأن الإنسان كثيراً ما يُسرها عن حُرّته.

(٣) الشَّعَث: انتشار الأمر والتفرق.

صاحباً له يستنصحه فقال: إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غداً، فائتني مسلّماً، فإني سأستجلسك للغداء، فإذا تغديت فسلْني عن أحبهما إليّ، فإني سأنفر وأعظم ذلك، فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فآحلف عليّ. فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة لأم محجن، ومر به صديقه، فآستجلسه، فلما تغديا أقبل الرجل عليه فقال: يا أبا محجن. أُحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك، فقال: سبحان الله! أتسألني عن هذا وهما يسمعان، ما سأل عن مثل هذا أحد! قال: فإني أُقسم عليك لتخبرني، فوالله لا عذرتك ولا أقبل إلا ذاك. قال: أما إذا فعلت فأحبهما إليّ صاحبة الدينار، والله لا أزيدك على هذا شيئاً، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة، وهي تظن أنه عناها بذلك القول.

القاضي أبو الحسين بن عتبة

قال حدثني القاضي أبو الحسين بن عتبة قال: كانت لي آبنة عم موسرة وتزوجتها فلم أوثرها لشيء من الجمال، ولكني كنت أستعين بمالها وأتزوج سراً. فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت عليّ إلى أن أطلق من تزوجتها، ثم تعود إليّ، فطال ذلك عليّ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري، فمكثت معي مدة يسيرة وسعي بها إلى آبنة عمي، فأخذت في المناكدة والتضييق عليّ، فلم يسهل عليّ فراق تلك الصبية، فقلت لها: آستعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها، حتى يتكامل لك خلعة[1] تامة الجمال وتبخري بالعنبر واذهبي إلى آبنة عمي فآبكي بين يديها، وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها، فإذا سألتك عن حالك، فقولي لها: إن ابن عمي قد تزوجني، وفي كل وقت يتزوج عليّ واحدة وينفق مالي عليها، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه، فإني أقدمه إليه، فإنها سترفعك إليّ، ففعلت فلما

(١) الخِلْعَة: ما يعطيه الإنسانُ غيرهَ من الثياب مِنحة.

دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها، وقالت لها: فالقاضي شر من زوجك، وهكذا يفعل بي وقامت فدخلت عليّ وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها، فقالت: هذه المشؤومة حالها مثل حالي، فأسمع مقالها واعتمد إنصافها، فقلت: أدخلا، فدخلتا جميعاً، فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: فذكرت ما وافقها عليه، فقلت لها: هل آعترف ابن عمك بأنه قد تزوج عليك؟ فقالت: لا والله، وكيف يعترف بما يعلم أني لا أقاره عليه، قلت: فشاهدت أنت هذه المرأة ووقفت على مكانها وصورتها؟ فقالت: لا والله، فقلت: يا هذه آتقي الله ولا تقبلي شيئاً سمعته؛ فإن الحساد كثير، والطلاب لإفساد النساء كثير، والحيل والتكذيب، فهذه زوجتي قد ذكر لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثاً بَتَّةً[1] فقامت ابنة عمي فقبّلت رأسي وقالت: قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي، ولم يلزمني حنث لآجتماعها بحضرتي.

حدثنا الأصمعي قال: أُتي المنصور برجل ليعاقبه على شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس[2] النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه.

سراقة بن مرداس البارقي

حدثنا أبو الحسن المدايني أن أحمد بن سميط أسر خمسمائة فأتى بهم المختار، فقتل مائتين وأربعين وحبس بعضاً، ومنَّ[3] على بعض، فكان ممن حبس من الأسرى سراقة بن مرداس البارقي، ثم أمر بقتله فقال: لا والله لا تقتلني حتى أنقض معك داري حجراً حجراً. قال: وما يدريك؟ قال: الأخبار الصادقة التي

---

(١) طلاقاً بائناً مقطوعاً عن الرجعة.

(٢) الوَكْس: النقص.

(٣) المنّ: إطلاق السراح من غير فِدية.

جاءت بها الكتب الناطقة، فأقبل المختار على عبدالله بن كامل وعلى أبي عمرة فقال: من يظهر أسرارنا، فأمر بتخليته، فقال سراقة: إنا قد أسرنا قوم لا نراهم، قال: هم هؤلاء وهم شرط الله، قال: لا والله لقد أسرنا قوم عليهم عمائم حمر على خيل بلق تطير بين السماء والأرض، قال: هذه الملائكة، فأعلم الناس ذلك يا سراقة، قال: فصعدت منارة وأعلمت الناس وحلفت لهم، فخلى سبيلي.

عباس بن سهل بن سعد الساعدي

حدثنا ابن عياض قال: استؤمن لعباس بن سهل بن سعد الساعدي من مسلم ابن عقبة يوم الحرة، فأبى أن يؤمنه فأتوه به ودعا بالغداء، فقال عباس: أصلح الله الأمير، والله لكأنها جفنة أبيك، كان يخرج عليه مطرف حرة حتى يجلس بفنائها، ثم يضع جفنته بين يدي من حضر، قال: صدقت كان كذلك، أنت آمن. فقيل للعباس: كان أبوه كما قلت؟ قال لا والله، لقد رأيته في عناء بحرة ما تخاف على ركابنا ومتاعنا أن يسرقه غيره.

الأصمعي

حدثنا دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: بعث إليَّ الرشيد، فدخلت فإذا صبية فقال: من هذه الصبية؟ فقلت: لا أدري، قال: هذه مواسة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله، قال: نعم، فقبِّل رأسها، فقلت: إن أطعته أدركته الغيرة فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصيته، فوضعت كمي على رأسها وقبلت كمي، فقال: والله يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك، أعطوه عشرة آلاف درهم.

واصل بن عطاء

حدثنا ابن البهلول أن أبا حذيفة ـ واصل بن عطاء ـ خرج يريد سفراً في رهط [1] ، فاعترضهم جيش من الخوارج، فقال واصل: لا ينطقنّ احدٌ ودعوني معهم، فقصدهم واصل، فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا، فقال: كيف تستحلون هذا وما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا؟ فقالوا: نعم، فما أنتم؟ قال: قوم من المشركين جئناكم مستجيرين لنسمع كلام الله، قال: فكفوا عنهم، وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن، فلما أمسك، قال واصل: قد سمعنا كلام الله فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه، وكيف ندخل في الدين، فقال: هذا واجب، سيروا فسرنا والخوارج والله معنا يحموننا فراسخ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه، فآنصرفوا.

قال أبو إسحاق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له، تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكرا وخرجا، فمرّا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: يا هذا، أي شيء خبر الحجاج؟ قال: على الحجاج لعنة الله. قالا: فمتى يخرج؟ قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني. قال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال المطلب: أتعرفني أنت؟ قال: لا. قال: أنا المطلب غلام أبي لهب معروف أُصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم، فتركه ومضى.

وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج آنفرد يوماً عن عسكره فمرّ ببستاني يسقي ضيعته، فقال: كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله المبيد الحقود عجل الله الانتقام منه، فقال له: أتعرفني قال: لا. قال: أنا الحجاج، فرأى أن دمه قد طاح، فرفع عصا كانت معه فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا

---

(١) الرَّهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم آمرأة.

أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي، وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا، فضحك منه وآنصرف.

وبلغنا أن الحجاج آنفرد يوماً عن عسكره، فلقي أعرابياً، فقال: يا وجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم. قال: فهلا شكوته إلى عبد الملك؟ فقال: لعنه الله، أظلم منه وأغشم، فأحاط به العسكر فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه فقالوا: هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه وقال: يا حجاج، قال: مالك؟ قال: السرّ الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد، فضحك وخلّاه.

ولقي الحجاج أعرابياً بفلاة، فسأله عن نفسه وعن عماله وسُعاته، فأخبره بكل ما يكره، فقال له: أنا الحجاج، قتلني الله إن لم أقتلك، قال: فأين حق الاسترسال؟ (١) قال: أولى لك ما أحسن ما تخلصت وخلّي سبيله.

قال: كان أبو الحسين بن السمّاك يتكلم على الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن من العلوم شيئاً إلا ما شاء الله، وكان مطبوعاً يتكلم على مذهب الصوفية، فكتبت إليه رُقعة: ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟ ففتحها فتأملها فقرأ: ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات، فلما رآها في الفرائض رماها من يده وقال، أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً، فعجب الحاضرون من حدة خاطره.

ويحكى أن مزيداً كان يدخل على بعض ولاة المدينة، فأبطأ عليه ذات يوم، ثم جاء، فقال: ما أبطأك عني؟ قال: جارة لي كنت أهواها منذ حين، فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها، فغضب الوالي وقال: والله لآخذنّك بإقرارك، فلما رأى الجد منه قال: فآسمع تمام حديثي، قال: وما هو؟ قال: فلما أصبحت خرجت

(١) الانبساط والاستئناس.

أطلب مفسراً يفسر لي رؤياي فلم أقدر عليه إلى الساعة، قال: ذلك في المنام رأيت؟ قال: نعم، فسكن غضبه.

وقد روينا عن أبي الفضل الربعي عن أبيه قال: قال المأمون يوماً وهو مغضب لأبي دلف: أنت الذي يقول فيك الشاعر:

إنّما آلدُّنيا أبو دلف بين بَاديه ومُحتضره
فإذا ولّى أبو دلف ولّت آلدّنيا على أثره

فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول عزور وملق معتاف وطلب عرف، وأصدق منه آبن اخت لي حيث يقول:

دعيني أجوبُ الأرض في طلب آلغِنى فلا الكرخ الدّنيا ولا الناسَ قاسم

فضحك المأمون وسكن غضبه.

كثير عزة

وروي أن عزة وبثينة آجتمعتا فتحدثتا، فأقبل كثير فقالت بثينة: أتحبين أن أبين لك أن كثيِّراً غير صادق في محبتك؟ قالت: نعم، قالت: آدخلي آلخِباء، فدخلت، فدنا كثير، فوقف على بثينة، فسلم عليها، فقالت له: ما تركت عزة فيك مستمتعاً لأحد، فقال كثير: والله لو أنَّ عزة أمة لوهبتها لك، فقالت: إن كنت صادقاً فقل في هذا شعراً فانشأ يقول:

رمتني على عمدٍ بثينة بعدما تولّى شبابي وارجحنَّ شبابُها
بعينين نجلاوينِ لو رقرقتهما لنوء الثريا لاستهل سحابُها

فبادرت عزة وكشفت الحجاب وقالت له: يا فاسق، قد سمعت البيتين، فقال لها: فآسمعي الثالث، قالت: وما هو؟ قال:

ولكنّها ترمين نفساً سقيمة لعزة منها صفوها ولبابُها

فآستحسنت عذره.

وذكر أبو هلال العسكري أنّ رجلاً كانت له صديقة لها زوج غائب، وكان يأتيها على طمأنينة، فقدم زوجها، فدخل فرأى الرجل نائماً، فظنّه المرأة فأخذ برجليه، فوثب إلى السيف - وكان في جيرانه معاوية بن ستار - فنادى: يا معاوية، هل وفيت؟ فتوهم الزوج أنه جعل له على ما فعل، وعلم معاوية أنه مكروب، فقال: نعم، وتعليت، فخلاّه الزوج.

وحكى أبو الحسن بن الصابي أن مغنية غنت بين يدي المهدي:

مـا نقمـوا مـن بين أُميـة إلاّ أنّهـم يسفهـون إذا غضبـوا

فقيل لها: غلطت، فقالت: غلطي يذكرني هذا البيت فأصلحه بما سمعتم.

الباب التاسع عشر
في ذكر من آستعمل بذكائه المعاريض [1]

النبي المصطفى محمد ﷺ

أخبرنا سعيد بن آلْمُسَيَّب [2] أنّ عائشة رضي الله عنها سئلت: هل كان رسول الله ﷺ يمزح؟ قالت: نعم، كان عندي عجوز، فدخل رسول الله ﷺ فقالت: آدع الله أن يجعلني من أهل الجنة. قال: إن الجنة لا تدخلها العجائز وسمع النداء، فخرج ودخل وهي تبكي، فقال: ما لها؟ قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز. قال: إن الله يحولهنّ أبكاراً عرباً [3] أتراباً [4].

قال: وحدثنا الحرث بن نوفل أنّ العباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل خير أرجوه من ربي.

وحدثنا القرشي قال: دخلت امرأة على رسول الله ﷺ فقال: من زوجك؟ فسمته له، فقال: الذي في عينيه بياض؟ فرجعت فجعلت تنظر إلى زوجها،

---

(١) المعاريض: التورية بالشيء عن الشيء.

(٢) وهذا هو الأشهر فيه، وقيل: سعيد بن المسيّب، قاله: القاضي عِيَاض وابن المديني، وقال بعضهم: أهل العراق يفتحون، وأهل المدينة يكسرون ويحكون عنه أنه كان يقول: سيَّب الله من سيَّب أبي.

(٣) عُرُباً: جمع عَرُوب. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العُرُب: العواشق لأزواجهن.

(٤) أَتْراباً: على ميلاد واحد في الاستواء، وسنّ واحدة ثلاثٍ وثلاثين سنة.

فقال: ما لكِ؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: زوجك فلان، قلت: نعم. قال: الذي في عينيه بياض؟ قال: أوَ ليس البياض في عيني أكثر من السواد.

حدثنا أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستحمله فقال: «أنا حاملك على ولد ناقة» قال: يا رسول الله، وما أصنع بولد ناقة؟ قال: «وهل تلد الإبل إلا النوق».

حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل قريباً منها، ثم ركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن إسحاق: حدثني محمد ابن حبان أنه وقف على شيخ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: وذاك بذاك، ثم قال الشيخ: إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي فيه رسول الله ﷺ، وبلغنا أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتم؟ قال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء العراق»، قال أحمد بن علي: أوهمه النبي ﷺ بانه من العراق، فكان العراق يسمى ماء، وإنما أراد النبي ﷺ من العراق أنه خلق من نطفة ماء.

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

عن ابن أبي الزناد قال: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص من قُمُصِ رسول الله ﷺ، فلمَّا قتل عبدالله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما أنتهب، فقالت أسماء: لَلقميص أشد عليَّ من قتل عبدالله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أردّه أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها، قالت: كيف أستغفر لقاتل عبدالله؟ قالوا: فليس يرد القميص. قالت: قولوا له فليجيء،

فجاء بالقميص ومعه عبدالله بن عروة، فقالت: اِدفع القميص إلى عبدالله، فدفعه. قالت: قبضت القميص يا عبدالله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنّما عنت عبدالله بن عروة.

عن حجر المدري قال: قال لي علي رضي الله عنه: كيف بك إذا أُمرت أن تلعنني؟ قلت: أَوَ كائن ذلك؟ قال: نعم. قلت: كيف أصنع؟ قال: اْلعني ولا تتبرأ مني. قال: فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة فقال له: اِلعن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً محمد بن يوسف اِلعنوه لعنه الله، قال: فلقد تفرق أهل المسجد وما فهمها إلاّ رجل واحد.

قال: قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن سرحان فتكلم، فقال المغيرة: أرجئوه فأقيموه على المصطبة، فليلعن علياً فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب، فأخبره بذلك، فقال: أقسم بالله لتقيدنّه، فخرج فقال: إن هذا يأبى إلاَّ علي بن أبي طالب، فآلعنوه لعنه الله، فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه.

قال: كلّم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبدالله بن شبرمة القاضي، فقال عيسى للرجل: من يعرفك؟ قال: ابن شبرمة. قال: أتعرفه؟ قال: إني لأعلم أنّ له شرفاً وبيتاً وقدماً، فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك، فقال: أعلم أن له أذنين مشقوقتين، وأن له بيتاً يأوي إليه، وأن له قدماً يطأ بها.

قال: ضرب الحجاجُ عبدَ الرحمٰن بن أبي ليلى وأقامه للناس، ومعه رجل يحثه ويقول: اِلعن علياً، فيقول: اللهم آلعن الكذابين، ثم يسكت، ويقول: آه علي بن أبي طالب، ثم يسكت، ثم يقول: المختار بن الزبير.

حدثنا المبارك قال: بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب[1] الخلق فحج

---

(١) مُقارِب: بكسر الراء وسط بين الجيد والرديء.

ذو غدر بيّن، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً بأبي غادية، فلم يزل يرحب به حتى أجلسه على سريره، ثم قال له: أنت قاتل ابن سمية قال: نعم. قال: كيف؟ قال: صنعت كذا وفعلت كذا حتى قتلته. قال الحجاج لأهل الشام: من سرّه أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة، فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية، ثم سارّه أبو غادية، فسأله شيئاً، فأبى عليه، فقال أبو غادية: نعطي لهم الدنيا، ثم نسألهم منها شيئاً فلا يعطونا، وتزعم أنه عظيم الباع يوم القيامة! قال: أجل والله، إنّ من كان ضرسه مثل أُحد، وفخذه مثل ورقان، وساقه البيضاء، ومجلسه ما بين المدينة إلى الزبيد لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أنّ عمّار بن سمية قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار.

قال القرشي: كان مطرف بن عبدالله خرج مع آبن الأشعث، فأتى به إلى الحجاج بعد ذلك، فقال له الحجاج: يا مطرف، أكفرت؟ قال: لا، ولكن كانت حيرة، ولو نصرنا الحق وأهله كان خيراً لنا.

قال القرشي: وحدثنا أبو جعفر المدايني قال: خرج قوم من الخوارج بالبصرة، فلقوا شيخاً أبيض الرأس واللحية، فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أعهد إليكم في اليهود بشيء، أو بدا لكم في قتل أهل الذمة، قالوا: آذهب عنّا إلى النار.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن يعقوب قال: كان يحي بن أكثم يحسد حسداً شديداً، وكان مفنناً، فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليخجلَه ويقطعَه، فدخل عليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ، فناظره فرآه مفنناً، فقال له: نظرت في الحديث؟ قال: نعم. قال: فما تحفظ من الأصول؟ قال: أحفظ حديث شريك عن أبي إسحاق عن الحرث أن علياً رجم لوطياً، فأمسك فلم يكلمه.

قال رجل لهشام بن عمرو القرطي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر. قال: لم أرد هذا. قال: فما أردت؟ قال: كم تعد من السن؟ قال: آثنتين وثلاثين، ست عشرة من أعلى وست عشرة من أسفل. قال: لم أرد هذا. قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنين؟ قال: مالي منها شيء، كلّها لله عزّ وجل. قال: فما سنك؟ قال: عَظْم. قال: فآبن كم أنت؟ قال: ابن آثنين،أب وأم. قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليَّ شيء لقتلني. قال: فكيف أقول؟ قال: قل: كم مضى من عُمُرِكَ.

وثب رجلان على بعض الملوك في زمن الاسكندر، فقال الاسكندر: إن من قتل هذا عظيم الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس، فلما بلغهما ذلك ظهرا، فأقرا فقال الاسكندر: أنا مجازيكما بما تستحقان، فما يستحق من قتل سيده ورافع قدره، فغدر به إلاّ القتل، وأما رفعكما على الناس، فإني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني.

روي أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون، فأحضره فرعون وأحضرهما وقال للساعيين: من ربكما؟ قالا: أنت. فقال للمؤمن: من ربك؟ قال: ربي ربهما، فقال فرعون: سعيتما برجل على ديني لأقتلَه، فقتلهما. قالوا: فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وحَاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ﴾ (١).

حدثنا إسحاق بن هانىء قال: كنا عند أبي عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه في منزله ومعنا المروزي، ومهنى بن يحيى الشامي، فدق داقٌّ الباب وقال: المروزيُّ ههنا؟ فكان المروزي كره أن يعلم موضعه، فوضع مهنى بن يحيى

(١) الآية: ٤٥ ـ من سورة غافر.

أصبعيه في راحته وقال: ليس المروزي ههنا، وما يصنع المروزي ههنا، فضحك أحمد ولم ينكر عليه ذلك.

بلغني عن أبي بكر الخلال، قال: قال أبو بكر المروزي: جاء مهنى بن يحي الشامي إلى أبي عبدالله ومعه أحاديث، فقال: يا أبا عبدالله، معي هذه الأحاديث، وأريد أن أخرج، فحدثني بها، فقال: متى تريد أن تخرج؟ قال: الساعة أخرج، فحدثه بها وخرج، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جاء إلى أبي عبدالله، فقال له أبو عبدالله: أليس قلت لي أخرج الساعة؟ قال: ما قلت لك إني أخرج الساعة من بغداد إنما قلت أخرج من زقاقك.

عن مصعب الزبيري قال: أتى العريان بشاب سكران، فقال له: من أنت؟ فقال شعراً:

أنا ٱبن الذي لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود

فقال لبعض شرطه: سل عن هذا، فسأل عنه، فقال: هو ٱبن صاحب باقلاّ.

قلت: وفي رواية أخرى زيادة:

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فظنه كبير القدر، فخلى عنه، فإذا هو ٱبن باقلاني.

أتى الحرث بن مسكين أيام المحنة، وابن أبي دؤاد يمتحن الناس بخلق القرآن، فقال للحارث: ٱشهد أن القرآن مخلوق، فقال: أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربع، فقال: التوراة والانجيل والزبور والفرقان فعرض وكنى وتخلص من القتل.

قال شيخنا عبد الوهاب الأنماطي: كان أحمد بن عبد المحسن الوكيل إذا حمل إليه محضر كتب فيه يحل صدره، فيكتب فيه، فقيل له: كيف تكتب خلاف الأول؟ فقال: أنا أكتب ما ذكر صحيح، ومقصودي نفي الصحة.

الباب العشرون
في ذكر من فلج[1] على خصمه بالجواب المسكت

خبيب بن يسار الصحابي

حدثنا خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب عن أبيه عن جده خبيب بن يسار قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزواً، أنا ورجل من قومي ولم نسلم، فقلنا: إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم قال: وأسلمتما؟ قلنا: لا. قال: فإنّا لا نستعين بالمشركين على المشركين، قال: فأسلمنا وشهدنا معه، فقتلت رجلاً وضربني ضربة، فتزوجت ابنته بعد ذلك، فكانت تقول-لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فأقول لها لا عدمت رجلاً عجّل أباك إلى النار.

حويطب بن عبد العزى

عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأشهلي عن أبيه قال: كان حويطب بن عبدالعزى[2] قد بلغ مائة وعشرين سنة ـ ستين في الجاهلية، وستين في الاسلام ـ فلما ولي مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب، فقال له مروان: ما نيتك؟ فأخبره فقال له: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث، فقال: والله

---

(١) الفَلْج: الظفر والفوز.

(٢) العُزّى: اسم صنم. وقيل: العزى: سَمُرَة (بضم الميم من شجر الطلح) كانت لِغَطَفَان يعبدونها، وكانوا بنوْا عليها بيتاً وأقـاموا لها سَدَنَه (خدمُ الكعبةِ وبيتِ الأصنام) فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السَّمُرَة.

لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ويقول: تدع دين آبائك لدين محمد، فأسكت مروان وندم على ما كان.

قال مروان لحبيش بن دلجة: أظنك أحمق، فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه.

حدثنا محمد بن زكريا قال: حضرت مجلساً فيه عبيدالله بن محمد بن عائشة التميمي، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي، فقال لابن عائشة: ههنا آية نزلت في بني هاشم خصوصاً، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1] فقال ابن عائشة: قومه قريش، وهي لنا معكم، قال: بل هي لنا خصوصاً، قال: فخذ معها ﴿وكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾[2] قال: فسكت جعفر، فلم يجد جواباً.

قال المصنف غفر الله له: وروينا أن معاوية قال لعبدالله بن عامر: إنّ لي عندك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم، قال: ولي إليك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم. قال: سلْ حاجتك. قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف. قال: قد فعلت، فسلْ حاجتك، قال: أن تردها عليَّ! قال: قد فعلت.

وٱفتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك، فقال لخالد بن صفوان: أجبهم. فقال: هم بين حائك برد، ودابغ جلد، وسايس قرد، وملكتهم ٱمرأة، ودلّت عليهم هدهد، وغرقتهم فأرة.

قال: قال غيلان لعبد الرحمٰن: أنشدك الله، أترى الله يحب أن يعصى؟ فقال ربيعة: أنشدك الله، أترى الله يعصى قسراً، فكأن ربيعة ألقم غيلان حجراً.

قال: وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية، فقال له: والله لأقتلنّك،

(١) الآية: ٤٤ ـ من سورة الزخرف.

(٢) الآية: ٦٦ ـ من سورة الأنعام.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، تأنَّ عليَّ، فإن الرفق نصف العفو. قال: وكيف وقد حلفت لأقتلنك؟ قال: يا أمير المؤمنين لَأن تلقى الله حانثاً خير لك من أن تلقاه قاتلاً، قال: فخلّى سبيله.

قال المنصور: ولّيَ يحيي بن أكثم قضاء البصرة، وهو آبن إحدى وعشرين سنة. قال: فآستزرى به الناس واستضعفوه فآمتحنوه، فقالوا: كما سن القاضي؟ قال: سن عتاب بن أسيد حيث ولاه رسول الله ﷺ مكة[1].

كان النظّام لا يكتم سراً فأسرّ إليه يونس التمار سراً فأذاعه، فلامه، فقال النظّام للناس: سلوه هل أذعت سراً مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فلمن الذنب الآن، فلم يرضَ أن يشاركه في آلذنب حتى سار الذنب كله لصاحب السر.

قال: كان أصحاب الْمُبَـرّد إذا آجتمعوا وآستأذنوا، يخرج آلإذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزّجّاج وإلاّ آنصرفوا، فحضروا مرة ولم يكن الزجاج فيهم، فقال لهم ذلـك، فآنصرفوا، وثبت رجل منهم، فقال عثمان للآذن: قل لأبي العباس: آنصرف القوم كلّهم إلاّ عثمان، فإنه لا ينصرف، فعاد الآذن إليه وأخبره فقال له: إن عثمان إذا كان نكرة آنصرف، ونحن لا نعرفك، فآنصرف راشداً.

قال رجل من أهل الحجاز لرجل: العلم خرج من عندنا. قال: نعم إلاّ أنه لم يرجع إليكم.

قال: تكلم شاب يوماً عند الشعبي، فقال الشعبي، ما سمعنا بهذا! فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا. قال: فآجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

---

(١) راجع صفحة: ٩٣ من هذا الكتاب.

قال عبدالله بن سليمان بن الأشعث: سمعت أبي يقول: كان هارون الأعور يهودياً، فأسلم وحسن إسلامه، وحفظ القرآن وضبطه، وحفظ النحو، فناظره إنسان يوماً في مسألة فغلبه هارون فلم يدرِ المغلوب ما يصنع، فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت، فقال له هارون: أفبئس ما صنعت[1]، فغلبه أيضاً والله الموفق.

إبراهيم بن طهمان

قال مالك بن سليمان: كان لإبراهيم بن طهمان جَراية من بيت المال فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة، فقال: لا أدري. فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن، فأعجب الخليفة جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته.

قال أبو العباس المبرد: ضاف رجل قوماً، فكرهوه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه؟ فقالت: ألقِ بيننا شراً حتى نتحاكم إليه، ففعلا، فقالت للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غداً أيُّنا أظلم؟ فقال الضيف: والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهراً ما أعلم.

قال ابن خلف: حدثني بعض أصحابنا قال: بلغني أن الرشيد خرج يوماً متنزهاً وانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه، فإذا هو بشيخ قد ركب حماراً له، وفي يده لجام، كأنه مبعر محشو، فنظر إليه فإذا هو رطب العينين، فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل: أين تريد؟ قال: حائطاً[2] لي. قال: هل لك

(١) لقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ﴾ الحجرات: ١١.
(٢) الحائط: البستان.

أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك، فقال له: خذ عيدان الهواء، وغبار الماء، وورق الكماة، فصيّره في قشر جوزة وآكتحل به، فإنه يذهب عنك ما تجد، قال: فاتكأ على قَرَبُوسه[1] فضرط ضرطة طويلة، ثم قال: تأخذ هذه أجرة لوصفتك؛ فإن نفعتنا زدناك، قال: فاستضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن ظهر دابته.

قال الجاحظ: قال المهدي لشريك القاضي - وعيسى بن موسى عنده -: لو شهد عندك عيسى كنت تقبله، وأراد أن يضرب بينهما، فقال شريك: من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين، فإن زكيته قبلته، فقلبها عليه.

قال أبو بكر بن محمد: كان لي أخ جيد الشعر، فقال له رجل منهم وقد حسده على شعره: ما أدري ما معنى أعجمي يقول الشعر إلا أن يكون دب إلى أمه عربي، فقال له: وكذلك يلزم في قياس قولك إذا لم يقل العربي شعراً، فقد دب إلى أمه أعجمي.

غضب رجل على رجل فقال له: ما أغضبك؟ قال: شيء نقله إليَّ الثقة عنك، فقال: لو كان ثقة ما نَمَّ.

قال أبو الحسن بن المأمون: قال المأمون ليحيي بن أكثم: من الذي يقول، وهو يعرض به:

قاضٍ يرى الحدّ في الزِّناء ولا يَرى على مَنْ يَلُوط من باس

قال: أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله؟ قال: لا. قال: يقوله الفاجر أحمد ابن أبي نعيم الذي يقول:

حَاكِمُنا يرتشي وقاضِينا يَلُوطُ والرأس شرما راس
لا أحسبُ الجور ينقضي وعلى السلامة وآل من آل عباس

---

(١) القَرَبُوس: حِنْوُ السَّرج.

قال فأفحم المأمون وسكت خجلاً، وقال: ينبغي أن ينفي أحمد بن أبي نعيم إلى السِّند.

أبو الهذيل مع اليهودي

قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن شهاب العطار قال: روى يعقوب الشحام قال: قال لي أبو الهذيل: بلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة، وقد قطع عامة متكلميهم، فقلت لعمي: أمضي إلى هذا اليهودي أكلمه، فقال: يا بني هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة، فقلت: لا بد، فأخذ بيدي فدخلنا على اليهودي، فوجدته يقرر للناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام، ثم يجحد نبوة نبينا ﷺ فيقول: نحن على ما آتفقنا عليه من نبوة موسى إلى أن نتفق على غيره فنقرّ به، فدخلت إليه فقلت له: أسألك أو تسألني؟ فقال: يا بني أو ما ترى ما أفعله بمشايخك؟ فقلت: دع عنك هذا وآختر، قال: بل أسألك، أخبرني أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته، وثبت دليله. تقر بهذا أو تجحده، فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين: أحدهما: إني أُقـرّ بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وأمرنا بآتباعه وبشّر بنبوته؛ فإن كان عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته، وإن كان الذي سألتني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، ولم يأمر بآتباعه ولا بشّر به، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته وهو عندي شيطان مخزي، فتحير مما قلت له. فقال لي: فما تقول في التوراة؟ فقلت: أمر التوراة أيضاً عندي على وجهين: إن كانت التوراة التي أنزلت على موسى الذي أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، فهي التوراة الحق، وإن كانت الذي تدعيه، فباطل، وأنا غير مصدق بها، فقال: أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك، فظننت أنه يقول شيئاً من الخير فتقدمت إليه فسارني وقال: أمك كذا وكذا، وأم الذي علمك لا يكنى، وقد رأى أني أثب به،

فيقول وثبوا عليَّ، فأقبلت على من كان في المجلس فقلت: أعزكم الله، أليس قد أجبته؟ قالوا: نعم. فقلت: أليس عليه أن يردّ جوابي؟ فقالوا: نعم. فقلت: إنه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني، وأنه ظن أني أثب به فيدعي أنّا واثبناه، وقد عرفتكم شأنه، فأخذته الأيدي بالنعال، فخرج هارباً من البصرة، وقد كان له بها دين كثير، فتركه وخرج هارباً لما لحقه من الانقطاع.

قال: لما دخل الجماز على المتوكل قال له: إني أريد أن أستبرئك. فقال الجماز: بحيضة أو بحيضتين، فضحك الجماعة منه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك حتى ولاّك جزيرة القرود، فقال له الجماز: أفلست في السمع والطاعة ـ أصلحك الله ـ فحصر الفتح وأسكت، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، فأخذها وآنحدر، فمات فرحاً بها.

قال العتبي: دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك، وعلى الوليد عمامة وشي، فقال له هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال: بألف درهم. فقال هشام: عمامة بألف ـ يستكثر ذلك ـ فقال الوليد: إنها لأكرم أطرافي يا أمير المؤمنين، وقد اشتريت جارية بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك.

كان معن بن زائدة يذكر عنه قلة دين، فبعث إلى ابن عياش بألف دينار، وكتب إليه: بعثت إليك بألف دينار آشتريت بها دينك، فآقبض المال وآكتب بالتسليم، فكتب إليه: قد قبضت وبعتك بذلك ديني ما خلا التوحيد لعلمي بزهدك[1] فيه.

حدثنا يموت بن المزرع قال: كان أبي والجماز يمشيان وأنا خلفهما بالعشي

---

(١) تركاك وإعراضك.

فمررنا بإمام، وهو ينتظر من يمرّ عليه فيصلي معه، فلما رآنا أقام الصلاة مبادراً، فقال له الجماز: دع عنك هذا فإن رسول الله ﷺ قد نهى أن يتلقى الجلب.

أخبرنا ابن الأعرابي عن الأصمعي قال: اجتزت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من حبس على كَتِفِهِ جرة وهو ينشد ويقول:

وأُكْـــرِمُ نفسي إنني إن أَهنتهـــا وحقِّكَ لم تكـرمْ على أحـدٍ بعـدي

فقلت له: تكرمها بمثل هذا؟ فقال: نعم وأستغني عن سَفِلَة[1] مثلك، إذا سألته يقول: صنع الله لك، فقلت: تراه عرفني، فأسرعت، فصاح بي: يا أصمعي، فالتفت إليه فقال:

لَنَقْـلُ آلصَّخْـرِ مِـنْ قُلَل[2] الجبال أَحـبُّ إليَّ مِـــنْ مِنَـــنِ الرِّجـــال
يقـول النـاسُ: كَسْـبٌ فيـه عـــارٌ وكـــلُّ العـــارِ في ذُلِّ الســـؤال

حدثنا أبو الطيب بـن هرثمة قال: كنت مجتازاً ببغداد، ومخنّث يمشي، فرأته امرأة ـ وكان حسن البدن ـ فقالت: ليت عليَّ شحم هذا المخنث. فقال لها المخنث. مع بغاي فشتمته، فقال لها: كيف صار تأخذين الجيد وتدعين الرديء.

ودخل رجل الحمام فرأى مخنثاً بين يديه خِطميّ فقال الرجل: أعطني منه قليلاً. فأبى، فقال الرجل: كل قفيز بدرهم، فقال المخنث: كل أربعة أقفزة بدرهم احسب حسابك كم يصيبك بلا شيء.

قال الجاحظ: مرّ مخنث من البصرة بقوم، فأراد بعضهم الولع به، فقال له: كيف أمسيت يا أختي، فقال: أمست والله أختك مقطعة الشرج، مما ناكوها طول الليل، فخجل الرجل وضحك القوم منها.

---

(١) السَّفِلَة: الأرذال من الناس.

(٢) أعالي الجبال.

قال طراد بن محمد: إن يهودياً ناظراً مسلماً ـ أظنه قال في مجلس المرتضى ـ فقال اليهودي: أيش أقول في قوم سمّاهم الله مدبرين ـ يعني النبي ﷺ وأصحابه يوم حنين ـ فقال المسلم: فإذا كان موسى أدبر منهم. قال له: كيف؟ قال: لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (١) وهؤلاء ما قال فيهم ولم يعقبوا. فسكت.

قال نصر بن سيار: قلت لأعرابي: هل أتخمت قط؟ فقال: أما من طعامك وطعام أبيك فلا. فيقال: إن نصراً حُمَّ من هذا الجواب أياماً.

قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب: ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير، فقال له علي عليه السلام: أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (٢).

حَبِلَت امرأة يزيد فقالت له ـ وكان قبيح الصورة ـ: الويل لك إن كان يشبهك، فقال لها: والويل لك إن لم يشبهني.

رأى رجل من الأعاجم رجلاً أعور، فقال: قد حان خروج الدجال، فقال: إنه يخرج من بلاد الأعاجم لا العرب.

جاز أبو بكر بن قانع بالكرخ في زمن الرفض، فقالت له امرأة: يا سيدي أبا بكر، فقال لها: لبيك يا عائشة، فقالت: كان اسمي عائشة، قال: فيقتلوني وحدي أريد أن يضربوا رقابنا جميعاً.

ظفر رجل بخصمه في حرب، فقال له: ما تراني أصنع بك؟ فقال: مهلاً فما أمكنك الله مني إلاّ لشأن حلمك.

---

(١) الآية: ١٠ ـ من سورة النمل، والآية: ٣١ ـ من سورة القصص.

(٢) الآية: ١٣٨ ـ من سورة الأعراف.

أبو الأسود الدؤلي

قيل لأبي الأسود: أشهد معاوية بدراً؟ فقال: نعم من ذاك الجانب.

كان أبو الحسن المتيم الصوفي يسكن الرصافة، وكان مطبوعاً مضاحكاً، وكان يتولع برجل شاهد فيه غفلة يعرف بأبي عبدالله الكيا. قال ابن المتيم: فلقيته يوماً فسلمت عليه وصحت به: اِشهد عليَّ، فآجتمع الناس علينا، فقال: بِمَ أشهد؟ فقلت: بأن الله اِله واحد لا اِله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حقٌّ والنارَ حقٌّ والساعةَ آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور. فقال: أبشرْ يا أبا الحسن، قد سقطت عنك الجزية وصرت أخاً من إخواننا، فضحك الناس وآنقلب الولع بي.

قال الشيخ: سمعت بعض أصدقائي يحكي أنّ رجلاً كان يشرب ليلة الجمعة، فنهاه بعض العوام، وقال له: هذه ليلة عظيمة، فقال له الرجل: في مثل هذه الليلة يرفع القلم، فقال العامي: ولكن يكتب بصوفة. قال: فآتعظ الرجل ولم يرجع بعد إلى شرب الخمر.

وقفت آمرأة قبيحة على عطّار ماجن، فلما نظر إليها قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (١) فقالت: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ (٢).

استأجر رجل غلاماً ليخدمه، فقال له: كم أجرتك؟ قال: شبع بطني. فقال له: سامحني، فقال: أصوم الاثنين والخميس.

شكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أمير المؤمنين، فقال لهم: أنتم تعتقدون أن هذا بقضاء الله، فكيف أدفع قضاء الله؟ فقال أحدهم: صاحب القضاء قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (٣) فأفحم أمير المؤمنين.

---

(١) الآية: ٥ ـ من سورة التكوير.

(٢) الآية: ٧٨ ـ من سورة يس.

(٣) الآية: ٢٥١ ـ من سورة البقرة.

الباب الحادي والعشرون
في من ذكر من غلب من العوم بذكائه كبارَ الرؤساء

حدثني رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمير قال: أخذ زياد رجلاً من الخوارج، فأفلت منه، فأخذ أخاً له، فقال: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، قال: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] قال زياد: خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته.

قال يموت بن المزرع: قال لنا الجاحظ: ما غلبني أحد قط إلاّ رجل وامرأة، فأما آلرجل فإني كنت مجتازاً في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين، كبير الهامة طويل اللحية، متزر بمئزر، وبيده مشط يسقي به شقه ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين ألحى، فآستزريته، فقلت: أيها الشيخ، قد قلت فيك شعراً، فترك المشط من يده وقال: قل، فقلت:

كـأنـك صَعْوةٌ[2] في أصـل حَشٍّ أصـابَ الحشَّ[3] طَشٌ بَعْدَ رَشٍّ

فقال لي: آسمع جواب ما قلت، فقلت: هات، فقال:

---

(١) الآيات: ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - من سورة النجم.

(٢) الصَّعْوُ: صغار العصافير الواحدة: صعوة.

(٣) الحشُّ: البستان. والفتح أكثر من الضم.

كـأنـك جُنـدب في ذنـب كَبش يُـدلـدل هكـذا والكَبش يمشي

وأما المرأة، فإني كنت مجتازاً ببعض الطرقات، فإذا أنا بآمرأتين، وكنت راكباً على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: وي [1] حمارة الشيخ تضرط! فغاظني قولها، فاعتدلت ثم قلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلاّ وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.

لقي بعض الأكاسرة في موكبه رجلاً أعور، فحبسه، فلما نزل خلاّه وقال: تطيرت منك، قال: أنت أشأم مني؛ لأنك خرجت من منزلك ولقيتني، فما رأيت إلاّ خيراً، وخرجت من منزلي فلقيتك، فحبستني. فلم يعد بعدها يتطير.

عن الأصمعي قال: قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ بنا في المنى [2]، فوالله لأغلبنّك، قال: لا تغلبني، قال: بلى لأفعلنّ، قال: فستعلم، قال الوليد: فإني أريد أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات، قال: فإني أمتنى سبعين كفلاً [3] من العذاب، ويلعنني الله لعناً كثيراً، فقال: غلبتني قبحك الله.

قال: مرض مولى لسعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فلما أتاه قال له: ليس لي وارث غيرك، وههنا ثلاثون ألف درهم مدفونة، فإذا أنا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده، فتعاهده كلّ التعاهد ووكّل به من يخدمه، فلما مات آشترى له كفناً بثلاثمائة درهم وشهد جنازته، فلما رجع إلى البيت حفر البيت كلّه فلم يجد شيئاً، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه.

---

(١) وَيْ: كلمة تعجب.

(٢) المُنَى: جمع المُنْيَة؛ ما يتمناه الإنسان.

(٣) الكِفْلُ: الضّعف من الأجر أو الاثم.

أتي الحجاج برجل ليقتلَه وبيده لقمة، فقال: والله لا أكلتها حتى أقتلك. قال: أو خير من ذلك تطعمنيها ولا تقتلني، فتكون قد بررت في يمينك ومننت عليّ، فقال: آدن مني، فأطعمه إيّاها وخلاّه.

وأتي الحجاج برجل من الخوارج، فأمر بضرب عنقه، فآستنظره يوماً. قال: ما تريد بذلك؟ قال: أؤمل عفو الأمير مع ما تجري به المقادير، فآستحسن قوله وخلاّه.

وبلغنا عن عمرو بن العاص أنه منع أصحابه ما كان يصل إليهم، فقام إليه رجل فقال: أيها الأمير، اتخذ جنداً من حجارة لا تأكل ولا تشرب، فقال له عمرو: آخسأ أيها الكلب، فقال له الرجل: أنا من جندك، فإن كنت كلباً؛ فأنت أمير الكلاب وقائدها.

قال المتوكل يوماً لجلسائه: أتدرون ما آلذي نقم المسلمون من عثمان؟ قالوا: لا. قال: أشياء، منها: أنه قام أبو بكر دون مقام الرسول بمرقاة[1]، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة، فصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عباد: ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان، قال: وكيف؟ ويلك، قال: لأنه صعد ذروة المنبر، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه؛ كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله.

قال رجل لغلامه: يا فاجر، فقال الغلام: مولى القوم منهم.

قال الربيع: كنت قائماً على رأس المنصور، إذا أُتِيَ بخارجي قد هزم له جيوشاً فأقامه ليضرب عنقه، ثم قال له: يا ابن الفاعلة، مثلك يهزم الجيوش! فقال له الخارجي: ويلك وسوءة لك، بيني وبينك أمس القتل والسيف، واليوم

---

(١) بدرجة.

القذف والسب وما كان يؤمنك أن أرد عليك، وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها أبداً فآستحى المنصور منه وأطلقه.

وقال الصاحب بن عباد: ما أخجلني غير ثلاثة، منهم: أبو الحسين المهدي، فإنه كان في نفر من جلسائي، فقلت له ـ وقد أكثر من أكل المشمش ـ: لا تأكله فإنه يلطخ المعدة، فقال: ما يعجبني من يُطَبِّب الناس على مائدته وآخر قال لي ـ وقد جئت من دار السلطان وأنا ضجر من أمر عرض لي ـ: من أين أقبلت؟ فقلت: من لعنة الله، فقال: ردّ الله غربتك، فأحسن عليَّ إساءة الأدب. وصبي مستحسن داعبته، فقلت: ليتك تحتي، فقال: مع ثلاثة أخر. يعني في رفع جنازتي فأخجلني.

قال رجل: شربت البارحة فآحتجت إلى القيام لإراقة الماء، كأنني جدي، فقال له عامي: لِمَ تصغر نفسك يا سيدي؟!

الباب الثاني والعشرون

في ذكر أقوال وأفعال صدرت من أوساط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء

حدثنا يحيى المروزي قال: كنت آكل مع الرشيد يوماً، فرفع رأسه إلى خادم، فكلمه بالفارسية، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تسرّ إليه شيئاً فإني أفهم بالفارسية، فآستحسن الرشيد ذلك مني وقال: ليس نطوي عنك سراً.

قال: عاد أبو عمر الضرير رجلاً من أصحابه، فأخذت أَمَةٌ بيده، فصعدت به، فلما أراد أن ينزل جاءت فأخذت بيده، فقال: رديني إلى مولاك، فردته فقال: إن جاريتك أخذت بيدي حين صعدت وهي بكر، ثم أخذت بيدي الساعة وهي ثيب، فسأل عن ذلك فأخبر أن آبناً للرجل آفترشها.

قال مصعب بن عبدالله: قال مالك بن أنس: صلى بعض الشطار [1] خلف رجل، فلما قرأ أُرْتِجَ عليه [2]، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك مراراً، فقال الشاطر من خلفه: ما للشيطان ذنب إلاّ أنك ما تحسن تقرأ.

---

(١) الشاطر: هو الذي أعيا أهله خُبثاً.

(١) لم يقدر على القراءة، كأنه مُنع.

قال محمد بن عبد الرحمن: دعا مغنٍ مرة أخاً له، فأقعده إلى العصر، فلم يطعمه شيئاً، فآشتد جوعه، فأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قال: صوت المِقلى.

أخبرنا الجهاز قال: سمعت واحداً يقول لآخر قد رمد: بأي شيء تداوي عينيك؟ قال: بالقرآن ودعاء الوالدة، فقال: آجعل معها شيئاً من أنزروت.

قال أبو الحسن علي بن هشام بن عبيدالله الكاتب المعروف أبوه بأبي قيراط قال: حدثني أبي قال: سمعت حامد بن العباس يقول: ربما آنتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير، فمن ذلك: أن إسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بوّاب كان يخدمه، فكان رجلاً حراً فأحسنت إليه وبررته، وكان ذلك البوّاب يدخل إلى مجلس الخاصة، ولا ينكر عليه لسابق خدمته، فجاءني في بعض الليالي وقال: قد حرر الوزير على ابن الفرات، وقال ما يكسّر المال على حامد غيرك، ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته، وسيدعو بك الوزير غداً إلى حضرته ويهددك، فشغل ذلك قلبي فقلت له: فهل عندك من رأي؟ فقال: آكتب رُقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه، وآلتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إيّاها، وآسأله أن يجيبك على ظهر الرُّقعة لترجع إليك لتخرجها، فإنه لشحه يردك بعذر، فاحتفظ بالرقعة، فإذا طالبك أخرجتها إليه وقلت له: قد أفضت حالي إلى هذا فأخرجتها على غير مواطئة، فلعل ذلك ينفعك. ففعلت ما قال، وجاءني الجواب بالردّ، فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني، فأخرجت الرُقعة فقرأها فلان وآستحى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي.

قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمر محمد بن يوسف القاضي يقول: اعتلّ[1] أبي علة شهوراً، فآنتبه ذات ليلة فدعا بي وبإخوتي وقال لنا: رأيت في

(١) مَرِض.

النوم كأنه قائلاً يقول: كُلْ لا، وآشرب لا؛ فإنك تبرأ، فلم ندرِ تفسيره. وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤيا، فجئنا به، فقص عليه المنام، فقال: ما أعرف تفسيره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر، فلما كان من الغد جاءنا فقال: مررت على هذه الآية ﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ [1] فنظرت إلى لا وهي تردد فيها، اِسقوه زيتاً وأطعموه زيتاً، ففعلنا، فكانت سبب عافيته.

قال حدثنا الأصمعي قال: رأيت رجلاً قاعداً على قصر أوس في الطاعون، يَعُدُّ الموتى في كوز، فعد أول يوم عشرين ومائة ألف، فلما كان في اليوم الثاني عد خمسين ومائة ألف، فمرّ قوم بميتهم وهو يعد، فلما رجعوا إذا عند الكوز غيره فسألوا عنه فقالوا لهم: هو في الكوز.

حكى جعفر البرني قال: مررت بسائل على الجسر وهو يقول: مسكيناً ضريراً، فدفعت إليه قطعة وقلت: يا هذا، لِمَ نصبت؟ قال: فديتك بإضمار (ارحموا).

حدثنا أبو عثمان الخالدي قال: عملت قصيدة أمدح سيف الدولة أبا الحسن ابن حمدان، وعرضتها على جماعة أتعرف ما عندهم فيها، إذ حضر مخنث وأنا أقرؤها، فلما آنتهيت إلى قوَلي:

وأنكـرت شيبـة في الرأس واحـدة   فعاد يسخطها مـن كـان يـرضيهـا

قال: هذا غلط، قلت: ما هو؟ قال: تقول للأمير: في الرأس واحدة! ألا قلت: في الرأس طالعة أو لائحة، فعجبت من فطنته وجودة خاطره.

روى سعيد بن يحيي الأموي عن أبيه قال: كان فتيان من قريش يرمون،

---

(١) الآية: ٣٥ ـ من سورة النور.

فرمى منهم من ولد أبي بكر وطلحة، فقرطس[1] فقال: أنا ابن القرينين، فرمى آخر من ولد عثمان، فقرطس فقال: أنا ابن الشهيد، فرمى رجل من الموالي، فقرطس فقال: أنا ابن من سجدت له الملائكة، فقالوا له: من هو؟ فقال: آدم.

قال المبرد: قدم بعض البصريين من أصحاب أبي هذيل بغداد، قال: فلقيت مخنثين، فقلت لهما: أريد منزلاً - وكان هذا الرجل في نهاية القبح - فقال أحدهما: بالله من أين أنت؟ قلت: من البصرة، فأقبل عليَّ الآخر وقال: لا إلٰه إلا الله تحول يا أختي كل شيء من الدنيا حتى هذا، كانت القرود تجيء من اليمن صارت تجيء من البصرة.

بلغنا عن أبي الحرث أنه كان يهوى جارية يتعرس بطيفها، فشكا حاله إلى محمد بن منصور، فآشتراها له، وأنفذها إليه فلم يساعده ما معه عليها، فبكر إليه فقال: كيف كانت ليلتك؟ قال: شر ليلة صار ما عندي قرشياً من بني أمية، قال: كيف ذاك؟ قال: صار كما قال الأخطل.

شُمْسُ العـداوة حتى تستقـاد لهم وأعظم النـاس أحلامـاً إذا قـدروا

فضحك محمد بن منصور ومضى إلى الفضل وجعفر فأخبرهما وكان خبره حديثهم عامة يومهم.

شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف آحتباس أرزاقهم، فدخل على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن منادياً نادى: يا مفلس، ما بقي أحد من أصحابك إلا آلتفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

عربد هاشمي على قوم فشكوه إلى عمه، فأراد عمه أن يتناوله بالأدب فقال: إني أسات وليس معي عقلي، فلا تسيء إليَّ ومعك عقلك فصفح عنه.

قال: قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك، فقام رجل منهم فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتيناك رغبة ولا رهبة. قال: فلمَ جئتم؟ قال: نحن وفد

---

(١) أصاب القِرْطَاس، وهو قطعة من أديم تُنْصَب للنِّضال، فإذا أصابه الرامي قيل: قرطس.

الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رجالنا وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك، ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت، فأما تحبيبك إلينا الحياة، فلما آنتشر من عدلك، وأما تهوينك علينا الموت، فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه.

وأحسن جائزته وجوائز اصحابه.

حدثنا أبو الحسن المدايني قال بعض العلماء: كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفاً أديباً، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمرّ بنا، فكلما رأيناه قلنا: ﴿مَتَى هَذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [1] فيسكت إلى أن آجتمع ما يريده فمر بنا فأعدنا عليه القول فقال: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [2].

ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له أبو العجب لم يرَ مثله فيما كان يعمل من الشعبذة [3]، دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله،فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له، فقال له: ما عليك أيها الأستاذ إن أحييته؟ فقال: ما تريد، فأخذ البلبل الميت، فأدخله كمه وأدخل رأسه، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حياً فهاجت الدار وعجب الحاضرون، فآستدعاه علي بن عيسى وقال: وَالله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربنّ عنقك، فقال: إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله، فطمعت بما آخذه منه، فمضيت في الحال إلى السوق وآبتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت إلى الخادم فقلت ما قلته،وأخذت البلبل الميت وأدخلت رأسه في كمي وأكلته وأخرجت الحي، فلم يشك أنه بلبله وهذا رأس الميت.

أحضر رجل بين يدي المأمون قد أذنب، فقال له: أنت الذي فعلت كذا

---

(١) الآية: ٧١ - من سورة النمل، والآية: ٤٨ - من سورة يس، والآية: ٢٥ من سورة الملك.

(٢) الآية: ٢٩ - من سورة المرسلات.

(٣) الشعبذة. نحبٌ يرىٰ الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر.

وكذا؟ قال: نعم أنا ذاك يا أمير المؤمنين، الذي أسرف على نفسه وآتكل على عفوك، فعفا عنه.

قال بعض الأدباء لصديق له: أنت والله بستان الدنيا، فقال الآخر: أنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان.

تظلم أهل الكوفة من عاملها إلى المأمون فقال: ما علمت في عمالي أعدل منه، فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، فقد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدله، حتى تكون قد ساويت بين رعاياك في حسن النظر، فأما نحن فلا تخصنا منه بأكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون وأمر بصرفه.

دعا بعض الظرفاء قوماً، فجاءوا ومعهم طفيلي[1]، ففطن الرجل به، وأراد أن يعلمهم أنه قد فطن، فقال: ما أدري لمن أشكر؛ لكم أن دعوتكم فجئتم، أو لهذا الذي تجشم من غير أن دعوته.

قال يموت بن المزرع: قال لي سهل بن صدقة يوماً - وكانت بيننا مداعبة -: ضربك الله بآسمك، فقلت له مسرعاً: أحوجك الله إلى آسم أبيك.

مرّ رجل من الأذكياء برجل قائم في الطريق، قال: ما وقوفك؟ قال: أنتظر إنساناً، فقال: يطول قيامك إذن.

تقدم رجل سيىء الأدب إلى حجام، فقال له: تقدم يا آبن الفاعلة، وأصلح شاربي، فقال له: إن كان خطابك للناس كذا، فعن قليل تستريح منه.

حضر خياط عند بعض الأتراك ليفصل له قَبَاء[2]، فأخذ يفصل والتركي ينظر إليه، فلم يتهيأ له أن يسرق منه شيئاً، فضرط، فضحك التركي حتى آستلقى، فأخرج الخياط من الثوب ما أراد، فجلس التركي وقال: يا خياط، ضرطة أخرى، فقال: لا يجوز يضيق القَبَاء.

---

(١) الطفيلي: الذي يدخل وليمة لم يُدع إليها، والعرب تسميه الوارش.

(٢) القَبَاء: ثوب يلبس فوق الثياب.

قام رجل على رأس ملِك فقال له: لِمَ قمت؟ قال: لأقعد، فولاه.

أدخل مخنث على العريان بن الهيثم وهو أمير المؤمنين بالكوفة، فقال: يا عدو الله أتتخنث وأنت شيخ! فقال: مكذوب عليَّ كما كذب على الأمير ـ أعزه الله ـ فآستوى جالساً وقال: وما قيل فيَّ؟ قال: يسمونك العريان، وأنت صاحب عشرين جبة، فضحك وخلّى سبيله.

رمى رجل عصفوراً، فأخطاه، فقال له رجل: أحسنت فغضب وقال: أتهزأ بي؟ قال: لا. ولكن أحسنت إلى العصفور.

قال جعفر بن يحي البرمكي لبعض ندمائه: أشتهي والله أن أرى إنساناً تليق به النعمة، فقال له الرجل: أنا أريك ذاك عياناً، فقال: هات، فأخذ المرآة فقربها من وجهه.

قصَّ قاصٌّ، فقال: إذا مات العبد وهو سكران، دفن وهو سكران، وحشر وهو سكران، فقال رجل في طرف الحلقة: هذا والله نبيذ جيد يساوي الكوز منه عشرين درهماً.

نظر الأصبهاني إلى أبي هفان يُسَارُّ رجلاً، فقال: فيمَ تكذبان؟ قال: في مدحك.

كان رجل من الظرّاف مع الرشيد في سفره إلى خراسان، فلما علا عقبة ماسدان قال للرشيد: الحمد لله الذي أخرجنا من الدنيا سالمين.

اجتاز بالناشيء البغداي قصاب يبيع لحم بقر هزيل، وهو يقول: أين من حلف لا يُغبن، فقال له: الناشيء حتى تحنثه.

قال: تاب مخنث، فلقيه مخنث آخر، فقال: من أين تأكل؟ قال: من بقية ذاك الكسب، فقال: لحم الخنزير طرياً أطيب منه قديداً.

يتدحرجون من فوق إلى أسفل، فكيف تدحرجت أنت؟ قال: فمن هذا أضحك.

قال رجل لرجلٍ: إن لطمتك لطمة لأبلغنّ بك المدينة، فقال له: فأحب أن تردفها بأخرى، لعل الله تعالى أن يرزقني الحج عن يديك.

قال صبي ليهودي: يا عم، قف حتى أصفعك، قال: أنا مستعجل، اِصفع أخي.

قال رجل لبعض المغنين: ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثاني؟ فقال: كيف لا أعرفها وأنا أعرفك وأعرف أباك.

نظر أبو الفضل الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليل الشتاء.

رؤي فقير في قرية، فقيل له: ما تصنع؟ فقال: ما صنع موسى والْخَضِر عليهما السلام - يعني ﴿ٱسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ (١).

وسئل بعض السوقة عن سوقهم، فقال: مثل سوق الجنة - يعني: أنه لا بيع فيه ولا شراء -.

قال: شتم رجل رجلاً من العوام فقال له: أيش قلت لك؟ فأوهمه أنه يسأل أي شيء قلته لك حتى تشتمني، وإنما أراد أي شيء قلته فهو لك وهذا من عجيب الفطنة.

جاءت جارية رجل إليه وهو في الموت بشيء يشربه، فكرهه، فقالت له: يا سيدي غمض عينيك وخذه، فقال: كذا أفعل بشرى لي أني أموت.

قال رجل لرجل: بأي وجه تلقاني وقد فعلت كذا وكذا؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي عز وجل، وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك.

---

(١) الآية: ٧٧ - من سورة الكهف.

تكلم بعض القُصّاص قال: في السماء ملَك يقول كل يوم: لدوا للموت وابنوا للخراب، فقال بعض الأذكياء: اسم ذلك الملَك أبو العتاهية.

قال: آستدعى رجل مغنيين، فلما همّا بالغناء قال أحدهما للآخر: اِتبعني. قال: لا، بل أنت آتبعني. قال: لا، بل أنت آتبعني، فلما طال هذا بينهما قال صاحب البيت: اِتبعاني جميعاً.

قال: قدم طباخ إلى بعض الأذكياء طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: أيش تشتهي أجيئك به، فقال: خبزاً.

وحُكي أيضاً أن بعض المحتسبين جاز يوماً على رجل ينادي على الخبيص [1]، رطلين بحبة، فقال: ويحك، الدبس يباع رطل بحبة، والشيرج رطل بقيراط، فكيف تبيع أنت الخبيص رطلين بحبة؟ فقال: يا سيدنا، ما في الخبيص شيء من اللّذَيْن ذكرت، قال: فبع الآن كيف شئت. والله الموفق.

(٢) الخبيص: حلواء.

الباب الثالث والعشرون
في احترازات الأذكياء

قال الشيخ رضي الله عنه: روينا عن العباس بن عبد المطلب أنه سئل: أيما أكبر أنت أو رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله[1].

وروينا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال لبعض أهل المدينة: أنا أسن أم أنت؟ فقال له: لا أذكر ليلة زفت أمك المباركة على أبيك الطيب، وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل أمك الطيبة.

قال ابن عرابة المؤدب: حكى لي محمد بن عمر الضبي أنه حفَّظ ابن المعتز وهو يؤدبه ﴿والنازعات﴾ وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين ـ أبوك ـ في أي شيء أنت؟ فقل له: في السورة التي تلي ﴿عبس﴾ ولا تقل أنا في النازعات. قال: فسأله أبوه في أي شيء أنت؟ قال: في السورة التي تلي ﴿عبس﴾ فقال: من علّمك هذا؟ قال: مؤدبي، قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال عبد الواحد بن نصر المخزومي قال: أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافراً يمشي، وعليه مرقعة، وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلّهم على هذه الصفة، فصحبنا في بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة معه حمار فـاره[2] يركبه، ومعه بغلان عليهما رَحل وقماش ومتاع فاخر، فقلنا له: يا هذا، إنك

---

(١) راجع صفحة: ٤٢ من هذا الكتاب.

(٢) جيد السير.

لا تفكر في خروج الأعراب علينا، فإنه لا شيء معنا يؤخذ وأنت لا تصلح لك صحبتنا مع ما معك، فقال: يكفينا الله، ثم سار ولم يقبل منا، وكان إذا نزل يأكل آستدعى أكثرنا فأطعمه وسقاه وإذا عيي الواحد منا أركبه على أحد بغليه، وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه إلى أن بلغنا موضعاً، فخرج علينا نحو ثلاثين فارساً من الأعراب، فتفرقنا عليهم ومانعناهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا فتركناهم ونزل، فجلس وبين يديه سُفرته، ففرشها وجلس يأكل، وأظلتنا الخيل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون، ثم حل رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدي الأعراب، فلما أكلوا وشبعوا جمدت أيديهم وخدرت أرجلهم ولم يتحركوا، فقال لنا: إن الحلو مبنج، أعددته لمثل هذا وقد تمكن منهم وتمت الحيلة. ولكن لا يفك البنج إلا أن تصفدوهم، فآفعلوا فإنهم لا يقدرون لكم على ضرر ونسير، ففعلوا فما قدروا على الامتناع، فعلمنا صدق قوله، وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه في موكب، ورماحهم على أكتافنا، وسلاحهم علينا، فما نجتاز بقوم إلاّ يظنوننا من أهل البادية فيطلبون النجاة منا، حتى بلغنا مأمننا.

حدثنا أبو محمد عبدالله بن علي المقري قال: دفن رجل مالاً في مكان وترك عليه طابقاً وتراباً كثيراً، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً، وترك عليها تراباً كثيراً ومضى، فلما آحتاج إلى الذهب كشف عن العشرين فلم يجدها، فكشف عن الباقي فوجده، فحمد الله على سلامة ماله. وإنما فعل ذلك خوفاً أن يكون قد رآه أحد، وكذلك كان، فانه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين فأخذها ولم يعتقد أن ثَمَّ شيئاً آخرَ.

حدثني بعض المشايخ أن رجلاً يهودياً كان معه مال فآحتاج إلى دخول الحمام وخاف أن ينكسر سبته إن حمله معه، فدخل إلى خزانة الحمام فحفر ودفنه، ثم

دخل إلى الحمام وخرج، فحفر عنه فلم يجده،فسكت ولم يخبر أحداً، لا زوجة ولا ولداً ولا صديقاً، فجاءه بعد أيام رجل فقال: كيف أنت من شغل قلبك؟ فلزمه وقال: ردّ مالي لي، فقالوا له: من أين علمت؟ قال: ما رآني لما دفنته مخلوق، ولا حدثت به مخلوقاً، فلولا أن هذا أخذه ما قال كيف أنت من شغل قلبك.

وقال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرة، وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعاً، فقلت: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء، فقال: يا فضولي، حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها فلا يعثر بي في الظلمة، فيقع عليَّ فيكسر جرتي.

روى أبو الحسن الأصفهاني أن إبراهيم الموصلي دخل على الرشيد وبين يديه جارية كأنها غصن بان، فقال لها الرشيد: غني، فغنّت:

توهّمه قلبي فأصبح خدّه ... وفيه مكان الوهم من نظري أثرُ
ومرّ بوهمي خاطراً فجرحته ... ولم أر جسماً قطّ يجرحه الفكرُ

قال إبراهيم: فذهبت والله بعقلي حتى كدت أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه التي يقول فيها الشاعر:

لها قلبي الغداة وقلبها لي ... فنحن كذاك في جسدين روحُ

ثم قال: غن يا إبراهيم، فغنيت:

تشرّب قلبي حبها ومشى بها ... تمشي حميّا الكأس في جسم شاربِ
ودبّ هواها في عظامي فشفّها ... كما دبّ في الملسوع سُمّ العقاربِ

قال: ففطن بتعريضي وكانت غلطة مني، فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهراً، ثم دسّ إليَّ خادماً ومعه رقعة فيها مكتوب:

قد تخوفت أن أموت من الوجد ولم يدرِ من هويت بحالي
يا كتابي أقرِىء السلام على مَنْ لا أسمّي وقل له يا كتابي
إن كفًّا إليك قد كتبتني في شقاء مواصل وعذاب

فأتاني الخادم بالرقعة فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة من فلانة الجارية التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسست بالقصة فشتمت الخادم وقمت إليه فضربته ضرباً شفيت منه نفسي، وركبت إلى الرشيد من فوري، فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد أن يستلقي وقال: على عمد فعلت ذاك، لأمتحنك وأعرف مذهبك وطريقتك، ثم دعا لي الخادم، فخرج فلما رآني قال: قطع الله يديك ورجليك ويلك قتلتني، فقلت: القتل بعض حقك، لما وردت به عليّ، ولكني أبقيت عليك وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك ما تستحقه، فأمر لي الرشيد بصلة سنية، والله يعلم أني ما فعلت ما فعلته عفافاً بل خوفاً.

وقعت على ابن المهلب حية، فلم يدفعها عن نفسه، فقال له أبوه: يا بني ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة.

الباب الرابع والعشرون
في ذكر طرف من أحوال الشعراء والمدّاحين

قال يموت بن المزرع: جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى، وكانت الصَّحْفَة ترفع من بين يدي جعفر، فتوضع بين يدي الجماز، فربما كان عليها قليل، وربما لم يكن شيء، فقال الجماز: أصلح الله الأمير، ما نحن اليوم إلا عصبة، فربما فضل لنا بعض المال، وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شيء.

قال أبو الحسن السلامي الشاعر: مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها:

تصد ودارها صدد — وتوعده ولا تعد
وقد قتلته ظالمة — فلا عقل ولا قَوَد

وقالا فيها في مدحه:

فوجه كلُّه قمر — وسائر جسمه أسد

فلما أنشده إياها أعجب بها سيف الدولة وآستحسن هذا البيت منها، وجعل يردد إنشاده، فدخل عليه الشيطمي الشاعر فقال له: اسمع هذا البيت، وأنشده إياه فقال له الشيطمي: اِحمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر.

قال المصنف: الخالديان رجلان وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد آبنا

هاشم، كانا أخوين وآتفقا في حسن الطبع ورقة الشعر وكثرة الأدب، وكانا يشتركان في الشعر وينفردان، فقال فيهما أبو إسحاق الصابي:

أرى الشاعرين الخالديين سيّرا ... قصائد يفنى الدهر وهي تخلدُ
تنازع قومٌ فيهما وتناقضوا ... ومرّ جِدال بينهم يتردد
فطائفةٌ قالت: سعيد مقدّم ... وطائفة قالت لهم: بل محمد
وصاروا إلى حُكمي فأصلحت بينهم ... وما قلت إلاّ بالتي هي أرشد
هما في اجتماع الفضل روح مؤلف ... ومعناهما من حيث ثنيت مفرد

خرج طاهر بن الحسن لقتال عيسى بن هامان، فخرج وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء، ثم سها وأسبل كمه، فتبددت، فتطير، فقال له شاعر في ذلك:

هذا تفرق جمعهم لا غيره ... وذهابه منّا ذهاب الهمّ
شيء يكون الهمّ نصفَ حروفه ... لا خير في إمساكه في الكم

أحضر عبد الملك رجلاً يرى رأي الخوارج، فأمر بقتله، فقال: ألست القائل:

ومنا سويد والبطين وقعنب ... ومنا أميرُ المؤمنين شبيب

فقال: إنما قلت ومنا أميرَ المؤمنين، أردتُ يا أميرَ المؤمنين، فحقن دمه ودرأ عن نفسه، إذ صرف الإعراب عن الخبر إلى الخطاب.

هجا بعض الشعراء أبا عثمان المازني فقال:

وفتى من مازن ساد أهل البصره ... أمه معرفة وأبوه نكره

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد، فلقيه إسماعيل بن صبيح الحاجب، فقال: اِعلم أنه ولد لأمير المؤمنين آبنان، فعاش أحدهما ومات الآخر، فيجب أن

تخاطبه بحسب ما عرفتك، فلما صار بين يديه قال: سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك، وجعلها واحدة تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين.

قال دخل جعفر الضبي على الفضل بن سهل فقال: أيها الأمير، أسكتني عن أوصافك تساوي أفعالك في السؤدد، وحيرني فيها كثرة عددها، فليس إلى ذكر جميعها سبيل، فإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها، فلم تكن الأولى أحق بالذكر، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها.

قال: دخل أبو دلامة على المنصور، فأنشده قصيدة فقال: يا أبا دلامة، إنّ أمير المؤمنين قد أمر لك بكذا وكذا من صلة، وكساك وحملك وأقطعك أربعمائة جريب مائتان عامر ومائتان غامر، فقال: أما ما ذكر أمير المؤمنين من الصلة، فقد عرفته وعرفت العامر، فما الغامر؟ قال: الذي لا نباتَ فيه ولا شجر، قال: فقد أقطعت أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامر، قال: ويحك، أين؟ قال: فيما بين الحيرة والكوفة، فضحك منه وسوغها أيّاه عامرة.

قال المدايني: دخل نصيب على عبد الملك بن مروان، فتغدى معه ثم قال له: هل لك فيما يتنادم عليه؟ فقال: لوني حائل، وشعري مفلفل، وخلقي مشوه، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرف أب ولا أم، وإنما بلغته بعقلي ولساني، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة، فأعفاه.

قال المدايني: جلس نساء ظراف إلى بشار بن برد، فتحدث وتحدثن ثم قلن له: لوددنا أنك أبونا. قال: على أني على دين كسرى.

قال خالد الكاتب: أرتج عليَّ وعلى دعبل وواحد من الشعراء قد سماه ولم أحفظ آسمه نصف بيت، قلنا جميعاً: يا بديع الحسن، ثم قلنا: ليس لنا إلا جعيفران المسوس، فجئناه فقال: ما تبغوني فقال خالد: جئناك في حاجة، فقال:

لا تؤذوني فاني جائع، فبعثنا فآشترينا له طعاماً، فلما شبع قال: حاجتكم، قلنا: اختلفنا في نصف بيت، فقال: ما هو؟ قلنا: يا بديع الحسن، فما تلعثم والله أن قال:

يا بديع الحسن حاشا ... لك من هجر بديع

فقال له دعبل: زدني بيتاً، فقال:

وبحسن الوجه عَوِّذْ ... تُك من سوء الصنيع

فقال له الذي معنا: ولي بيت، فقال: نعم وعزازة وكرامة:

ومن النّخْوة يستعفيك ... لي ذلّ الخضوع

فقلت: أستودعك الله، فقال: آنتظروا أزدكم بيتاً آخر، فقال:

لا يعبْ بعضك بعضاً ... كن جميلاً في الجميع

ومن الفِطنة الكلام الموجه الذي يحتمل المدح والذم، ومنه قول المتنبي:

عدوك مذموم بكل لسان

فإنه يحتمل المدح ويحتمل الذم، وجه الذم: أن يكون المذكور دنيًّا، ولا يعادي الدنيء إلا مثله، وكذلك قوله:

ولله سر في علاك

يحتمل المدح أي سر لا يطلع عليه في تقديم مثلك.

قال شاعر، فأراد أن يكثر عليه، فقال لأهل البلد:

وتشابهتْ سُوَرَ القرآنِ عليكمو ... فقرنتمُ الأنعام بالشعراء

ومدح رجل رجلاً يقال له يسير، فقال في مدحه:

وفضل يسير في البلاد يسير

فقيل له: إنك قد مدحته وإنه لا يعطيك شيئاً، فقال: إن لم يعطني شيئاً قلت بيدي هكذا، وضم أصابعه يعني أنه قليل.

وبلغني من هذا الجنس قول رجل في رجل:

تحلّى بأسماء الشهور فكفه   جُمادى وما ضمّت عليه المحرم

وقال شاعر آخر:

وقائل لي ما الذي تشتهي   من التي قد ضمها خِدْرها؟
أوجهها حين بدا مقبلاً   أم شعرها الأسود أم ثَغرها؟
أم طرفها الأدعج أم كشحها   أم منبت الرمان أم صدرها؟
قلت له: أعشق ذا كلّه   ونصف حران وثلثي زها

سئل جحظة عن دعوة حضرها فقال: كل شيء كان منها بارد إلا الماء.

وقدمت إلى أبي يعقوب الخزيمي سكباجة كبيرة العظام، فقال: هذه شطر نجية، وأتبعت بفالوذجة قليلة الحلاوة، فقال: قد عملت هذه قبل أن يوحي ربك إلى النحل.

قال شاعر لشاعر: أنا أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.

قال: دخل بعض شعراء الهند على أمير فمدحه، فقال له الأمير: تقدم يا زوج القحبة، فقال: ما زوج القحبة؟ فقال: هذه بلغة العرب كناية عمن له قدر جليل ومحل كبير ومال ودواب وغلمان ومنزلة، قال: فأنت والله أيها الأمير أكبر زوج قحبة في الدنيا، فخجل وعلم أن مزاحه جرّ عليه شتمه.

دخل بعض الأدباء على المأمون يسأله حاجة، فلم يقضها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي شكراً، قال: ومن يحتاج إلى شكرك؟ فأنشأ يقول:

فلو كان يستغني عن الشكر مالِك لِكَثْرةِ مالٍ أو علوٍّ مكان
لما نَدَبَ الله العبادَ لِشُكْرِه وقال: آشكروني أيها الثقلان[1]

فقال: أحسنت، وقضى حاجته.

قال ابن الهبارية:

قد قلت للشيخ الرئيس أخي السماح أبي المظفر
ذكّر معين الملك بي قال المؤنث لا يذكر

روى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال: دخلت على أبي نصر بن أبي زيد، وعنده علوي مبرم، فتأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه، فلما نهض قال لي أبو نصر: ابن عمك هذا خفيف على القلب، فقلت: نعم. فقال: ما أظنك فهمت، ففكرت، فعلمت أنه أراد خفيفاً مقلوباً وهو الثقيل، وهذا المعنى الذي أراده أبو سعيد بن دوست:

وأثقل مني زائري وكأنما يقلب في أجفان عيني وفي قلبي
فقلت له لما برمت[2] بقربه أراك على قلبي خفيفاً على القلب

وصف لشاعر طيب خراسان، فلما سافر إليها لم تعجبه، فقال:

تمنينا خراساناً زماناً فلم نُعط المنى والصبر عنها
فلما أن أتيناها سِراعاً وجدناها بحذف النِّصف منها

---

(١) الثقلان: الجنّ والإنس، سُمّيا بذلك لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما بسبب التكليف. وقيل سُمّوا بذلك لأنهم ثقل على الأرض أحياءً وأمواتاً.
وقال جعفر الصادق: سُميا ثقلين؛ لأنهما مثقلان بالذنوب.

(٢) ضجرت.

الباب الخامس والعشرون
في ذكر طرف من حيل المحاربين

حدثنا زياد بن جبير رضي الله عنه قال: أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل من المشركين يقال له الهرمزان، فأسلم، فقال: إني مستشيرك في مغازي هذه فأشر عليَّ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، الأرض مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين، مثل طائر له رأس وجناحان وله رجلان، فإن آنكسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح وبالرأس، وإن آنكسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، فإن آنشدخ[1] الرأس، ذهبت الرجلان والجناحان، فالرأس كسرى، والجناح قيصر، والجناح الآخر فارس، فمر آلمسلمين فلينفروا إلى كسرى.

الإسكندر

وقد روينا أن الإسكندر رأى في عسكره سمياً له لا يزال ينهزم، فقال له: إما أن تغير آسمك أو فعلك.

وخرج يوماً في الحرب من صف أصحابه، وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات، فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر، وله منّا الوفاء بما ضمناه، فآتهمت الفرس بعضها بعضاً، وكان أول اضطراب حدث فيهم.

---

(١) انكسر.

وفي رواية أنه لما صادف دارا أمر منادياً فنادى في عسكر دارا : أيها الناس، أما نحن فقد فعلنا ما آتفقنا عليه، فكونوا من وراء ما ضمنتم، فاستشعر دارا أن عسكره قد عزموا على تسليمه إلى الإسكندر وكان ذلك سبب هزيمته.

ولما شخص عن فارس إلى الهند، تلقاه ملِكها في جمع عظيم ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال، وفي خراطيمها السيوف والأغمدة، فلم تقف لها دواب الإسكندر، فهزم وعاد إلى مأمنه، فأمر بآتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها، ثم أمر فملئت نفطاً وكبريتاً وألبسها الدروع وجُرَّت على العَجَل إلى المعركة، وبين كل تمثالين منها جماعة من أصحابه، فلما نشبت الحرب، أمر بإشعال النار في جوف التماثيل، فلما حميت آنكشف أصحابه عنها، وغشيتها الفيلة، فضربتها بخراطيمها، فتشيطت وولت مدبرة راجعة على أصحابها وصارت الدائرة على ملك الهند.

قال: ونزل مرة على مدينة حصينة، فتحصن أهلها منه، فأخبر أن عندهم من الميرة[1] قدر كفايتهم، فدسّ تجاراً متنكرين، وأمرهم بدخول المدينة، ورحل عنها وأمدهم بمال ومتاع، فباعوا ما معهم وآبتاعوا الميرة، فلما أكنزوا، كتب أن أحرقوا ما عندكم من الميرة وآهربوا، ففعلوا فزحف إلى المدينة فحاصرها أياماً يسيرة، فأخذها، وكان إذا أراد محاصرة بلد شرد من حولها من القرى، فهربوا إليها فيسرعون في أكل الميرة، فتقل فيحاصرهم فيفتحها.

الأصهد بين كسرى وقيصر

وحكي عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث الأصهد إلى الروم في جيش عظيم، فأعطي من الظفر ما لم يعطه أحد قبله، وأخذ الأصهد خزائن الروم ووجهها على هيئتها إلى كسرى، ففطن كسرى أن مال الأصهد من الظفر، وأن هذا

(١) الطعام.

ح بن البراء، وكان ملِكاً على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس،
ـي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت:

وأخـو الحضر إذ بنـــاه وإذ   دجلة تجبى إليـه والخابـور

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام، فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان،
ـسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة.

ال ابن الكلبي: ولم تكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارعة،
ـا شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، فسميت الزباء.

الكلبي: وبعث عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها، فبلغت بها
جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها،
ـة الأبرش عنها، وآبتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي
ـربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، وكان إذا راهقها الأعد
ـنت به، وكانت قد آعتزلت الرجال، فهي عذراء، وكان
الحرب مهادنة، فحدث جذيمة نفسه بخطبتها، فجمع خ
وكان له عبد يقال له قصير بن سعد وكان عاقلاً لبيباً
ه وعميد دولته، فسكت القوم وتكلم قصير فقال
الزباء امرأة قد حرمت الرجال، فهي عذراء لا
ـك ثأر والدم لا ينام، وإنما هي تاركتك ر
ـويداء القلب له كُمون ككمون النار في
ـه توارى، وللملك في بنات الملوك ا
ـه قدرك عن الطمع فيمن دونك،
قصير، الرأي ما رأيت، والحزم
، ولكل آمرىء قدر لا مفر

فغزا مليح بن البراء، وكان ملِكاً على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس، وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت:

وأخـو الحضر إذ بنـــاه وإذ　　　دجلة تجبـى إليـه والخابـور

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام، فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان، حسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة.

قال ابن الكلبي: ولم تكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارعة، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، فسميت الزباء.

قال الكلبي: وبعث عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها، فأزالت جذيمة الأبرش عنها، وآبتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات ومن غربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، وكان إذا راهقها الأعداء أوت إليه وتحصنت به، وكانت قد آعتزلت الرجال، فهي عذراء، وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدث جذيمة نفسه بخطبتها، فجمع خاصته فشاورهم في ذلك وكان له عبد يقال له قصير بن سعد وكان عاقلاً لبيباً وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته، فسكت القوم وتكلم قصير فقال: أبيت آللعن أيها الملك، إن الزباء امرأة قد حرمت الرجال، فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال، ولها عندك ثأر والدم لا ينام، وإنما هي تاركتك رهبة وحذار دولة، والحقد دفين في سويداء القلب له كُمون ككمون النار في الحجر، إن آقتدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع، ولهنّ فيه منتفع، وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك، وعظم شأنك فما أحد فوقك، فقال جذيمة: يا قصير، الرأي ما رأيت، والحزم فيما قلته، ولكن النفس تواقة إلى ما تحب وتهوى، ولكل آمرىء قدر لا مفر له منه ولا وزر،

فوجه إليها خاطباً وقال: ائت الزباء، فآذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه، فجاءتها خطبته، فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له: أنعم بك عيناً وبما جئت به وله، وأظهرت له السرور به والرغبة فيه، وأكرمت مقدمه، ورفعت موضعه، وقالت: قد كنت أضربت عن هذا الأمر خوفاً أن لا أجد كفؤاً، والملك فوق قدري، وأنا دون قدره، وقد أجبت إلى ما سأل، ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل، لسرت إليه ونزلت عليه. وأهدت إليه هدية سنية، ساقت العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم، وحملت من الثياب والعين والوَرِق، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب، وأبهجه ما رأى من اللطف، وظنّ أن ذلك لحصول رغبة، فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه، واستخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي، وهو أول ملوك الحيرة من لخم، وكان ملكه عشرين ومائة سنة، وهو الذي آختطفته الجن وهو صبي، وردته وقد شبّ ونبر، فقالت أمه: ألبسوه الطوق، فقال خاله جذيمة: شب عمرو عن الطوق، فصارت مثلاً، فآستخلفه وسار إلى الزباء، فلما صار ببقة، نزل وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأي من أصحابه، فسكت القوم وآفتتح الكلام قصير بن سعد قال: أيها الملك، كل عزم لا يؤيد بحزم فإلى تلف، ما يكون كونه، فلا تثق بزخرف قول لا محصول له، ولا تعتقد الرأي بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالمنى فيبعد، والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت، ويأخذ حذره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجري بالمقدور، لعزمت على الملك عزماً بتاً أن لا يفعل، فأقبل جذيمة على الجماعة فقال: ما عندكم أنتم في هذا الأمر، فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه فقال جذيمة: الرأي للجماعة والصواب ما رأيتم، فقال قصير: أرى القدر يسابق الحذر، ولا يطاع لقصير أمر. فأرسلها مثلاً.

وسار جذيمة، فلما قرب من ديار الزباء نزل وأرسل إليها يعلمها بمجيئه، فرحبت وقربت وأظهرت السرور به والرغبة فيه، وأمرت أن يحمل إليه الأنزال[1] والعلوفات، وقالت لجندها وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها: تلقوا سيدكم وملك دولتكم.

وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع، فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيراً فقال: أنت على رأيك؟ قال: نعم، وقد زادت بصيرتي فيه، أفأنت على عزمك؟ قال: نعم وقد زادت رغبتي فيه، فقال قصير: ليس للأمور بصاحب من لم ينظر في العواقب، وقد يستدرك الأمر قبل فوته، وفي يد الملك بقية هو بها مسلط على آستدراك الصواب، فإن وثقت بأنك ذو ملك وعشيرة ومكان، فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك ومكانك، وألقيتها في يدي من لست آمن عليك مكره وغدره، فإن كنت ولا بد فاعلاً، ولهواك تابعاً؛ فإن القوم إن تلقوك غداً فرقاً وساروا أمامك وجاء قوم وذهب قوم، فالأمر بعد في يدك والرأي فيه إليك، وإن تلقوك رزدقاً واحداً[2]، وأقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم آنقضوا عليك من كل جانب، فأحدقوا بك، فقد ملكوك وصرت في قبضتهم، وهذه العصا لا يشق غبارها ـ وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح يقال لها العصا ـ فإذا كان كذلك فتملك ظهرها فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة كلامه ولم يردَّ جواباً، وسار، وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها: إذا أقبل جذيمة غداً فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وشماله، فإذا توسط جمعكم فتعرضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم. وسار جذيمة وقصير عن يمينه، فلما لقيه القوم رزدقاً واحداً أقاموا له صفين، فلما توسطهم آنقضوا عليه من كل جانب انقضاض الأجدل[3] على فريسته، فأحدقوا به

(١) الأنزال: جمع نُزُل بضمتين؛ طعام التَّزيل الذي يُهيأ له.

(٢) جمعاً واحداً. (٣) الأجدل: الصقر.

وعلم أنهم قد ملكوه، وكان قصير يسايره فأقبل عليه وقال: صدقت يا قصير، فقال قصير: أيها الملك أبطأت بالجواب حتى فات الصواب فأرسله مثلاً. فقال: كيف الرأي الآن؟ قال: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها، فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش. فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل، جمع نفسه فصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها، فذهبت تهوي به هوي الريح، فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به، وأشرفت الزباء من قصرها فقالت: ما أحسنك من عروس تجلى وتزف إليَّ، حتى دخلوا به إلى الزباء، ولم يكن معها في قصرها إلاّ جوارٍ أبكار أتراب.

وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زِي، وهي بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم تزهو، فأمرت بالأنطاع[1] فبسطت وقالت لوصائفها: خذوا بيد سيدكنّ وبعل مولاتكنّ، فأخذن بيده فأجلسنه على الأنطاع بحيث يراها وتراه وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن رواهشه[2] ووضعت الطشت تحت يده، فجعلت دماؤه تشخب، في الطشت، فقطرت قطرة على النطع فقالت لجواريها: لا تضيعوا دم الملِك، فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله، فلما مات قالت: والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض، ثم أمرت به، فدفن.

وكان جذيمة قد آستخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي، وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر ويقتفي الأثر عن خاله، فخرج ذات يوم، فنظر إلى فارس قد أقبل يهوي به فرسه هوي الريح، فقال: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالبهيمة، لأمر ما جاءت العصا، فأشرف عليهم قصير، فقالوا: ما وراءك؟ قال: سعى المقدر بالملِك إلى حتفه على الرغم من أنفي وأنفه،

(١) الأنطاع: جمع نَطَع أو نِطْع وهو بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس.

(٢) شرايينه.

فآطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: أي ثأر يطلب من الزباء، وهي أمنع من عُقَاب[1] الجو؟ فقال قصير: قد علمت نصحي كان لخالك وكان الأجل رائده، والله لا أنام عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس أو أدرك به ثأراً أو تخترم نفسي فأعذر، ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه ثم لحق بالزباء على صورة كأنه هارب من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير بن سعد عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك، فأذنت له فقالت: ما الذي جاء بك إلينا يا قصير، وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا آبنة الملوك العظام، لقد أتيت فيما يؤتى مثلك في مثله، ولقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه، وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو بن عدي، فإنه آتهمني بخاله وبمشورتي عليه بالمسير إليك، فجدع أنفي، وأخذ مالي، وحال بيني وبين عيالي، وتهددني بالقتل، وإني خشيت على نفسي فهربت منه إليك، أنا مستجير بك ومستند إلى كهف عزك، فقالت: أهلاً وسهلاً، لك حق الجوار وذمة المستجير، وأمرت به فأنزل وأجرت له الأنـزال ووصلته وكسته وأخدمته وزادت في إكرامه، وأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضع الفرصة منها، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق وتعتصم به فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يوماً: إنّ لي بالعراق مالاً كثيراً وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، وإن أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتِني شيئاً أتعلل به في التجارة وأجعله سبباً للوصول إلى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له، وأعطته مالاً فقدم العراق وبلاد كسرى، فأطرفها من طرائفه وزادها مالاً إلى مالها كثيراً وقدم عليها، فأعجبها ذلك وسرّها وترتب له عندها منزلة، وعاد إلى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفاً من الجواهر والبَزّ والديباج، فازداد مكانه منها وازدادت منزلته عندها

(١) العُقَاب: من جوارح الطير.

ورغبتها فيه، ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات والطريق إليه، ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الأولين طرائف ولطائف، فبلغ مكانه منها وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به في مهاتها وملماتها، وآسترسلت إليه وعولت في أمورها عليه، وكان قصير رجلاً حسن العقل والوجه حصيناً لبيباً أديباً، فقالت له يوماً: أريد أن أغزو البلد الفلاني من أرض الشام، فآخرج إلى العراق فآئتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب، فقال قصير: ولي في بلاد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح والكراع والعبيد والثياب وفيها كذا وكذا، وما يعلم عمرو بها ولو علمها لأخذها واستعان بها على حربك، وكنت أتربص به المنون [1]، وأنا أخرج متنكراً من حيث لا يعلم فآتيك بها مع الذي سألت، فأعطته من المال ما أراد وقالت: يا قصير، الملك يحسن لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره، ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده وإصداره إليك، وما تقصر يدك عن شيء تناله يدي، ولا يقعد بك حال ينهض بي، فسمع بها رجل من خاصة قومها فقال: أسد حاذر، وليث ثائر، قد تحفز للوثبة. ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال: الآن طاب المصاع وخرج من عندها، فأتى عمرو بن عدي فقال: قد أصبت الفرصة من الزباء، فآنهض فعجل الوثبة، فقال له عمرو: قل أسمع ومُرْ أفعل، فأنت طبيب هذه القرحة، فقال: الرجال والأموال، قال: حكمك فيما عندنا مسلط، فعمد إلى ألفي رجل من فتيان قومه وصناديد أهل مملكته فحملهم على ألف بعير في الغرائر السود، وألبسهم السلاح والسيوف والحَجَف [2]، وأنزلهم في الغرائر وجعل رؤوس المسوح من أسافلها مربوطة من داخل، وكان عمرو فيهم، وساق الخيل

---

(١) المنون: الموت.

(٢) الحَجَف: مفردها الحَجَفَة وهي الترس من جلد.

والعبيد والكراع والسلاح والإبل محملة، فجاءها البشير فقال: قد جاء قصير، ولما قرب من المدينة حمل الرجال في الغرائر متسلحين بالسيوف والحجف، وقال: إذا توسطت الإبل المدينة، فالأمارة بيننا كذا وكذا فآخترطوا الربط. فلما قربت العير من مدينة الزباء كانت الزباء في قصرها، فرأت الإبل تتهادى بأحمالها، فآرتابت بها، وقد كان وُشي بقصير إليها وحُذّرت منه، فقالت للواشي به إليها: إن قصيراً اليوم منّا وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه الدولة، وإنما يبعثكم على ذلك الحسد وليس فيكم مثله، فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به إليها فقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا[١] أجندلاً[٢] يحمِلْن أم حديدا
أم صرفاناً[٣] بارداً شديداً أم الرجال في المسوح[٤] سودا

ثم أقبلت على جواريها فقالت: أرى الموت الأحمر في الغرائر السود. فذهبت مثلاً. حتى إذا توسطت الإبل المدينة وتكاملت، ألقوا إليهم الأمارة[٥]، فاخترطوا رؤوس الغرائر، فسقط إلى الأرض ألفا ذراع بألفي باتر طالب ثأر القتيل غدراً، وخرجت الزباء تمصع[٦] تريد النفق، فسبقها إليه قصير فحال بينها وبينه، فلما رأت أن قد أحيطَ بها ومُلكت، آلتقمت خاتماً في يدها تحت فصه سم ساعة، وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو، فأدركها عمرو وقصير، فضرباها بالسيف حتى هلكت، وملكا مملكتها، وآحتويا على نعمتها، وخط قصير على جذيمة قبراً وكتب على قبره هذه الأبيات يقول:

(١) على مهل.
(٢) الجَندل: الحجارة.
(٣) الصَّرَفان: بفتح الراء والصاد: الرصاص.
(٤) المُسُوح: مفردها مِسْح: وهو البِلاَس، بكسر الباء وتفتح ثوب من الشعر غليظ.
(٥) العلامة التي كانت بين قصير وجنوده.
(٦) تمصع: تركض مسرعة.

مِلكٌ تمتع بالعساكر والقَنَا والْمَشْرَفِيَّة[1] عزه ما يوصف
فسعتْ منيّته إلى أعدائه وهو المتوج والحسام[2] الْمُرهف[3]

وقد روينا أن ملِكاً كان يقال له شمر ذو الجناح، سار إلى سمرقند، فحاصرها، فلم يظفر منها بشيء، فطاف حولها بالحرس، فأخذ رجلاً من أهلها، فآستمال قلبه وسأله عن المدينة، فقال: أما ملِكها فأحمق الناس، ليس له همّ إلا الشراب والأكل والجماع، ولكن له بنت هي التي تقضي أمر الناس، فبعث معه هدية إليها وقال: أخبرها أني لم أجيء لالتماس المال، فإن معي من المال أربعة آلاف تابوت[4] ذهباً وفضة، وأنا دافعها إليها وأمضي إلى الصين، فإن كانت لي الأرض كانت امرأتي، وإن هلكت كان المال لها، فلما بلغتها رسالته قالت: قد أجبته، فليبعث بالمال. فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان، وجعَل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب بالجلجل، فلما صاروا في المدينة، ضرب بالجلجل فخرجوا فأخذوا الأبواب، ونهض شمر في الناس فدخل المدينة، فقتل أهلها وحوى ما فيها، ثم سار إلى الصين.

كسرى

وقد كان كسرى من الذكاء على غاية، فروينا عنه أنه نَمَّ إليه رجل بصديق له، فكتب كسرى للنَّامِّ: قد آخترنا نصحك، وذممنا صاحبك لسوء آختياره الإخوان.

---

(١) الْمَشْرَفِيَّة: سيوف منسوبة إلى مشارف الشام وهي أرض من قرى العرب تدنو من الريف، وقيل: بل هي نسبة إلى موضع من اليمن.
(٢) الحسام: السيف القاطع.
(٣) الْمُرْهَف: المرقق.
(٤) صندوق.

وقال منجمو كسرى: إنك تُقتل، فقال: لأقتلن من يقتلني، فأمر بِسُمّ فخلط في أدوية، ثم كتب عليه: دواء الجماع مجرب، من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة، فلما قتله آبنه شيرويه وفتش خزائنه مرّ به، فقال في نفسه: هذا الدواء الذي كان يقوى به على السراري، فأخذ منه، فقتله وهو مَيْت.

وفي رواية: أن شيرويه لما أراد قتل أبيه بعث إليه من يقتله، فلما دخل عليه قال: إني أدلك على شيء لوجوب حقك يكون فيه غناك، قال: وما هو؟ قال: الصندوق الفلاني، فذهب الرجل إلى شيرويه، فأخبره الخبر، فأخرج الصندوق وفيه حُق فيه حب، وثَمَّ مكتوب: من أخذ منه واحدة آفتض عشرة أبكار، فطمع شيرويه في صحة ذلك، فأخذه وعوض الرجل منه، ثم أخذ منه حبة، فكان هلاكه، وكان كسرى أول مَيْت أخذ بثأره من حي.

هزم بعض الملوك، فنثر لطالبيه زجاجاً ملوناً شبيهاً بالجوهر الأحمر والأخضر، ودنانير صفراً مطلية بالذهب، فتشاغل طالبوه بلقطها، فنجا.

علم بعض الملوك بعسكر يطلبه فأخذ شعيراً فطبخه بالماء مع قضبان الدِّفْلى [١]، ثم جففه، ثم جربه في دابة، فلما أكلته نفقت [٢] من يومها، فخرج هو وعسكره ناحية ونثر الشعير والميرة، فلما سار القوم إليه ترك ما في معسكره وتنحى، فجاؤوا فأطلقوا دوابهم في الشعير فهلكت كلها.

حارب قوم ومعهم فيلة، فقهروا عدوهم، فأشار على العدو رجل أن يحملوا خنزيراً وأن يضربوه، فلما سمعت الفيلة صوته هربت.

جاء رجل معه هر تحت حضنه ومشى بسيفه إلى الفيل وفي خرطومه السيف،

---

(١) الدِّفْلَى: نبت مُرّ.

(٢) ماتت.

فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر الفيل هارباً، وتساقط مَنْ فوقه، فكبر المسلمون وكان سبب الهزيمة.

قيل لأسلم بن زرعة: إن آنهزمت من أصحاب مرداس بن أدية يغضب عليك الأمير عبيدالله بن زياد، قال: يغضب علي وأنا حي أحب من أن يرضى عني وأنا ميت.

خرج أمير ومعه رجل فيه ذكاء، فبينما هم على الغداء، قال للأمير: آركب فقد لحقنا العدو. قال: كيف وما يرى أحد؟ قال: آركب عاجلاً فإن الأمر أسرع مما تحسب، فركب وركب الناس، فلاحت الغبرة وطلع وعليهم سرعان الخيل، فعجب الأمير وقال: كيف علمت؟ قال: أما رأيت الوحش مقبلة علينا، ومن شأن الوحوش الهرب منا، فعلمت أنها لم تدع عاداتها إلا لأمر قد دهمها. والله الموفق.

الباب السادس والعشرون

في ذكر طرف من فطن المتطببين

قال محمد بن علي الأمين: حدثنا بعض الأطباء الثقات أن غلاماً من بغداد قدم الرّي، فلحقه في طريقه أنه ينفث الدم، فآستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد، فنظر إلى نبضه وقارورته وآستوصف حاله فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة، فآستنظر العليل لينظر في حاله، فآشتد الامر على المريض وقال: هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة، فزاد ألمه، ففكر الرازي، ثم عاد إليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه، فأخبره إنه قد شرب من صهاريج ومسقفات، فثبت في نفس الرازي بحدّة خاطره وجودة ذكائه، أن علقة[1] كانت في الماء، وقد حصلت في معدته وذلك الدم من فعلها، فقال: إذا كان في غد عالجتك، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم. قال: نعم فآنصرف الرازي فجمع مركنين[2] كبيرين من طحلب، فأحضرهما في غد معه، فأراه إياهما قال: إبلع جميع ما في هذين المركنين، فبلع شيئاً يسيراً ثم وقف، قال: إبلع. قال: لا أستطيع، فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه، فأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه

---

(١) العَلَقة: دودة في الماء تمص الدم.

(٢) المِرْكَن: الإجّانة التي تغسل فيها الثياب.

ببلعه ويتهدده بأن يضرب إلى أن بـلع كارهاً أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث ويقول: الساعة أقذف، فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه، فذرعه القيء، فتأمل الرازي ما قذف فإذا فيه علقة، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها، فآلتفت على الطحلب، ونهض العليل معافى.

حدثنا علي بن الحسن الصيدلاني قال: كان عندنا غلام حَدَثٌ من أولاد النَّبَط[1] فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه، فكانت تضرب عليه أكثر الأوقات ضرباً عظيماً حتى يكاد يتلف، وقلَّ أكلـه، ونحل جسمـه، فحمـل إلى الأهواز، فعولج بكل شيء، فلم ينجع فيه، وردّ إلى بيته وقد يئس منه فجاز بعض الأطباء فعرف حاله، فقال للعليل: اشرح لي حالك من زمن الصحة، فشرح إلى أن قال: دخلت بستاناً فكان في بيت البقر رمَّان كثير للبيع، فأكلت منه كثيراً. قال: كيف كنت تأكله؟ قال: كنت أعض رأس الرمَّانة بفمي وأرمي به وأكسرها قطعاً وآكل، فقال الطبيب: غداً أعالجك بإذن الله تعالى، فلما كان الغد جاء بقدر اسفيداج قد طبخها من لحم جرو سمين، فقال للعليل: كُلْ هذا، قال العليل: ما هو؟ قال: إذا أكلت عرفتك، فأكل العليل، فقال له: آمتلىء منه، فآمتلأ ثم قال له: أتدري أي شيء أكلت؟ قال: لا. قال: لحم كلب، فآندفع يقذف، فتأمل القذف إلى أن طرح العليل شيئاً أسود كالنواة يتحرك، فأخذه الطبيب، وقال: آرفع رأسك فقد برأت، فرفع رأسه، فسقاه شيئاً يقطع الغثيان، وصبّ على وجهه ماء ورد، ثم أراه الذي وقع، فإذا هو قرادٌ[2] فقال: إنّ الموضع الذي كان فيه الرمّان، كان فيه قِردان من البقر، وإنه حصلت منهنّ واحدة في رأس إحدى الرمّانات التي اقتلعت رؤوسها بفيك، فنزل القُرَاد إلى

---

(١) النَّبَط: جيل ـ صنف ـ من الناس كانوا ينزلون سواد العراق، ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم.

(٢) القُرَاد حشرة تتعلق بالبعير ونحوه، وهو كالقمل للإنسان والجمع قِرْدان.

حلقك، وعلق بمعدتك يمتصها، وعلمت أن القُرَاد تهش إلى لحم الكلب، فإن لم يصح الظنّ لم يضرك ما أكلت، فصح، فلا تدخل فمك شيئاً لا تدري ما فيه. والله الموفق.

حدثنا أبو إدريس الخولاني قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل له: ولِمَ. قال: لا يعدو العاقل احدى خصتلين: أما أن يهتم لآخرته ومعاده؛ أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الهمّ لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم، فآنعقد الشحم، ثم قال: كان ملك في الزمان الاول مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطببين وقال: آحتالوا إليَّ بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً، قال: فما قدروا له على شيء، قال: فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فاره[1]، فبعث إليه وأشخصه فقال له: عالجني ولك الغنى. قال: أصلح الله الملِك، أنا متطبب منجم دعني حتى أنظر الليلة في طالعك، أي دواء يوافق طالعك فأسقيك. قال: فغدا عليه، فقال: أيها الملك، الأمان. قال: لك الأمان. قال: رأيت طالعك يدل على أن الباقي من عمرك شهر، فإن أحببت عالجتك، وإن أردت بيان ذلك فآحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخلِّ عني، وإلاّ فآستقص مني. قال: فحبسه. قال: ثم رفع الملِك الملاهي وآحتجب عن الناس، وخلا وحده مهتماً كلما آنسلخ يوم آزداد غماً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً، فبعث إليه وأخرجه، فقال: ما ترى؟ قال: أعز الله الملِك، أنا أهون على الله عز وجل من أن أعلم الغيب، والله ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك؟! إنه لم يكن عندي دواء إلاّ الغمّ، فلم أقدر أن أجلب إليك الغمّ إلاّ بهذه العلة فأذاب شحم الكلى، فأجازه وأحسن إليه.

---

(١) الفارِه: الحاذق بالشي. وقال الأزهري: الفاره من الناس المليح الحسن.

حدثنا أبو الحسن بن الحسن بن محمد الصالحي الكاتب قال: رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي، وقال: إنه يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر، ومن السلطان، ومما يأخذه من العامة. قال: وكان له دار قد جعلها شبه المارستان من جملة داره يأوي إليها الضعفاء والمرضى، فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك. فاّتفق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر أسكت، قال فحمل إليه أهل الطب ـ وفيهم القطيعي ـ فأجمعوا على موته إلاّ القطيعي، وعمل أهله على غسله ودفنه، فقال القطيعي: أعالجه وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه، فخلاّه أهله معه، فقال: هات غلاماً جَلِداً ومقارع، فأُتي بذلك، فأمر به، فمد وضربه عشر مقارع أشد الضرب ثم مس جسده، ثم ضربه عشراً أخر ثم جس مجسَّه، ثم ضربه عشراً أخر، ثم جس مجسَّه وقال: أيكون للميت نبض؟ قالوا: لا. قال: فجسوا نبض هذا فجسوه، فأجمعوا أنه نبض متحرك، فضربه عشر مقارع أخر ثم قال: جسوه، فجسوه فقالوا: قد زاد نبضه، فضربه عشراً أخر فتقلب، فضربه عشراً فتأوّه، فضربه عشراً فصاح، فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يتأوّه فقال له: ما تجد؟ قال: أنا جائع، فقال: أطعموه فجاؤوا بما أكله، فرجعت قوته وقمنا وقد بَرِىء، فقال له الأطباء: من أين لك هذا؟ قال: كنت مسافراً في قافلة فيها أعراب يَخْفِرونا [1]، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فقالوا: قد مات، فعمد شيخ منهم، فضربه ضرباً شديداً عظيماً وما رفع الضرب عنه حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه حرارة أزالت سكتته، فقست عليه أمر هذا العليل.

قال أبو منصور بن مارية ـ وكان من رؤساء البصرة ـ: قال: أخبرني شيوخنا

(١) يجيرونا.

قالوا: كان بعض أهلنا قد آستسقى[1]، وأيسوا من حياته، فحمل إلى بغداد وشاوروا الأطباء فيه، فوصفوا له أدوية كباراً، فعرفوا أنه قد تناولها فلم تنفع، فأيسوا من حياته وقالوا: لا حيلة لنا في برئه، فسمع العليل، فقال: دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحِمية، فقالوا: كُلْ ما تريد، فكان يجلس بباب الدار فمهما آجتاز به آشتراه وأكله، فمرّ به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فآشترى منه عشرة أرطال، فأكلها بأسرها، فآنحل طبعه، فقام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس، وكاد يتلف، ثم آنقطع القيام، وقد زال كل ما كان في جوفه وثابت قوته،فبرىء وخرج يتصرف في حوائجه، فرآه بعض الأطباء، فعجب من أمره وسأله عن الخبر، فعرّفه، فقال: ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية، فأحب أن تدلني على صاحب هذا الجراد الذي باعه لك، فما زالوا في طلبه حتى آجتاز به، فرآه الطبيب فقال له: ممن آشتريت هذا الجراد؟ فقال: ما آشتريته، أنا أصيده، وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه وأبيعه، قال: فمن أين تصطاده؟ فذكر له مكاناً على فراسخ يسيرة من بغداد، فقال له الطبيب: أعطيك ديناراً وتجيء معي إلى الموضع الذي آصطدت منه الجراد، قال: نعم. فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد شيء، ومعه حشيشة، فقالوا له: ما هذا؟ قال: صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها: (مازريون) وهي من دواء الاستسقاء، فإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالاً عظيماً لا يؤمن أن ينضبط، والعلاج بها خطر، ولذلك ما يكاد يصفها الأطباء، فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة، ونضجت في معدته، ثم طبخ الجراد، ضعف فعلها بطبختين، فآعتدلت بمقدار ما أبرأت هذا.

---

(١) اجتمع في بطنه ماء اصفر فلا يكاد يبرأ منه.

يزيد المائي

قال أبو بكر الجفاني: دخلت يوماً على القاضي حسين بن أبي عمرو وهو مهموم حزين، فقلت: لا يغم الله قاضي القضاة، فما الذي أراه؟ قال: مات يزيد المائي، فقلت: يبقي الله قاضي القضاة أبداً، ومن يزيد المائي حتى إذا مات يغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كلّه؟! فقال: ويحك، مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلّف له يقاربه في حذقه، وهل فخر البلد إلاّ أن يكون رؤساء الصناع وحذاق أهل العلوم فيه، فإذا مضى رجل لا مثل له في صناعة لا بد للناس منها، فهلا يدل هذا الامر على نقصان العلم وانحطاط البلدان، ثم أخذ يعدد فضائله والأشياء الظريفة التي عالج بها، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره، فذكر من ذلك أشياء كثيرة؛ ومنها: أنه قال: لقد أخبرني من مدة مديدة رجل من جلة هذا البلد أنه كان حدث بآبنة له علة ظريفة فكتمتها عنه، ثم آطلع عليها فكتمها هو مدة، ثم انتهى أمرها إلى الموت، قال: فقلت: لا يسعني كتم هذا أكثر من هذا. قال: وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضَرَبَاناً[1] عظيماً لا تكاد تنام منه الليل ولا تهدأ بالنهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك دم يسير كماء اللحم، وليس هناك جُرْحٌ يظهر، ولا ورم كثير، فلما خفت المأثم أحضرت يزيد فشاورته فقال: أتأذن لي في الكلام، وتبسط عذري فيه؟ فقلت: نعم. فقال: إنه لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي وأسأل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة. قال: فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنته من ذلك، فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد أن جسَّ الموضع حتى عرف بقعة الألم، حتى كدت أن أثب به، ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستره، فصبرت

(١) يقال: ضَرَبَ الْجُرْحُ ضَرَبَانًا، أي: آشتد وجعه ولذعه.

على مضض إلى أن قال: تأمر من يمسكها، ففعلت ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً فصاحت الصبية وأغمي عليها، وآنبعث الدم، فأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء، فرمى به، فجلست الجارية في الحال وآستترت وقالت: يا أبت آسترني فقد عوفيت. قال: فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع، فلحقته وأجلسته وقلت: أخبرني ما هذا؟ قال: إن تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها، إنما كانت لأطلب شيئاً أستدل به على العلة، إلى أن قالت لي: إن يوماً من الأيام جلست في بيت دولاب البقر من بستان لكم، ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه من بعد ذلك اليوم، فتخايلت أنه قد دبّ إلى فرجها من القِردان، وكلما آمتص من موضعه ولّد الضربان، وأنه إذا شبع نقط من الفرج الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم، فقلت: أدخل يدي وأفتش، فأدخلت يدي فوجدت القُراد، فأخرجته وهو هذا الحيوان، وقد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمص من الدم على طول الأيام، قال: فتأملت الحيوان، فإذا هو قراد قال: وبرئت الصبية. قال: فقال لي أبو الحسن القاضي: هل ببغداد اليوم من له صناعة مثل هذا، فكيف لا أغتم بمن هذا بعض حذقه؟!

جبريل بن بختيشوع

قال جبريل بن بختيشوع: كنت مع الرشيد بالرقة، ومعه محمد والمأمون، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب، فأكل يوماً أشياء خلط فيها، ودخل المستراح فغشي عليه، فأخرج وقوي الأمر حتى لم يشكوا في موته، فأحضرت وجسستُ عرقه، فوجدت نبضاً خفيفاً، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو ثقلاً في حركة الدم، فقلت: الصواب أن يحتجم الساعة، فقال كوثر الخادم لما يقدر من أمر الخلافة وإفضائها إلى صاحبه محمد: يا ابن الفاعلة، تقول آحجموا رجلاً ميتاً، لا نقبل قولك ولا كرامة، فقال المأمون: الأمر قد وقع، وليس يضرّ أن نحجمه، فأحضر الحجام وتقدمت إلى جماعة من الغلمان بإمساكه، ومص الحجام

المحاجم، فآحمرّ المكان، ففرحت، ثم قلت آشرطه، فشرطه، فخرج الدم، فسجدت شكراً، فكلما خرج الدم أسفر لونه إلى أن تكلم وقال: أين أنا؟ أنا جائع، فغديناه وعوفي، فسأل صاحب الحرس عن غلّته، فعرّفه أنها ألف ألف درهم في كل سنة، وسأل صاحبه فعرّفه أنها خمسمائة ألف، فقل يا جبريل كم غلتك؟ قلت: خمسون ألفاً قال: ما أنصفناك إذ غلات هؤلاء وهم يحرسوني كذلك، وغلتك كما ذكرت فأمر بإقطاعه ألف ألف درهم.

ابن نوح

حدثنا أبو الحسن بن المهدي القزويني قال: كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح، فلحقتني سكتة، فلم يشك أهلي في موتي، وغسلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة، فمرّت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن، فقال لهم: إن صاحبكم حي فدعوني أعالجه، فصاحوا عليه، فقال لهم الناس: دعوه يعالجه، فإن عاش وإلاّ فلا ضرر عليكم، فقالوا: نخاف أن تصير فضيحة، فقال: عليَّ أن لا تصير فضيحة، قالوا: فإن صرنا؟ قال: حكم السلطان فيَّ إذاً فأنذروا إن بَرِىءَ فأي شيء لي؟ قالوا: ما شئت، قال: ديته. قالوا: لا نملك ذلك، فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه، وحملني فأدخلني الحمام وعالجني، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت، ووقعت البشائر، ودفع إليه المال، فقلت للطبيب بعد ذلك: من أين عرفت هذا؟ فقال: رأيت رجليك في الكفن منتصبة، وأرجل الموتى منبسطة ولا يجوز آنتصابها، فعلمت أنك حي، وخمنت أنك أسكت، وجربت عليك فصحت تجربتي.

موسى بن سنان

قال أبو أحمد الحارثي: كان طبيب نصراني يقال له موسى بن سنان قد أُتي برجل منتفخ الذكر لا يقدر أن يبول، وهو يستغيث ويصيح، فسأله عن علته، فذكر أنه لم يبل منذ أيام، ورأى ذكره منتفخاً، فنظر في حاله فلم يجد شيئاً

يوجب عسر البول ولا حصاة، فتركه عنده يوماً يسائله، فقال له: حدثني أدخلت ذكرك في شيء لم تجر عادة الناس به، فلحقك هذا، فسكت الرجل وآستحى، فلم يزل الطبيب يبسطه ويشرط له الكتمان إلى أن قال: نكحت حماراً ذكراً، فقال الطبيب: هاتوا مطرقة وغلماناً فجاؤوه، فأمسكوا الرجل وجعل ذكره على سَندان حداد، وطرقه بالمطرقة مرة واحدة وجيعة، فبرزت شعيرة. وذاك أنه خمّن أن شعيرة من جاعرة الحمار قد دخلت في ثقب الذكر فلما طرقها خرجت.

حدثنا أبو القاسم الجهني: أنّ حَظِيّة[1] لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لتتمطى[2]، فلما تمطت جاءت لترد يديها فلم تقدر وبقيتا حافتين، فصاحت وآلمها ذلك، وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلقه وشاور الأطباء، فكل قال شيئاًوآستعمله فلم ينجح، وبقيت الجارية على تلك الصورة أياماً والخليفة قلق بها، فجاءه أحد الأطباء، فقال: يا أمير المؤمنين، لا دواء لها إلاّ أن يدخل إليها رجل غريب، فيخلو بها ويمرخها مروخاً يعرفه، فأجابه الخليفة إلى ذلك طلباً لعافيتها، فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمه دُهناً وقال: أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين بتعريتها حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدُّهن، فشق ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع في نفسه قتل الرجل، وقال للخادم: خذه فأدخله عليها بعد أن تعريها، فعريت الجارية وأقيمت، فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها، وأومأ إلى فرجها ليمسه، فغطت الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي بدنها بآنتشار الحرارة الغريزية، فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها وآستعمال بدنها في ذلك، فلما غطت فرجها قال لها

(١) هي جارية لها في قلب الخليفة حب ومنزلة رفيعة.
(٢) التمطي: التبختر ومدّ اليدين في المشي .

الرجل: قد بَرِئْتِ فلا تحركي يديك، فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد، وأخبره الخبر، فقال له الرشيد: كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا، فجذب الطبيب بيده لحية الرجل، فإذا هي ملصقة، فآنقلعت، فإذا الشخص جارية، وقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبدي حرمتك للرجال، ولكن خشيت أن أكشف لك الخبر، فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة، لأني أردت أن أدخل إلى قلبها فزعاً شديداً يحمي طبعها ويقودها إلى الجمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك، فلم يقع لي غير هذا، فأخبرتك به، فأجزل الخليفة جائزتها وصرفها

قال أبو القاسم: ولهذا آستعملت الأطباء في علاج اللَّقْوَة[١] الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقو، ليدخل قلب المصفوع ما يحميه فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع فترجع لَقْوَتُه.

روى الصلت بن محمد الجحدري قال: حدثني بشر بن الفضل قال: خرجنا حجاجاً، فمررنا بمياه من مياه العرب، فوصف لنا فيه ثلاث أخوات بالجمال، وقيل لنا: إنهن يتطببن ويعالجن، فأحببنا أن نراهنّ، فعمدنا إلى صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه، ثم رفعناه على أيدينا وقلنا: هذا سليم[٢]، فهل من راق؟ فخرجت أصغرهنّ، فإذا جارية كالشمس، فجاءت حتى وقفت عليه فقالت: ليس بسليم، قلنا: وكيف؟ قالت: لأنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات، فلما طلعت الشمس مات فعجبنا من ذلك.

شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه، فقال: ما الذي أكلت؟ قال: أكلت رغيفاً محترقاً، فدعا الطبيب ليكحله، فقال الرجل: إنما أشتكي وجع بطني لا عيني، قال: قد عرفت، ولكن أكحلك لتبصر المحترق فلا تأكله!!

(١) داء يصيب الوجه، فيعوجّ منه الشِّدق إلى أحد جانبي العنق.
(٢) السَّليمُ: اللَّدِيغ؛ تفاؤلاً له بالسلامة.

الباب السابع والعشرون

في ذكر طرف من فطن المتطفلين

قال الأصمعي: الطفيلي: الداخل على القوم من غير أن يُدعى، مأخوذ من الطَّفَل، وهو إقبال الليل على النهار بظلمته، وأرادوا أن أمره يظلم على القوم، فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل عليهم.

قال: وقولهم: طفيلي، منسوب إلى طُفَيْل، رجل بالكوفة من بني غَطَفَان، وكان يأتي الولائم من غير أن يُدعى إليها، وكان يقال له: طفيل الأعراس أو العرائس.

فيه نظر؛ لأن العرب تسمي الطفيلي الوارش والرائش، والذي يدخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه: الواغِل.

قال أبو عبيدة: كان رجل من بني هلال يقال له طفيل بن ولال إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم، فأكل طعامهم، فسمي كل من فعل ذلك به.

روى ابن مسعود قال: كان فينا رجل يقال له أبو شعيب، وكان له غلام لَحّام، فقال لغلامه: آجعل لي طعاماً لعلي أدعو النبي ﷺ، فدعا النبي ﷺ خامس خمسة، فتبعه رجل، فقال النبي ﷺ للرجل: إنك دعوتني خامس خمسة، وإن هذا تبعنا، فإن أذنت وإلاّ رجع، قال: بل ائذن له.

بنـان

حدثنا أحمد بن الحسن المقـري قال: مرّ بنان بعروس، فأراد الدخول، فلم يقدر، فذهب إلى بقّال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلاً، وجاء إلى باب العرس فقال: يا بواب، آفتح لي الباب، فقال له البواب: من أنت؟ قال: أراك ليس تعرفني، أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح، ففتح له الباب، فدخل فأكل وشرب مع القوم، فلما فرغ أخذ الأقداح، فقال: يا بواب، آفتح لي يريدون ناصحية حتى أردّ هذه، فخرج فردّها على البقال وأخذ خاتمه.

قال: وجاء بنان إلى وليمة، فأغلق الباب دونه، فآكترى سلماً ووضعه على حائط للرجل، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا، أما تخاف الله رأيت أهلي وبناتي؟ فقال: يا شيخ، لقد علمت ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد، فضحك الرجل وقال له: آنزل فكل.

قال محمد بن علي الجلاب: جاء طفيلي إلى عرس، فمنع من الدخول، وكان يعلم أن أخاً للعروس غائب، فذهب فأخذ ورقة كاغد، فطواها وختمها وليس في بطنها شيء، وجعل في ظاهرها: من الأخ إلى العروس، وجاء فقال: معي كتاب من أخي العروس، فأذن له، فدخل فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان، ليس عليه اسم أحد؟ فقال: وأعجب من هذا أنه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد، لأنه كان مستعجلاً، فضحكوا منه وعرفوا أنه آحتال لدخوله، فقبلوه.

طفيلي عالم

قال منصور بن علي الجهضمي: كان لي جار طفيلي، وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة، وأجملهم ملبوساً، وكان من شأنه أني إذا

دعيت إلى دعوة تبعني، فيكرمه الناس من أجلي، ويظنون أنه صاحب لي، فآتفق يوماً أنّ جعفر بن القاسم الهاشمي - أمير البصرة - أراد أن يختن بعض أولاده، فقلت في نفسي: كأني برسوله وقد جاء، وكأني بهذا الرجل قد تبعني، والله لئن تبعني لأفضحنه، فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني، فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت، فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتأهب، فتقدمت وتبعني، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة، ودعي بالطعام، وحضرت الموائد، وكان كل جماعة على مائدة والطفيلي معي، فلما مد يده ليتناولَ الطعام قلت: حدثنا درست بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار قوم بغير إذنهم، فأكل طعامهم دخل سارقاً وخرج مغيراً». فلما سمع ذلك قال: أثبت لك عثراً، والله لمن هذا الكلام، فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه، أوَ لاَ تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك، ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف، عن أبان بن طارق وهو متروك الحديث، بحكم يرفعه إلى النبي ﷺ، والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع، وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الإمام، وأين أنت عن حديث، حدثنا أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية» وهو إسناد صحيح ومتن صحيح. قال منصور بن علي: فأفحمني فلم يحضرني له جواب، فلما خرجنا من الموضع للانصراف، فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول:

ومن ظنّ ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

وصية طفيلي لابنه

عن عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني قال: كان طفيلي العرائس[1] الذي ينسب إليه الطفيليون، يوصي ابنه عبدالحميد بن طفيل في علته التي مات فيها فيقول له: إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلفت المريب، وتخير المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فأمُرْ وانْهَ، ولا تنظر في عيون أهل المرأة، ولا في عيون أهل الرجل، ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومُرْه وانهه من غير أن تعنف به، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال ثم أنشد وقال:

لا تجزعنَّ من القريب ... ولا من الرجل البعيدِ
وادخلْ كأنك طابخ ... بيديك مغرفة الحديدِ
متدلياً فوق الطعام ... تدلي الباز[2] الصيودِ
لتلفّ ما فوق الموائدِ ... كلّها لفّ الفهودِ
واطرح حياءك إنما ... وجه الطفيلي من حديدِ
لا تلتفتْ نحو البقول ... ولا إلى غرف الثريدِ
حتى إذا جاء الطعامُ ... ضربت فيه كالشديدِ
وعليك بالفالوذجات ... فإنها عينُ القصيدِ
هذا إذا حررتهم ... ودعوتهم هل من مزيدِ
والعرس لا يخلو من الـ ... ـلوزينج الرطب الفنيد
فإذا أتيت به محو ... ت محاسن الجام الجديد

قال: ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج ساعة، فلما أفاق رفع رأسه وقال:

(١) راجع صفحة: ٢٣٠

(٢) طير جارح.

وتنقلـــــــــــن على الموا ئـد فعـل شيطـان مـريـد
وإذا انتقلت عبثت بـالكعـــ ـك المجفـف والقـديـد
يـــا رب أنـــت رزقتني هـــذا على رغـم الحسـود
واعلم بــــأنـــك إن قبـ ـلت نعمت يا عبد الحميـد

قال علي بن المحسن بن علي القاضي عن أبيه قال: صحب طفيلي رجلاً في سفر، فقال له الرجل: امض فاشتر لنا لحماً، قال: لا والله ما أقدر، فمضى هو واشترى ثم قال له: قم فاطبخ، قال: لا أحسن، فطبخ الرجل ثم قال له: قم فأثرد، قال: أنا والله كسلان، فثرد الرجل ثم قال له: قم فاغرف، قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي، فغرفَ الرجل ثم قال له: قم الآن فكل، قال الطفيلي، قد والله استحييت من كثرة خلافي لك، وتقدم فأكل.

قال الجاحظ: قلت لأبي سعيد الطفيلي: كم أربعة في أربعة؟ قال: رغيفين وقطعة لحم.

وقال المبرد: قيل لطفيلي: كم اثنين في اثنين؟ فقال: أربعة أرغفة.

وقال مرة أخرى: انتظرته مقدار ما يأكل الإنسان رغيفاً.

وقال أبو هفان: قيل لطفيلي: كم أربعة في أربعة؟ قال: ستة عشر رغيفاً.

قال: وتطفل رجل مرة على رجل، فقال له صاحب المنزل: من أنت؟ قال: أنا الذي لم أحوجك إلى رسول.

اجتمع جماعة على عصيدة[1]، فأخذ بعضهم لقمة وألقاها في السمن وقال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ﴾[2] وجر السمن إليه، وقال الآخر: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ﴾[3] وجر السمن إليه، وقال الآخر: ﴿وَبِئْرٍ

(١) العصيدة: دقيق يُلَتُّ بالسمن ويطبخ.
(٢) الآية: ٩٤ ـ من سورة الشعراء.
(٣) الآية: ٧ ـ من سورة الملك.

مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [١] وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ [٢] وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿إِنَّا نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [٣] وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [٤] وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [٥] وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿فَالْتَقَى ٱلْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [٦] وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ [٧] وجر السمن إليه، فقال آخر: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [٨] وخلط السمن بما بقي من العصيدة فأخذه كلّه.

جاء طفيلي إلى بيت رجل مع جماعة، فقال له الرجل: من أنت؟ فقال: إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار في هذا نوع جفاء.

تطفل طفيليين على طفيلي

عرّس [٩] طفيلي، فأتاه طفيليان في أول الناس، فأدخلهما وجاء إلى غرفة له يرتقي إليها بسلّم، فوضع السلم وقال: اصعدا لتبعدا من الأذى، وأخصكما بفائق الطعام، فصعدا، فلما حصلا في الغرفة، نحى السلم ووضع المائدة، وأطعم أصدقاءه

---

(١) الآية: ٤٥ - من سورة الحج.
(٢) الآية: ٧١ - من سورة الكهف.
(٣) الآية: ٢٧ - من سورة السجدة.
(٤) الآية: ٥٠ - من سورة الرحمن.
(٥) الآية: ٦٦ - من سورة الرحمن.
(٦) الآية: ١٢ - من سورة القمر.
(٧) الآية: ٩ - من سورة فاطر.
(٨) الآية: ٤٤ - من سورة هود.
(٩) الصواب أن يقال: أعرس بالألف؛ وإنما يقال عرّس، إذا نزل المسافر ليستريح نزلة ثم يرتحل.

وجيرانه، وهما مطلعان عليه، فلما فرغ القوم وضع السلم وقال: آنزلا، فنزلا فدفع في أقفائهما. وقال: آنصرفا راشدين، لا أصفر الله ممشاكما قد قضيتما حق أخيكما.

دخل طفيلي على قوم، فبينما هو يأكل سمع صوت السدنة، فأمسك يده عن الطعام، فقيل له: لِمَ لا تأكل؟ قال: حتى تسكن هذه الأراجيف التي أسمعها.

وقيل لطفيلي مرة: ما بالك أصفر اللون؟ فقال: من الفترة التي بين العصارتين أخاف أن يكون الطعام قد فني.

وقال طفيلي: إياك والكلام على الطعام إلا أن تقول نعم، فإنها مضغة.

أوصى طفيلي غلامه فقال: إذا ضاق بك الموضع، فقل للذي إلى جانبك: لعلي ضيقت عليك، فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر.

وقال بنان: حفظت القرآن كلّه ثم أنسيته إلا حرفين: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ (1).

وقال بنان: التمكن على المائدة خير لك من زيادة أربعة ألوان.

وعطش رجل إلى جنب بنان في دعوة، فقال بنان: ارفع نفسك إلى فوق وتنفس ثلاثاً، فإنه ينزل ما أكلته من الطعام.

---

(1) الآية: ٦٢ ـ من سورة الكهف.

الباب الثامن والعشرون

في ذكر طرف من فطن المتلصصين

لص فقيه مناظر

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا عبدالله الحميدي قال: أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران قال: أخبرنا أبو الحسين بن دينار قال: أنبأنا أبو طالب عبيد الله بن أحمد الأنباري قال: حدثنا يموت بن المزرع عن المبرد قال: حدثني أحمد بن المعدل البصري قال: كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاءه بعض جلسائه فقال: أعجوبة، قال: ما هي؟ قال: خرجت إلى حائطي بالغابة، فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت ـ بيوت المدينة ـ تعرض لي رجل، فقال: آخلع ثيابك، فقلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟ قال: أنا أولى بها منك. قلت: ومن أين؟ قال: لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكسو. قلت: فالمواساة، قال: كلا قد لبستها برهة وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها، قلت: فتعريني وتبدي عورتي؟ قال: لا بأس بذلك، قد روينا عن مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عُرياناً. قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتي؟ قال: لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفاً فدعني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك، قال: كلا أردت أن توجه إليَّ أربعة من عبيدك، فيحملوني إلى السلطان، فيحبسني، ويمزق جلدي، ويطرح في رجلي القيد، قلت: كلا، أحلف

لك أيماناً أني أوفي لك بما وعدتك ولا أسوءك. قال: كلا، إنا روينا عن مالك أنه قال: لا تلزم الأيمان التي يحلف بها اللصوص. قلت: فأحلف أني لا أحتال في أيماني هذه. قال: هذه يمين مركبة على أيمان اللصوص. قلت: فدع المناظرة بيننا، فوالله لأُوجهنّ إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: تدري فيمَ فكرت؟ قلت: لا. قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا فلم أجد لصاً أخذ نسيئة، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليَّ وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة، اِخلع ثيابك. قال: فخلعتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال: أنبأنا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه أن أبا القاسم عبيد الله بن محمد الخفاف حدثه أنه شاهد لصاً قد أخذ، وأشهد عليه أنه كان يغش الأقفال في الدور اللطاف التي لجيراننا، فإذا دخل حفر في الدار حفرة لطيفة كأنها بئر النرد، وطرح فيها جوزات كأن إنساناً يلاعبه، وأخرج منديلاً فيه نحو مائتي جوزة فتركه إلى جانبها، ثم جاز فكور كل ما في الدار مما يطيق حمله، فإن لم يفطن به أحد خرج من الدار، وحمل ذلك كلّه، وإن فطن له ترك عليه قماشه، وطلب المفالتة والخروج، وإن كان صاحب الدار جلداً فواثبه ومانعه وهَمَّ بأخذه وصاح: اللصوص، واجتمع الجيران، أقبل عليه وقال: ما أبردك أنا أقامرك بالجوز منك شهوراً قد أفقرتني، وأخذت مني كل ما أملكه وأهلكتني لأفضحنك بين جيرانك لما قامرتك الآن تصيح، فما يشك أحد في قوله، وأنت تدعي عليَّ باللصوصية بلعب بارد بيني وبينك دار القمار التي تعارفنا فيها قد صنعت هذا حتى أخرج وأدع إليك قماشك، وكلما قال الرجل: هذا لص. قال الجيران: إنما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار، فقد ادعى عليه اللصوصية ولا يشكون في أنه صادق، وأن صاحب الدار مقامر، فيلعنونه ويحولون بينه وبين اللص حتى ينصرف ويأخذ الجوز ويفتح الباب وينصرف، ويفتضح الرجل بين جيرانه.

أنبأنا محمد قال: أنبأنا عليّ بن المحسن قال: حدثني محمد بن عمر المتكلم قال: حدثني رجل من الدقاقين قـال: أورد عليَّ رجل غريب سفتجة[1] بأجل، فكان يتردد عليّ إلى أن حلت السفتجة، ثم قال لي: أدعها عندك آخذها متفرقة فكان يجيء كل يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفدت، فصارت بيننا معرفة، وألف الجلوس عندي، وكان يراني أخرج من صندوق لي، فأعطيه منه، فقال لي يوماً: إن قفل الرجل صاحبه في سفره، وأمينه في حضره، وخليفته على حفظ ماله، والذي ينفي الظنة عن أهله وعياله، وإن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيلة إليه، وأرى قفلك هذا وثيقاً، فقل لي ممن آبتعته لأبتاع مثله لنفسي؟ فقلت: من فلان الاقفالي. قال: فما شعرت يوماً وقد جئت إلى دكاني فطلبت صندوقي لأخرج منه شيئاً من الدراهم، فحمل إليَّ ففتحته، وإذا ليس فيه شيء من الدراهم، وقلت لغلامي - وكان غير متهم عندي - : هل آنكسر من الدكان شيء؟ قال: لا. قلت: ففتش، هل ترى في الدكان ثقباً؟ ففتش فقال: لا. فقلت: فمن السقف حيلة؟ قال: لا. قلت: فآعلم أن دراهمي قد ذهبت، فقلق الغلام فسكته، وأقمت من نومي لا أدري أي شيء أعمل، وتأخر الرجل عني فآتهمته، وتذكرت مسألته لي عن القفل، فقلت للغلام: أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله؟ قال: أحمل الدراب من المسجد دفعتين ثلاثة، فأقفلها، ثم هكذا أفتحها، قلت: فعلى مَن تخلي الدكان إذا حملت الدراب؟ قال: خالياً. قلت: من ههنا دهيت. فذهبت إلى الصانع الذي آبتعت منه القفل فقلت له: جاءك إنسان منذ أيام آشترى منك مثل هذا القفل؟ قال: نعم ورجل من صفته كَيْتَ وكَيْتَ، فأعطاني صفة صاحبي، فعلمت أنه آحتال على الغلام وقت المساء لما آنصرفت أنا وبقي الغلام يحمل الدراب فدخل هو إلى الدكان فآختبأ فيه ومعه

---

(١) هي ما تسمى اليوم «الكمبيالة».

مفتاح القفل الذي آشتراه يقع على قفلي وأنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدراب، فلما جاء الغلام ففتح الدراب وحملها ليرفعها خرج، وأنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج من بغداد، قال: فخرجت ومعي قفلي ومفتاحه، فقلت: أبتدىء بطلب الرجل بواسط، فلما صعدت من السميرية[1] طلبت خاناً أنزله، فصعدت، فإذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت، فقلت لقيّم الخان: هذا البيت من ينزله؟ قال: رجل قدم من البصرة أمس، قلت: ما صفته؟ فوصف صفة صاحبي فلم أشك أنه هو وأن الدراهم في بيته فآشتريت بيتاً إلى جانبه ورصدت حتى آنصرف قيّم الخان، ففتحت القفل، ودخلت، فوجدت كيسي بعينه فأخذته وخرجت وأقفلت الباب، ونزلت في الوقت وآنحدرت إلى البصرة وما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار، ورجعت إلى منزلي بمالي بعينه.

لص ضرير بارع الحيلة

أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا علي بن المحسن عن أبيه قال: حدثني عبدالله بن محمد الصروي قال: حدثني ابن الدنانيري التمار قال: حدثني غلام لي قال: كنت ناقداً بالأُبُلَّة[2] لرجل تاجر، فآقتضيت له من البصرة نحو خمسمائة دينار وَوَرِقاً ولففتها في فوطة، وأمسكت عن المسير إلى الأُبُلَّة، فما زلت أطلب ملاحاً فلا أجد إلى أن رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية[3] خفيفة فارغة، فسألته أن يحملني فخفف عليَّ الأجرة وقال: أنا أرجع إلى منزلي بالأُبُلَّة، فآنزل، فنزلت وجعلت الفوطة بين يدي وصرنا، فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون، فلما رآه الملاح كبر، فصاح هو بالملاح: احملني فقد فاجأني الليل وأخاف على نفسي، فشتمه الملاح، فقلت له: آحمله، فدخل إلى الشط، فحمله فرجع إلى قراءته فخلب عقلي بطيبها، فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة وقام ليخرج في

---

(١) و (٣) ضرب من السفن.

(٢) بلدة قرب البصرة على شاطى دجلة.

بعض المشارع بالأبلة، فلم أرَ الفوطة، فآضطربت وصحت وآستغاث الملاح وقال: الساعة تنقلب الخيطية، وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي، فقلت: يا هذا، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار، فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكى وتعرى من ثيابه وقال: لم أدخل الشط ولا لي موضع أخبّىء فيه شيئاً فتتهمني بسرقة ولي أطفال وأنا ضعيف فالله الله في أمري، وفعل الضرير مثل ذلك، وفتشت السُّمَيْرِيَّة فلم أجد فيها شيئاً، فرحمتها وقلت: هذه محنة لا أدري كيف التخلص منها، وخرجنا فعملت على الهرب، وأخذ كل واحد منا طريقاً وبت في بيت ولم أمض إلى صاحبي، فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفي بها أياماً، ثم أخرج إلى بلد شاسع، فآنحدرت وخرجت في مشرعة بالبصرة، وأنا أمشي وأتعثر وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي، وذهاب معيشتي وجاهي، فآعترضني رجل فقال: ما لك؟ فأخبرته، فقال: أنا أردّ عليك مالك، فقلت: يا هذا، أنا في شغل عن طنزك[1] بي، قال: ما أقول إلاّ حقاً، آمض إلى السجن ببني نمير، وآشترِ معك خبزاً كثيراً وشواء جيداً وحلواً، وسل السجان أن يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له: أبو بكر النقاش، قل له أحب أن أراه، فإنك لا تمنع، فإن منعت فهب للسجان شيئاً يسيراً يدخلك إليه، فإذا رأيته فسلّم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك، فإذا أكل وغسل يديه فإنه يسألك عن حاجتك، فأخبره خبرك، فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك، ففعلت ذلك، ووصلت إلى الرجل فإذا شيخ مكبل بالحديد، فسلمت وطرحت ما معي بين يديه، فدعا رفقاء له، فأكلوا، فلما غسل يديه قال: من أنت، وما حاجتك؟ فشرحت له قصتي، فقال: آمض الساعة إلى بني هلال فآدخل الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره، فإنك تشاهد باباً شعثاً، فآفتحه وآدخله بلا آستئذان، فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي إلى بابين، فآدخل

---

(١) الطَّنْز: السخرية.

الأيمن منها، فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد وبواري وعلى كل وتد إزار ومئزر، فآنزع ثيابك وألقها على الوتد، وآتزر بالمئزر وآتشح بالإزار وآجلس، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتون بطعام، فكل معهم وتعمد موافقتهم في سائر أفعالهم، فإذا أُتي بالنبيذ، فآشرب وخذ قدحاً كبيراً وآملأه وقم قائماً وقل: هذا ساري لخالي أبي بكر النقاش، فسيفرحون ويقولون: أهو خالك؟ فقل: نعم. فسيقومون ويشربون لي، فإذا جلسوا فقل لهم: خالي يقرأ عليكم السلام ويقول: يا فتيان، بحياتي ردّوا على ابن أختي المئزر الذي أخذتموه بالأمس في السفينة بنهر الأُبُلَّة، فإنهم يردونه عليك، فخرجت من عنده ففعلت ما أمر، فردت الفوطة بعينها وما حلّ شدها، فلما حصلت لي قلت: يا فتيان، هذا الذي فعلتموه معي هو قضاء لحق خالي، ولي أنا حاجة تخصني، قالوا: مقضية، قلت: عرفوني كيف أخذتم الفوطة، فآمتنعوا ساعة، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش، فقال لي واحد منهم: أتعرفني فتأملته جداً فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ، وإنما كان متعامياً، وأومأ إلى آخر فقال: أتعرف هذا، فتأملته، فإذا هو الملاح، فقلت: كيف فعلتما؟ فقال الملاح: أنا أدور المشارع في أول أوقات المساء، وقد سبقت بهذا المتعامي، فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شيء له قدر ناديته وأرخصت له الأُجرة وحملته، فإذا بلغت إلى القارىء وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة الساحة، فإن حمله الراكب فذاك وإلاّ رققته عليه حتى يحمله، فإذا حملته وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت، فإذا بلغنا الموضع الفلاني فإن فيه رجلاً متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة[1]، فلا يفطن الراكب به، فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفية فيلقيه إلى الرجل الذي عليه القوصرة، فيأخذه ويسبح إلى الشط، وإذا أراد الراكب

(١) القَوْصَرَّة: بالتثقيل والتخفيف وعاء التمر يُتخذ من قصب.

الصعود وآفتقد ما معه عملنا كما رأيت، فلا يتهمنا ونفترق، فإذا كان من غد آجتمعنا وآقتسمناه، فلما جئت برسالة أستاذنا خالك، سلمنا إليك الفوطة قال فأخذتها ورجعت.

عجوز بارعة في السرقة

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الجوهري وأخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد قال: أخبرنا أبو القاسم التنوخي قال: أخبرنا ابن حيويه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثني لص تائب قال: دخلت مدينة، فجعلت أطلب شيئاً أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي موسر، فمازلت أحتال حتى سرقت كيساً له وآنسللت فما جزت غير بعيد إذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت في صدري تبوسني وتلزمني وتقول: يا بني فديتك، والكلب يبصبص ويلوذ بي، ووقف الناس ينظرون إلينا وجعلت المرأة تقول: بالله آنظروا إلى الكلب كيف قد عرفه، فعجب الناس من ذلك وتشككت أنا في نفسي وقلت: لعلها أرضعتني وأنا لا أعرفها وقالت: معي إلى البيت أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها، وإذا عندها أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين، فرحبوا بي وقربوني وأجلسوني معهم، ورأيت لهم بِزّة[1] حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي إلى أن ناموا ونام كل من في الدار، فقمت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج، فوثب عليَّ الكلب وثبة الأسد وصاح، وجعل يتراجع ويفج إلى أن آنتبه كل نائم، فخجلت وآستحييت، فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس، وفعلت أيضاً أنا بهم مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنني

---

(١) هيئة.

فيه حيلة، فلما ناموا رُمْتُ[1] الذي رمته، فإذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني به، فجعلت أحتال ثلاث ليالٍ: فلما أيست طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت: أتأذنون لي، فإني على وَفَزٍ[2] فقالوا: الأمر إلى العجوز، فآستأذنتها، فقالت: هات الذي أخذته من الصيرفي وآمض حيث شئت، ولا تقم في هذه المدينة، فإنه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل، فأخذت الكيس وأخرجتني ووجدت مناي أن أسلم من يدها، وكان قصراي أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليَّ وخرجت معي حتى أخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة، ووقفت ومضيت والكلب يتبعني حتى بعدت ثم تراجع ينظر إليَّ ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عني.

أنبأنا محمد بن أبي منصور قال: أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاوي قال: أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال: أنبأنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي قال: حدثنا علي بن محمد القاري قال: حدثنا سهل الخلاطي قال: بلغني أن محتالَيْن سرقا حماراً، ومضى أحدُهما ليبيعه، فلقيه رجل معه طبق فيه سمك، فقال له: تبيع هذا الحمار؟ قال: نعم. قال: أمسك هذا الطبق حتى أركبه وأنظر إليه، قال: فدفع إليه الطبق فيه السمك، فركبه ورجع ثم ركبه ودخل زقاقاً ففرّ به فلم يدر أين ذهب، قال: فرجع المحتال فلقيه رفيقه فقال: ما فعل الحمار؟ قال: بعناه بما آشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك.

وقد روينا أنّ رجلاً سرق حماراً، فأتى السوق ليبيعه، فسرق منه، فعاد إلى منزله فقالت له امرأته: بكم بعته؟ قال: برأس ماله.

لص يسرق لصاً فيستعيد المسروق

أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال: أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال: حدثني

(١) طلبت. (٢) على عجلة.

عبدالله بن محمد الصروي قال: حدثنا بعض إخواننا أنه كان ببغداد رجل يطلب التلصص في حداثته، ثم تاب فصار بزازاً[1]، قال: فآنصرف ليلة من دكانه وقد أغلقه، فجاء لص محتال متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفاتيح، فصاح بالحارس، فأعطاه الشمعة في الظلمة وقال: أشعلها وجئني بها، فإن لي الليلة في دكاني شغلاً، فمضى الحارس يشعل الشمعة، وركب اللص على الأقفال ففتحها ودخل الدكان، وجاء الحارس بالشمعة، فأخذها من يده، فجعلها بين يديه وفتح سفط الحساب وأخرج ما فيه، وجعل ينظر في الدفاتر ويري بيده أنه يحسب، والحارس يتردد ويطالعه ولا يشك في أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السَّحَر، فآستدعى اللص الحارس وكلّمه من بعيد وقال: آطلب لي حمالاً، فجاء بحمال، فحمل عليه أربع رزم مثمنة، وأقفل الدكان وآنصرف ومعه الحمال، وأعطى الحارس درهمين، فلما أصبح الناس، جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه، فقام إليه الحارس يدعو له ويقول: فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين، فأنكر الرجل ما سمعه، وفتح دكانه فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحاً وفقد الأربع رزم، فآستدعى الحارس وقال له: من كان حمل الرزم معي من دكاني قال: أما استدعيت مني حمالاً فجئتك به؟ قال: بلى، ولكن كنت ناعساً وأريد الحمال فجئني به، فمضى الحارس فجاء بالحمال وأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمال معه ومضى، فقال له: إلى أين حملت الرزم معي البارحة، فإني كنت منقبضاً؟ قال: إلى المشرعة الفلانية، وآستدعيت لك فلاناً الملاح، فركبت معه، فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال: أين رقيت أخي الذي كان معه الأربع الرزم؟ قال: إلى المشرعة الفلانية، قال: آطرحني إليها فطرحه، قال: من حملها معه؟ قال: فلان الحمال، فدعا به فقال له: آمش بين يدي، فمشى فأعطاه شيئاً واستدله برفق إلى الموضع الذي إليه

---

(١) بائع ثياب.

الرزم، فجاء به إلى باب غرفة في موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء، فوجد الباب مقفلاً فآستوقف الحمال وفش[1] القفل ودخل، فوجد الرزم بحالها وإذا في البيت بَرَّكان معلق على حبل فلف الرزم فيه ودعا بالحمال، فحملها عليه وقصد المشرعة، فحين خرج من الغرفة آستقبله اللص فرآه وما معه فأبلس فآتبعه إلى الشط، فجاء إلى المشرعة ودعا الملاح ليعبر، فطلب الحمال من يحط عنه فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز متطوع، فأدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها، وجعل البَرَّكـان على كتفه وقال له: يا أخي أستودعك الله، قد آرتجعت رزمك فدع كسائي، فضحك وقال: آنزل فلا خوف عليك، فنزل معه وآستتابه ووهب له شيئاً وصرفه ولم يُسيء إليه.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن أبي القاسم التنوخي عن أبيه أنّ رجلاً من بني عقيل مضى ليسرق دابة، قال: فدخلت الحي فما زلت أتعرف مكان الدابة، فآحتلت حتى دخلت البيت، فجلس الرجل وآمرأته يأكلان في الظلمة فأهويت بيدي إلى القصعة وكنت جائعاً، فأنكر الرجل يدي وقبض عليها، فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى، فقالت المرأة: مالك ويدي؟ فظنّ أنه قابض على يد آمرأته فخلى يدي، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المـرأة يدي، فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: مالك ويدي؟ فخلت يدي فخليت عن يده، ثم نام وقمت فأخذت الفرس.

وقد رويت هذه الحكاية على صفة أخرى: فأنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا التنوخي عن أبيه قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثني محمد بن بزمع العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحي، وكان ورد إلى معزّ الدولة، فأكرمه وأحسن إليه. قال: رأيت رجلاً من بني عقيل وظهره كله

---

(١) فتحه بآلة غير مفتاحه حيلة ومَكراً.

مشرط كشرطات الحجام إلاّ أنها أكبر، فسألته عن ذلك فقال: إني كنت هويت ٱبنة عم لي، فخطبتها فقالوا: لا نزوجك إلا أن تجعل في الصَّدَاق «الشبكة»[1] فرساً سابقة كانت لبعض بني أبي بكر، فتزوجتها على ذلك وخرجت في أن أحتال أن أسل الفرس من صاحبه لأتمكن من الدخول بٱبنة عمي فأتيت الحي الذي فيه الفرس وما زلت أداخلهم، فمرة أجيء إلى الخباء الذي فيه الرجل كأني سائل إلى أن عرفت بيت الفرس من الخباء الذي فيه الرجل، واختبئت حتى دخلت من خلفه وحصلت خلف النضد[2] تحت عهن[3] كانوا نفشوه ليغزل، فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد زاولت له المرأة عشاء، وجلسا يأكلان وقد ٱستحكمت الظلمة ولا مصباح لهم، وكنت جائعاً فأخرجت يدي وأهويت إلى القصعة، فأكلت معهما وأحس الرجل بيدي فأنكرها، فقبض عليها، فقبضت على يد المرأة، فقالت له المرأة: مالك ويدي؟ فظنّ أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: مالك ويدي؟ فخلت عن يدي، فخليت عن يده، وٱنقضى الطعام وٱستلقى الرجل نائماً، فلما ٱستثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيدة في جانب البيت والمفتاح تحت رأس المرأة، فوافى عبد له أسود، فنبذ حصاة، فٱنتبهت المرأة، فقامت إليه وتركت المفتاح مكانه، وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت، فإذا هو قد علاها، فأخذت أنا المفتاح ففتحت القفل، وكان معي لجام شعر، فأجزته الفرس وركبتها، وخرجت عليها من الخباء، فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء وصاحت وذعر الحي، فأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا أكد الفرس وخلفي خلق منهم، فأصبحت وليس ورائي إلاّ فارس واحد برمح، فلحقني وقد طلعت الشمس، فأخذ

(١) اسم الفرس.

(٢) السرير.

(٣) العِهن: الصوف.

يطعنني، فهذه آثار طعناته في جسدي لا فرسه يلحقه بي حتى يتمكن من طعنته إياي ولا فرسي ينجيني إلى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا إلى نهر عظيم، فصحت بالفرس، فوثب وصاح الفارس بالتي تحته فقصرت ولم تثب، فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لأريح الفرس وأستريح، فصاح بي. فأقبلت عليه بوجهي فقال: يا هذا، أنا صاحب الفرس التي تحته، وهذه آبنتها وإذ قد ملكتها، فلا تخدعن فيها، فإنها تساوي عشر ديات وعشر ديات، وما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته، ولا طلبني عليها أحد إلا فته، وإنما سميت «الشبكة» لأنها لم ترد شيئاً إلا أدركته، فكانت كالشبكة في صيدها، فقلت له: إذ نصحتني، فوالله لأنصحنك، كان من صورتي البارحة كيت وكيت، فقصصت عليه قصة آمرأته والعبد وحيلتي في الفرس، فأطرق ثم رفع رأسه، فقال: ما لك لا جزاك الله من طارق خير طلقت زوجتي وأخذت فرسي وقتلت عبدي.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر أنبأنا أبو القاسم التنوخي عن أبيه أن رجلاً نام في مسجد وتحت رأسه كيس فيه ألف وخمسمائة دينار، قال: فما شعرت إلاّ بإنسان قد جذبه من تحت رأسي فآنتبهت فزعاً، فإذا شاب قد أخذ الكيس، ومرّ يعدو، فقمت لأعدو خلفه، فإذا رجلي مشدودة بخيط قِنَّب[1] في وتد مضروب في آخر المسجد.

عباس بن الخياطة لص خطير

أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال: أنبأنا أبو القاسم التنوخي عن أبيه قال: حدثني أبو الحسين عبدالله بن محمد البصري قال: حدثني أبي قال: كان بالبصرة رجل من اللصوص يلص بالليل فاره جداً مقدام يقال له عباس بن الخياطة قد غلب الأمراء وأشجى أهل البلد، فلم يزالوا يحتالون عليه إلى أن وقع وكبّل بمائة رطل حديد وحبس، فلما كان بعد سنة من حبسه أو أكثر، دخل قوم بالأُبُلَّة على

(١) القِنَّب: نبات يؤخذ قشره ثم يفتّل حبالاً.

رجل تاجر كان عنده جوهر بعشرات ألوف دنانير، وكان متيقظاً جلداً، فجاء إلى البصرة يتظلم وأعانه خلق من التجار وقال للأمير: أنت دسست على جوهري وما خصمي سواك فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوابين وتوعدهم فاستنظروه فأنظرهم، وطلبوا واجتهدوا، فما عرفوا فاعل ذلك، فعنفهم الرجل فاستأجلوا مدة أخرى، فجاء أحد البوابين إلى الحبس، فتخادم لابن الخياطة ولزمه نحو شهر وتذلل له في الحبس فقال له: قد وجب حقك عليَّ فما حاجتك؟ قال: جوهر فلان المأخوذ بالأُبلة لا بد أن يكون عندك منه خبر، فإن دماءنا مرتهنة به، وحدثه الحديث، فرفع ذيله، وإذا سفط[1] الجوهر تحته، فسلمه إليه وقال: قد وهبته لك، فآستعظم ذلك وجاء بالسفط إلى الأمير، فسأله عن القصة، فأخبره بها، فقال: عليَّ بعباس، فجاؤوا به، فأمر بالافراج عنه وإزالة قيوده وإدخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرماً وآستدعى الطعام، فواكله وبيَّته عنده، فلما كان من الغد خلا به، وقال: أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر، وقد عاملتك بالجميل ليجب حقي عليك من طريق الفتوة، وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر. قال: على أنني ومن عاونني عليه آمنون، وإنك لا تطالبنا بالقوم الذين أخذوه؟ قال: نعم، فآستحلفه، فقال له: إن جماعة اللصوص جاؤوني إلى الحبس وذكروا حال هذا الجوهر، وإن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق، وعليها باب حديد، والرجل متيقظ وقد واعوه سنة فما أمكنهم وسألوني، فساعدتهم، فدفعت إلى السجان مائة دينار وحلفت له بالشطارة والأيمان الغليظة، أنه إن أطلقني عدت إليه من غد، وأنه إن لم يفعل ذلك اغتلته، فقتلته في الحبس، فأطلقني فنزعت الحديد وتركته وخرجت المغرب، فوصلنا إلى الأبلة العتمة، وخرجنا إلى دار الرجل، فإذا هو في المسجد وبابه مغلق، فقلت لأحدهم: تصدَّق

---

(١) السَّفَط: ما يُخبأ فيه الطيب والجواهر ونحوهما.

من الباب، فتصدق، فلما جاؤوا ليفتحوا قلت له: اِختفِ، ففعل ذلك مرات، والجارية تخرج فاذا لم تر أحداً عادت إلى أن خرجت من الباب، ومشت خطوات تطلب السائل، فتشاغلت بدفع الصدقة إليه، فدخلت أنا إلى الدار، فإذا في الدهليز بيت فيه حمار، فدخلته ووقفت تحت الحمار وطرحت الجُلّ(١) عليّ وعليه، وجاء الرجل فغلق الأبواب وفتش ونام على سرير عال والجوهر تحته، فلما آنتصف الليل قمت إلى شاة في الدار، فعركت أذنها، فصاحت فقال الرجل للجارية: آطرحي لها علفاً، ففعلت ونامت، فعركت أذنها، فصاحت فقال: ويلك أقول لك آفتقديها، قالت: قد فعلت. قال: كذبت وقام بنفسه ليطرح لها علفاً، فجالسته على السرير وفتحت الخزانة وأخذت السفط وعدت إلى موضعي، وعاد الرجل فنام، فآجتهدت أن أجد حيلة أن أنقب إلى دار بعض الجيران فأخرج، فما قدرت، لأن جميع الدار مؤزرة بالساج(٢)، ورمت صعود السطح، فما قدرت لأن المارق مقفلة بثلاثة أقفال، فعملت على ذبح الرجل، ثم آستقبحت ذلك وقلت: هذا بين يدي إن لم أجد حيلة غيره، فلما كان السَّحر عدت إلى موضعي تحت الحمار، وآنتبه الرجل يريد الخروج، فقال للجارية: آفتحي الأقفال من الباب ودعيه متربساً، ففعلت وقربت من الحمار فرفس، فصاحت فخرجت أنا ففتحت المترس(٣) وخرجت أعدو حتى جئت إلى المشرعة، فنزلت في الخيطية ووقعت الصيحة في دار الرجل، فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئاً منه، فقلت: لا هذه قصة عظيمة وأخاف أن يتنبه عليها، ولكن دعوه عندي فإن مضى على الحديث ثلاثة أشهر وأمنتم فصيروا إليَّ أعطيكم

---

(١) الجل: ما يوضع على ظهر الدابة.

(٢) السَّاج: ضرب عظم من الشجر الواحدة ساجة، ولا ينبت إلا بالهند ويجلب منها إلى غيرها. وقال الزمخشري: السَّاج: خشب أسود رزين يجلب من الهند ولا تكاد الأرض تُبليه.

(٣) المِتْرس: خشبة توضع خلف الباب لإحكام إقفاله.

النصف، وإن ظهر خفت عليكم وعلى نفسي وجعلته حقناً لدمائكم، فرضوا بذلك، فأرسل الله هذا البواب بليلة يخدمني فآستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه، وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب، فدخلتم عليَّ من طريق أخرى لم أستحسن في الفتوة معها إلا الصدق، فقال له الأمير: جزاء هذا الفعل أن أطلقك ولكن تتوب، فتاب وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى له الرزق، فآستقامت طريقته.

قال أبو الحسين: وحدثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال: كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي، وحراسي يحرسوني، وأبوابي مقفلة، فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي فآنتبهت فزعاً فقلت: من أنت؟ فقال: ابن الخياطة، فتلفت، فقال لي: لا تجزع قد قمرت الساعة خمسمائة دينار أقرضني إياها لأردها عليك، فأخرجت خمسمائة دينار، فدفعتها إليه، فقال: نَمْ ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت وإلاّ قتلتك، قال: وأنا والله أسمع صوت حراسي ولا أدري من حيث دخل، ولا من أين خرج، وكتمت الحديث خوفاً منه، وزدت في الحرس ومضت ليالٍ فإذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة فقلت: مرحباً ما تريد؟ قال: جئت بتلك الدنانير تأخذها مني، فقلت: أنت في حل منها، فإن أردت شيئاً آخر فخذ، فقال: لا أريد، مَنْ نصح التجار شاركهم في أموالهم، ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت، ولكنك رئيس بلدك، وما أريد أذيتك، فإن ذلك يخرج عن الفتوة، ولكن خذها، فإن احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك فقلت: إن عودك إليَّ يفزعني، ولكن إذا أردت شيئاً فتعالَ إليَّ نهاراً أو رسولك، فقال: أفعل، فأخذت الدنانير منه وآنصرف، وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك، فيأخذ ما يريده ويرده بعد مدة، فما آنكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه.

حكى أبو محمد عبدالله بن علي بن الخشاب النحوي أنّ رجلاً آشترى من

مخاطر قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه، فلما وصل أخرجها، فإذا هي قطعة آجر، فصعب الأمر عليه وقال: هذا يبيع الناس آجراً وصابوناً فمضى إليه ليردها، فلما وصل قال: ويحك أتبيع الناس آجراً وصابوناً قال: كيف أبيع آجراً؟ فأخرجها من كمه، فإذا هي قطعة صابون، فاستحى ورجع إلى النهر، فأخرجها فإذا هي آجر، فعاد إليه ووبخه وأخرجها، فإذا هي قطعة صابون، فعاد مرة أخرى كذلك حتى ضجر فقال له المخاطر: لا يضيق صدرك، فإن لنا ولداً قد أخرجناه نعلمه أن يبط ويحتال وإنك كلما مضيت فعل هذا، فإذا رآك قد عدت لردها أعادها في كمك وأنت لا تعلم.

دخل لص دار قوم فلم يجد ما يسرق غير دواة[1] مكسورة، فكتب على الحائط: عزّ عليَّ فقركم وغناي.

دخل لص بيت رجل، فأخذ متاعه وخرج، فصاح الرجل ما أنحس هذه الليلة فقال اللص: على كل أحد.

حدثني بعض الإخوان أن رجلاً جاء إلى بزاز، فآستعرض منه ثياباً بثلثمائة دينار، ثم وزنها له، فلما تسلمها قال الرجل: لقد غبنتني، فعاد وجمع الدنانير وتركها في خرقة وختمها ورمى بها في كم غلامه، ثم قال: ما أنا إلا متردد، أفتأذن لي أن أُري الثياب من آشتريتها له، فإن رضي وإلا رددتها؟ قال: نعم فأدخل يده في كم غلامه فأخرج الخرقة، فرمى بها إلى البزاز وأخذ الثياب ومضى، ففتح البزاز الخرقة فإذا بها فلوس وقد جعل في كم غلامه خرقة مثلها وفيها وزن الثلثمائة.

حدثني أبو الفتح البصري قال: اجتمع جماعة من اللصوص، فاجتاز عليهم شيخ صيرفي معه كيسه، فقال أحدهم: ما تقولون فيمن يأخذ كيس هذا؟

---

(١) الدَّواة: المِحبرة.

قالوا: كيف تفعل؟ قال: آنظروا، ثم تبعه إلى منزله، فدخل الشيخ فرمى كيسه على الصُّفة [1] وقال للجارية: أنا حاقن، فآلحقيني بماء في الغرفة، وصعد، فدخل اللص فأخذ الكيس وجاء إلى أصحابه فحدثهم فقالوا: ما عملت شيئاً تركته يضرب الجارية ويعذبها وما ذا مليح؟ قال: فكيف تريدون؟ قالوا: تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس، قال: نعم. فمضى، فطرق الباب، فإذا به يضرب الجارية فقال: مَنْ؟ قال: غلام جارك في الدكان، فخرج فقال: ماذا تقول؟ فقال: سيدي يسلم عليك ويقول لك: قد تغيرت ترمي كيسك في الدكان وتمضي، ولولا أننا رأيناه كان قد أُخذ، وأخرج الكيس وقال: أليس هذا هو؟ قال: بلى، والله صدق، ثم أخذه فقال له: بل أعطنيه وآدخل فآكتب في رقعة: قد تسلمت الكيس، حتى أتخلص أنا ويرجع إليك مالك، فناوله إياه ودخل ليكتب، فأخذه ومضى.

لص تحايل على عجوز فلم تنفع حيلته

قال أبو جعفر محمد بن الفضل الصيمري: كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة، وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره، ثم يعود إلى منزله فيخبّيء كيسه عند والدته، ويمضي فيبيت في مواضع يشرب فيها، فعين بعض اللصوص على كيسه ليأخذه، فجاء وراءه، فدخل إلى الدار وهو لا يعلم فآختبأ فيها وسلم هو كيسه إلى أمه وخرج، وبقيت هي وحدها في الدار، وكان لها في دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب من حديد تجعل قماشها فيه والكيس، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فأفطرت بين يديه، فقال اللص: الساعة تقفله وتنام، وأنزل وآخذ الكيس، فلما أفطرت قامت تصلي ومدت الصلاة ومضى نصف الليل وتحير اللص، وخاف أن

---

(١) الصُّفة: المصطبة.

يدركه الصبح، فطاف في الدار فوجد إزاراً جديداً وبخوراً، فاتزر بالإزار، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الدرجة، ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز، وكانت جلدة، ففطنت أنه لص فقالت: من هذا ـ بآرتعاد وفزع ـ فقال: أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلني إلى آبنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه عن آرتكاب المعاصي، فأظهرت أنها قد غشي عليها من الفزع وأقبلت تقول: يا جبريل سألتك إلا رفقت به، فإنه واحدي، فقال اللص: ما أرسلت لقتله، قالت: فبمَ أرسلت؟ قال: لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك، فإذا تاب رددته عليه، فقالت: يا جبريل شأنك وما أمرت به، فقال: تنحي عن باب البيت، فتنحت وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش، وآشتغل في تكويره، فمشت العجوز قليلاً قليلاً وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة وجاءت بقفل فقفلته، فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة في نقب أو منفذ، فلم يجد، فقال: آفتحي فقد آتعظ آبنك، فقالت: يا جبريل، أخاف أن أفتح الباب فتذهب عيني من ملاحظة نورك، فقال: إني أطفىء نوري حتى لا يذهب بعينيك، فقالت: يا جبريل، ما يعجزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفني أنا لتغوير بصري، فأحس اللص أنها جلدة فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة، فقالت: دع عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار، وقامت فصلت، وهو يسألها حتى طلعت الشمس، وجاء آبنها وعرف خبرها وحدثته الحديث، فأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص.

الباب التاسع والعشرون

في ذكر طرف من فطن الصبيان

عبدالله بن الزبير رضي الله عنه

أنبأنا الحسين بن محمد عبد الوهاب النحوي قال: أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أنبأنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن مروان قال لرأس الجالوت أو لابن رأس الجالوت: ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقاً بعد خلق، غير أنا نرمقهم، فإن سمعنا منهم من يقول في لعبه: من يكون معي، رأيناه ذا همة وحنو وصدق فيه، وإن سمعناه يقول: مع من أكون، كرهناها منه، فكان أول ما علم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي، فمر رجل فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى[1] وقال: يا صبيان، آجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه. ومرّ به عمر بن الخطاب وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففروا ووقف فقال له: مالك لم تفرَّ مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك.

---

(١) القَهْقَرىَ: الرجوع إلى خلف.

سنان بن مسلمة

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أنبأنا الحسين بن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أنبأنا حجاج بن نصر قال: حدثنا قرة بن خالد عن هارون بن رئاب قال: أنبأنا سنان بن مسلمة وكان أميراً على البحرين قال: كنا أُغَيْلِمَة[1] بالمدينة في أصول النخل نلتقط البلح الذي يسمونه الخلال، فخرج إلينا عمر بن الخطاب، فتفرق الغلمان وثبت مكاني، فلما غشيني قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هذا ما ألقت الريح، قال: أرني أنظر، فإنه لا يخفى عليَّ، قال: فنظر في حجري، فقال: صدقت، فقلت: يا أمير المؤمنين، ترى هؤلاء الغلمان، والله لئن انطلقت لأغاروا عليَّ، فانتزعوا ما في يدي، قال: فمشى معي حتى بلغني مأمني.

المأمون

قال أبو محمد الترمذي: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري قال: فأتيته يوماً وهو داخل، فوجهت إليه بعض خدامه يعلمه بمكاني، فأبطأ عليَّ ثم وجهت آخر فأبطأ، فقلت لسعيد: إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر، قال: أجل، ومع هذا إنه إذا فارقك تعزم على خدمه ولقوا منه أذى شديداً، فقومه بالأدب، فلما خرج أمرت بحمله، فضربته سبع دِرَر[2]، قال: فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل جعفر بن يحي قد أقبل، فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء، وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليه متربعاً، ثم قال: ليدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه، فألقى منه ما أكره. قال: فأقبل بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه، فلما هَمَّ بالحركة دعا بدابته ودعا

(١) غلماناً.

(٢) دِرَر: جمع درة وهي السوط.

غلمانه، فسعوا بين يديه، ثم سأل عني، فجئت فقال: خذ عليَّ بقية حزبي فقلت: أيها الأمير، أطال الله بقاءك، لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيي، ولو فعلت ذلك لتنكر لي، فقال: تراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا، فكيف بجعفر بن يحيي حتى أطلعه، إنني أحتاج إلى أدب إذن، يغفر الله لك بعد ظنك ووجيب قلبك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً لو عدت في كل يوم مائة مرة.

قال الحسن القزويني: سمعت أبا بكر النَّحْوي يقول: من ألطف رقعة كتبت في الاعتذار رقعة كتبها الراضي إلى أخيه أبي إسحاق المتقي، وقد كان جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب، وكان الأخ قد تعدى على الراضي، فكتب إليه الراضي: بسم الله الرحمن الرحيم أنا معترف لك بالعبودية فرضاً وأنت معترف إليَّ بالاخوة فضلاً، والعبد يذنب والمولى يعفو وقد قال الشاعر:

ياذا الذي يغضب من غير شيء ... أعتِبْ فعُتْبَاك حبيبٌ إليَّ

أنت على أنك لي ظالم ... أعز خلق الله طراً عليَّ

قال: فجاءه أبو إسحاق، فأكب عليه، فقام إليه الراضي، فتعانقا واصطلحا. والله أعلم.

حدثنا عبيد الله بن المأمون قال: غضب المأمون على أمي أم موسى، فقصدني لذلك حتى كاد يتلفني، فقلت له يوماً: يا أمير المؤمنين، إن كنت غضبان على آبنة عمك، فعاقبها بغيري، فإني منك قبلها، ولك دونها، قال: صدقت والله يا عبيد الله، إنك مني قبلها ولي دونها، والحمد لله الذي أظهر لي هذا منك وبيَّن لي هذا الفضل فيك، لا ترى والله بعد يومك هذا مني سوءًا ولا ترى إلا ما تحب، فكان ذلك سبب رضاه عن أمي.

قال الأصمعي: بينا أنا في بعض البوادي، إذا أنا بصبي - أو قال صبية -

معه قربة قد غلبته فيها ماء، وهو ينادي: يا أبت، أدرك فاها غلبني فوها لا طاقة لي بفيها، قال: فوالله لقد جمع العربية في ثلاث.

صبي أجاب ثمامة جواباً مسكتاً

قال الصولي: قال الجاحظ: قال ثمامة: دخلت إلى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام، ثم خرجت وإذا فوقه صبي، فقلت: أتركب حماري بغير إذني؟ قال: خفت أن يذهب، فحفظته لك، قلت: لو ذهب كان أحب إليَّ من بقائه، قال: فإن كان هذا رأيك في الحمار، فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي، واربح شكري، فلم أرَ ما أقول.

قال رجل من أهل الشام: قدمت المدينة، فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة، فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد فما لنا به علم منذ مدة، فقلت: انحري لنا ناقة، فإنّا أضيافك، قالت: والله ما عندنا، قلت: فشاة، قالت: والله ما عندنا، قلت: فدجاجة، قالت: والله ما عندنا، قلت: فبيضة، قالت: والله ما عندنا، قلت: فباطل ما قال أبوك.

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشُّؤْبوب[1] أو جمل

قالت: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء.

قال: بشر بن الحرث: أتيت باب المعافى بن عمران، فدققت الباب، فقيل لي: من؟ قلت: بشر الحافي. قالت لي بنية من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين، ذهب عنك اسم الحافي.

الفتح بن خاقان

وبلغنا أن المعتصم ركب إلى خاقان يعوده، والفتح صبي يومئذ، فقال له المعتصم: أيما أحسن دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ قال: إذا كان أمير المؤمنين في

(١) الشُّؤْبوب: الدفعة من المطر وغيره.

دار أبي فدار أبي أحسن، فأراه فصاً في يده، فقال: هل رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ فقال: نعم اليد التي هو فيها.

أبو علي البصير

قال أبو علي البصير: توفي أبي وأنا صغير، فمنعت ميراثي، فقدمت منازعاً إلى القاضي، فقال لي: بلغت؟ قلت: نعم. قال: ومن يعلم بذاك؟ قلت: من أنعظ عليه، فتبسم وأمر بفك حَجري.

إياس بن معاوية

بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ، فقال: أصلح الله القاضي، هذا الشيخ ظلمني وآعتدى عليَّ وأخذ مالي، فقال القاضي: اِرفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام، فقال إياس: أصلح الله القاضي، إن الحق أكبر مني ومنه ومنك. قال: آسكت. قال: إن سكت فمن يقوم بحجتي، قال: تكلم، فوالله ما تتكلم بخير، فقال: لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر، فعزلْ القاضي وولي إياس مكانه.

نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر، فقال: ما هذا بيدك؟ فقال: بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون: الحمد الله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه.

قال الفرزدق لغلام حَدَث: أيسرك أني أبوك؟ قال لا، ولكن أمي ليصيب أبي من أطايبك.

قعد صبي مع قوم يأكلون، فبكى، قالوا: مالك تبكي؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعه حتى يبرد، قال: أنتم لا تدعونه.

قال الاصمعي: قلت لغلام حَدَث السن من أولاد العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق، فقال: لا والله. قلت: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى عليَّ حمقي.

بلغنا أن صبياً لقي رجلاً عاقلاً، فقال له: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى المطبق، قال: أوسع خطوتك.

أدخل على الرشيد صبي له أربع سنين، فقال له: ما تحب أن أهب لك؟ قال: حسن رأيك.

الباب الثلاثون

في ذكر طرف من فطن عقلاء المجانين

حدثنا محمد بن إسماعيل قال: كان عندنا رجل من جهينة ـ يكنى: أبا نصر ـ قد ذهب عقله، فقلت له يوماً: ما السخاء؟ قال: جهد مُقِلّ، قلت: فما البخل؟ قال: أفٍّ وحول وجهه، فقلت: أجبني، قال: قد أجبتك.

قال الشبلي: رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عريان وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله، فقلت له: لِمَ لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي؟ فأنشأ يقول:

يقولون زرنا واقضِ واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

قال ابن القصاب الصوفي: دخلت المارستان، فرأيت فيه فتى مصاباً، فولعت به وزدت في الولع، فاتبعته، فصاح وقال: آنظروا إلى شعور مطرزة، وأجساد معطرة قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة، فقلت له: من السخي؟ قال: الذي رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم، قلت له: من أقل الناس شكراً؟ فقال: من عوفي من بلية ثم رآها في غيره فترك الشكر، فآنكسرت بذلك وقلت له: ما الظرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه.

خالد الكاتب

بلغني عن بعض أصحاب المبرد أنه قال: آنصرفت من مجلس المبرد يوماً فجزت بخربة، فإذا بشيخ قد خرج منها ومعه حجر، فهمّ أن يرميني به، فترست بالمِحْبَرَة والدفتر، فقال: مرحباً بالشيخ، فقلت: وبك، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من مجلس المبرد، قال: الباردِ، ثم قال: ما الذي أنشدكم؟ ـ فكان من عادته أن يختم مجلسه ببيت أو ببيتين من الشعر ـ فقلت له: أنشدنا:

أعــار الغيــث نــائلــه ... إذا مــا مــاؤه نفــدا
وإن أســد شكــا جبنــاً ... أعــار فــؤاده الأســدا

فقال: أخطأ قائل هذا الشعر، قلت: كيف؟ قال: ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله بقي بلا نائل، وإذا أعار الأسد فؤاده بقي بلا فؤاد، قلت: فكيف كان يقول؟ فأنشد:

علم الغيــث النــدى فــإذا ... مـا وعـاه علم البـاس الأســد
فـإذا الغيـث مقـر بـالنّـدى ... وإذا الليــث مقــر بــالجلــد

قال: فكتبتها وآنصرفت، ثم مررت يوماً آخر بذلك المكان، فإذا به قد خرج وبيده حجر فكاد يرميني، فتترست منه، فضحك وقال: مرحباً بالشيخ، فقلت: وبك، قال: من مجلس المبرد؟ قلت: نعم. قال: ما الذي أنشدكم؟ قلت: أنشدنا:

إنّ السماحــة والمروءة والنّــدى ... قبر يمر على الطــريــق الواضــح
فـإذا مـررت بقبره فـآعقــر بــه ... كرم الجيـاد وكـلّ طرف سـابح

فقال: أخطأ قائل هذا الشعر، فقلت: كيف؟ قال: ويحك لو نحرت بخت خراسان لما أبر في حقه، قلت: كيف كان يقول؟ فأنشد:

احملاني إن لم يكـــــن لكما عِقـ ـــر إلى جنـــب قبره فـاعقـــراني
وانضحا من دمي عليه فقـد كـا ن دمـــي مـــن نـــداه لـــو تعلمان

قال: فلما عدت إلى المبرد، قصصت عليه القصة فقال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان.

بهلـول

قال علي بن الحسين الرازي: مر بهلول بقوم في أصل شجرة، وكانوا عشرة، فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر ببهلول، فسمع بهلول ما قالوا، فجاءهم، فقالوا: يا بهلول تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم؟ قال: نعم. فأعطوه عشرة دراهم فصيرها في كمه، ثم التفت فقال: هاتوا سلماً، فقالوا: لم يكن هذا في الشرط، فقال: كان في شرطي دون شرطكم.

ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلـك وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول فقال: ما هذا الحزن، أجزعت بخلق سوي وَهَبَهُ رب العالمين، أيسرك أن مكانها أبناء مثلي، فسرى عنه.

وفرّ يوماً بهلول من الصبيان، فالتجأ إلى دار، فوجد بابها مفتوحاً، فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان، فصاح: ما أدخلك داري؟ فقال: ﴿يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ﴾ (١). وحمل عليه الصبيان يوماً، فدخل داراً، فدعا الرجل بالطعام، فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (٢).

---

(١) الآية: ٩٤ ـ من سورة الكهف.

(٢) الآية: ١٣ ـ من سورة الحديد.

وسئل بهلول عن رجل مات وخلف أبناء وبنتاً وزوجة، ولم يترك من المال شيئاً، فقال: للابن اليتم، وللبنت الثكل، وللزوجة خراب البيت، وما بقي فللعصبة.

قال: ودخل بهلول وعليان على موسى بن المهدي، فقال لعليان: أيش معنى عليان؟ فقال عليان: وأيش معنى موسى، فقال: خذوا برِجل ابن الفاعلة، فالتفت عليان إلى بهلول وقال: خذ إليك كنا آثنين صرنا ثلاثة.

كان في بني أسد مجنون فمرّ بقوم من بني تيم الله، فبعثوا به وعذبوه، فقال: يا بني تيم الله، ما أعلم في الدنيا قوماً خيراً منكم، قالوا: وكيف؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد.

مجنون ألزم معتزلياً الحجة

ومرّ مجنون بمعتزلي يناظر، فقال له المجنون: أنت القائل: إنك مخير بين فعلين، إن شئت فعلت أحدهما دون الآخر؟ قال: نعم. قال: فآخرىء ولا تبل، فعجب الناس من قوله.

قال أبو محمد بن عجيف: مرّ بي مجنون فقلت: يا مجنون، قال: وأنت عاقل؟ قلت: نعم. قال: كلا يا مجنون، ولكن جنوني مكشوف وجنونك مستور، قلت: فسرْ لي، قال: أنا أخرق الثياب وأرجم، وأنت تعمر داراً لا بقاء لها، وتطيل أملك وما حياتك بيدك، وتعصي وليك وتطيع عدوك.

قال النظام: قلت لمجنون: اجلس ها هنا حتى أرجع، فقال: أما ترجع، فلا أضمن لك، ولكني أجلس إلى الليل.

ادعى رجل النبوة وزعم أنه نوح، فصلب، فمر به مجنون فقال: يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على الدقل[1].

بعث هلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة المجنون، فلما أتي به قال: تدري لِمَ أحضرتك؟ قال: لا. قال: لأضحك منك. قال: لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه، يعرض بجده أبي موسى.

(١) الدَّقَل: عمود طويل يُشدّ في وسط السفينة ويُمَدُّ عليه الشراع.

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر طرف من أخبار النساء المتفطنات

الصِّدِّيقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها

حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله، أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجر أُكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يرتع منها - تعني: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها -.

حدثنا القاسم بن محمد عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، فكان النبي ﷺ إذا سار بالليل سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم ثم سار معها حتى نزلوا، ففقدت النبي ﷺ، فغارت، فلما نزلت جعلت تدخل رجليها بين الإِذْخِر (١) وتقول: يا رب، سلط عليَّ عقرباً يلدغني، رسولك لا أستطيع أن أقول شيئاً.

عن عبدالله بن مصعب قال: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية وإن كانت بنت ذي الغصة - يعني: يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صف النساء

---

(١) الإِذْخر: نبتٌ طيب الرائحة.

طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن الله عز وجل قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (١) قال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

عن محمد بن معين الغفاري قال: أتت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي (٢): يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمت كلامها، فاقض بينهما، فقال كعب: عليَّ بزوجها فأُتي به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، قال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيمُ رَشَدُه ألهَى خليلي عن فراشي مسجِدُه
زهّده في مضجعي تعبُّدُه نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها

زهدت في فراشها وفي الحَجَل (٣) إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل (٤) وفي السبع (٥) الطُّوَل وفي كتاب الله تخويف جَلَل

(١) الآية: ٢٠ ـ من سورة النساء.

(٢) هو كعب بن سوار الأزدي. راجع صفحة: ٨٨ من هذا الكتاب.

(٣) الحجل: جمع حجلة بفتحتين، وهي بيت يُزين للعروس بالثياب والأسرة والستور.

(٥) وفي رواية: النحل بدل النمل.

(٤) السبع الطُّوَل من سورة القرآن الكريم، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلفوا في السابعة، فمنهم من قال: براءة والأنفال عدهما سورة واحدة، ومنهم من جعلها سورة يونس.

فقال كعب

إن لها حقاً عليك يا رجل تصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العِلل

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحلّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة، فقال عمر والله ما أدري من أي أَمْرَيْك أعجب؟ أفمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينها؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

ذات النطاقين[1] أسماء بنت أبي بكر

عن عبد الله بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم قالت: لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر، حمل أبو بكر معه جميع ماله - خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم - فأتاني جدي أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال: أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت، قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار جعلها في كوة البيت كان أبو بكر يجعل ماله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب، وقلت: ترك لنا هذا، فجعل يجد مسَّ الحجارة من وراء الثوب، فقال: أما إذ ترك لكم هذا فنعم، ولا والله ما ترك لنا قليلاً ولا كثيراً.

قال الأصمعي: أتت امرأة حاتم بن عبدالله ابن أبي بكرة فقالت له: أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني خافضة لملمات من الأمور حللن بي فبرين

(١) قيل لأسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين) لأنها كانت تضع نطاقاً على نطاق، وقيل كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل في الآخر الزاد للنبي ﷺ حين كان في الغار. قال الأزهري: وهذا أصح القولين.

لحمي ووهن عظمي وتركتني والهة كالحريض قد ضاق بي البلد العريض، هلك الوالد، وغاب الوافد، وعدم الطارف والتالد، فسألت في أحياء العرب عن المرجو سيبه[1]، المحمود نائلة، الكريم شمائله، فدللت عليك وأنا أمرأة من هوازن، فآفعل بي أحد ثلاث: إما أن تقيم أودي، وإما أن تحسن صفدي، وإما أن تردني إلى بلدي، فقال: بل أجمعهن إليك وحباً وكرامة.

قال الأصمعي: مات ابن لأعرابية، فما زالت تبكي حتى خدد الدمع خدها، ثم آسترجعت، فقالت: اللهم، إنك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما، اللهم، إن ولدي كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجزه مني بذلك صلاة ورحمة، ولقه سروراً ونضرة. فقال لها أعرابي: نِعْمَ ما دعوت له، لولا أنك شببته من الجزع بما لا يجدي فقالت: إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على آبني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدرة منعه، والله ولي عذري بفضله، فقد قال عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يوماً على آمرأته وكان عمران قبيحاً دمياً قصيراً، وقد تزينت، وكانت آمرأة حسناء، فلما نظر إليها آزدادت في عينه جمالاً وحسناً فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلة، فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قال: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وآبتليت بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة!!

(١) السَّيْب: العطاء.

(٢) الآية: ١٧٣ ـ من سورة البقرة.

قال المصنف أدام الله سلامته: كان عمران بن حطان أحد الخوارج وهو القائل ـ يمدح عبدالرحمن بن ملجم على قتله علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه بمنه وكرمه ـ:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغَ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوْفَى البرية عند الله ميزانا
أكرمْ بقوم بطون الارض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

فبلغت هذه الأبيات القاضي أبا الطيب الطبري فقال مجيباً على الفور:

إني لأبرأ مما أنت قائله ... على ابن ملجم الملعون بهتانا
إني لأذكره يوماً فألعنه ... ديناً وألعن عمراناً وحطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلاً ... لعائن الله إسراراً وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء به ... نص الشريعة تِبياناً وبرهاناً (١)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حدثني أبو المشيع قال: خرج كُثَيِّر يلتمس عزة، ومعه شنينة فيها ماء، فأخذه العطش فتناول الشنينة، فإذا هي عظم ما فيها شيء من الماء، فرفعت له نار فأمها (٢)، فإذا بقربها مظلة بفنائها عجوز، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا كثير، قالت: قد كنت أتمنى ملاقاتك، فالحمد لله الذي أرانيك، قال: وما الذي تلتمسينه مني؟ قالت: ألست القائل:

إذا ما أتينا خلة كي نزيلها ... أبينا وقلنا الحاجبية أول
سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية أوصل

قال: بلى، قالت: أفلا قلت كما قال سيدك جميل:

---

(١) قوله: فأنتم من كلاب النار... إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم عن ابن أبي أوفى مرفوعاً: «الخوارج كلاب النار».
(٢) أي: قصدها.

يـا رب عـارضـة علينـا وصلهـا ... بـالجد تخلطـه بقـول الهازل
فـأجبتهـا في القـول بعـد تـأمـل ... حيي بثينـة عـن وصـالـك شـاغلي
لـو كـان في قلبي كقـدر قلامـة ... فضلاً لغيرك مـا أتتـك رسـائلي

قلت: دعي هذا واسقيني، قالت: والله لا أسقيك شيئاً، قلت: ويحك إن العطش قد أضرَّ بي، قالت: ثكلت بثينة، إن طعمت عندي قطرة ماء، فكان جهده أن ركض راحلته ومضى يطلب الماء، فما بلغه حتى أضحى النهار وكاد يقتله العطش.

قال: دخل ذو الرمة الكوفة، فبينا هو يسير في بعض شوارعها على نجيب له، إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب دار، فآستحسنها ووقعت بقلبه، فدنا إليها فقال: يا جارية، أسقني ماء، فأخرجت إليه كوزاً فشرب، فأراد أن يمازحها ويستدعي كلامها، فقال: يا جارية ما أحر ماءك، فقالت: لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حرَّ مائي وبرده، فقال لها: وأي شعري له عيب؟ فقالت: ألست ذا الرمة؟ قال: بلى، قالت:

فأنـت الذي شبهـت عنـزاً بقفـرة ... لها ذنـب فـوق استهـا أم سـالم
جعلـت لها قـرنين فـوق جبينهـا ... وطبسين مسـوديـن مثـل المحـاجـم
وسـاقين ان يستمكنـا منـك يتركـا ... بجلـدك يـا غيلان مثـل المآثم
أيـا ظبيـة الوعسـاء بين جلاجـل ... وبين النقـا أأنـت أم أم سـالم؟

قال: نشدتك بالله إلا أخذت راحلتي وما عليها، ولم تظهري هذا، ونزل على راحلته فدفعها إليها فذهب ليمضي، فدفعتها إليه، وضمنت له أن لا تذكر لأحد ما جرى.

أم البنين زوج الوليد بن عبد الملك

قال زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس: قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين، وركب الوليد فمشى الحجاج بين يديه، فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أستكثر من الجهاد، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً، فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل، فركب مع الوليد، فبينا هو يتحدث ويقول: فعلت بأهل العراق وفعلت، أقبلت جارية فنادت الوليد، ثم آنصرفت، فقال الوليد: يا أبا محمد، أتدري ما قالت الجارية؟ قال: لا. قال: قالت: أرسلتني إليك أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن مجالستك هذا الأعرابي وهو في سلاحه وأنت في غلالة غرر، فأرسلت إليها: إنه الحجاج بن يوسف، فراعها ذلك وقالت: والله لأن يخلو بك ملَك الموت أحب إليَّ من أن يخلو بك الحجاج، وقد قتل أحباء الله وأهل طاعته ظلماً وعدواناً، فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين، إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، لا تطلعهن على سرك ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن، ولا تكثر مجالستهن صَغاراً وذلاً، ثم نهض فخرج ودخل الوليد على أم البنين، فأخبرها بمقالته فقالت: إني أحب أن تأمره بالتسليم عليَّ فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه، فغدا الحجاج على الوليد فقال الوليد: ائت أم البنين، فقال: آعفني يا أمير المؤمنين، قال: فلتفعلن، فأتاها، فحجبته طويلاً، ثم أذنت له ثم قالت له: يا حجاج، أنت تفتخر على أمير المؤمنين بقتل آبن الزبير وابن الأشعث، أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه ما آبتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حواري رسول الله ﷺ، وابن الأشعث، فلعمري لقد آستعلى عليك حتى عجعجت، ووالى عليك الهرار حتى عويت، فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن، وأنت في أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم، لكنت مأسوراً قد أخذ الذي فيه عيناك، وعلى هذا فإن نساء أمير المؤمنين قد نفضن

العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه، وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين، فغير مجيبك إلى ذلك، وإن كن ينفرجن عن مثل ما آنفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر في الخَلق والخُلق، يا لكع، فما أحقه أن يقتدي بقولك قاتل الله الذي يقول:

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى أو قد كان قلبك في جناحيْ طائر

ثم أمرت جارية لها، فأخرجته، فلما دخل على الوليد قال: ما كنت فيه يا أبا محمد؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إليَّ من ظهرها، قال: إنها بنت عبد العزيز.

قال ابن السِّكِّيت [1] عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج، فخرجت إليه جارية شاعرة، فبكت لما رأت آلة السفر، فقال محمد بن عبدالله:

دمعةٌ كاللؤلؤ الرطـ ـب على الخدّ الأسيل
هطلت في ساعة البـ ـين من الطّرف الكحيل

ثم قال: أجيزي، فقالت:

حين همّ القمر البا هر عنا بالأفول
إنما يفتضح العشّـ ـاق في وقت الرحيل

قال أيوب الوزان: قال المُفَضَّل: دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد، وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة، قد أهديت إليه، فقال: يا مفضل، قل في هذا الورد شيئاً تشبهها به، فأنشأت أقول:

---

(١) يقال: إن السِّكِّيت لقب ابيه إسحاق لأنه كان كثير الصمت.

كـأنـه خـد مـرمــوق يقبلــه فم الحبيب وقد أبدى بـه خجلا

فقالت الجارية:

كـأنـه لـون خدي حين يدفعني كف الرشيد لأمرٍ يوجب الغُسْلا

فقال: يا مفضّل، قـم فاْخرج، فـإن هـذه الماجنـة قـد هيجتنـا، فقمـت وأرخيت الستور دوني.

قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة، فخرجت معه، فلما صرنا بضرية إذا أنا على شفير الوادي بصبية قُدّامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طحنتْنـا طـواحــن الأعــوام ورمتْنــا نــوائــب الأيـــام
فـــأتينــاكمـــو نمـدّ أكفــاًّ لفضـــالات زادكم والطعـــام
فاطلبوا الأجـر والمثـوبـة فينـا أيها الزائـــرون بيـــت الحرام
مـــن رآني فقـــد رآني ورحلي فـارحموا غـربتي وذُلَّ مقـامـي

قال: فرجعت إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبية على شفير الوادي، وأنشدته ما قالت، فعجب، فقلت: يا أمير المؤمنين، أفآتيك بها؟ قال: لا. بل نحن نذهب إليها، قال الأصمعي: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها: أنشديه ما كنت تقولينه، فأنشدته ولم تهبه، فقال: يا مسرور آملأ قصعتها دنانير، قال فملأها حتى فاضت يميناً وشمالاً.

حدثنا ابن الشيظمي قال: حججت في سنة قحطة جدبة، فبينا أنا أطوف بالكعبـة إذ أبصرت جارية من أحسن الناس قداً وقواماً وخلقاً وهي متعلقة بأستار الكعبة تقول: إلّهي وسيدي، ها أنا أمتك الغريبة، وسائلتك الفقيرة، حيث لا يخفى عليك بكائي، ولا يستتر عنك سوء حالي، قد هتكت الحاجة

حجابي، وكشفت الفاقة نقابي، فكشفت وجهاً رقيقاً عند الذُّل، وذليلاً عند المسألة، طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغنى وصانه ماء الحياء، قد جمدت عني كف المرزوقين، وضاقت بي صدور المخلوقين، فمن حرمني لَمْ أَلُمْهُ، ومن وصلني وكلته إلى مكافأتك ورحمتك وأنت أرحم الراحمين، قال: فدنوت منها فبررتها ثم قلت لها: من أنتِ، وممن أنتِ؟ فقالت: إليك عني، من قلَّ مالُه، وذهب رجالُه كيف يكون حاله؟ ثم أنشأت تقول:

بعض بنات الرجال أبرزها الدهـ ـر لما قد ترى وأخرجها
أبرزها من جليل نعمتها فابتزها ملكها وأحوجها
وطالما كان العيون إذا ما خرجت تستشف هودجها
إن كان قد ساءها وأحزنها فطالما سرها وأبهجها
الحمد لله رب معسرة قد ضمن الله أن يفرجها

قال: فسألت عنها، فأخبرت أنها من ولد الحسين بن علي رضوان الله عليهم أجمعين.

بثينة

بلغنا أن كثيِّر عزة لقي جميلاً، فقال له: متى عهدك ببثينة؟ قال: ما لي بها عهد منذ عام أول، وهي تغسل ثوباً بوادي الدوم، فقال له كثير: تحب أن أعهدها لك الليلة؟ قال: نعم. فأقبل راجعاً إلى بثينة، فقال أبوها: يا فلان، ما ردك أما كنت عندنا قبيل؟ قال: بلى. ولكن حضرتني أبيات قلتها في عزة، قال: وما هي ؟ قلت:

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي على باب داري والرسول موكل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة: آخسأ، فقال أبوها: ما هاجك يا بثينة؟ قالت: كلب لا يزال

يأتينا من وراء الجبل بالليل وأنصاف النهار. قال: فرجع إليه، فقال: قد وعدتك من وراء هذا الجبل بالليل وأنصاف النهار، فآلقها إذا شئت.

قال مؤلف الكتاب: قلت: ومن هـذا الفن حكي أن أعرابياً بعث غلاماً له إلى آمرأة يواعدها موضعاً يأتيها فيه، فذهب الغلام وأبلغها الرسالة، فكرهت المرأة أن تقر للغلام بما بينهما، فقالت: والله لئن أخذتك لأعركنّ أذنك عركة تبكي منها، وتستند إلى تلك الشجرة ويغشى عليك إلى وقت العتمة، فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام، وآنصرف إلى صاحبه وحكى له، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة.

قال الصولي: سمعت المبرد يقول: كنا عند المازني، فجاءته أعرابية كانت تغشاه ويهب لها، فقالت: أنعم الله صاحبك أبا عثمان، هل بالرمال أوشال؟ فقال لها: يجيء الله بها، فقالت:

تعلمـن أني والذي حـج القـوم لولا خيـال طـارق عنـد النـوم
والشوق من ذكراك ما جئت اليوم

فقال المازني: قاتلها الله ما أفطنها جاءتني مستمنحة، فلما رأت أن لا شيء جعلت المجيء زيارة تمن علينا بها.

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: ما ورد عليَّ مثل امرأة تقدمت، فقالت: أيها القاضي، ابن عمي زوجني من هذا ولم أعلم، فلما علمت رددت، فقلت لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت ما علمت، قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقت ما رددت، فما رأيت مثلها.

قال: حدثنا علي بن القاسم القاضي قال: سمعت أبي يقول: كان موسى بن إسحاق لا يُرى متبسماً قط، فقالت له امرأة: أيها القاضي، لا يحل أن تحكـم بين

آثنين وأنت غضبان، قال: ولِمَ؟ قالت: لأنّ النبي ﷺ قال: «لا يقضي القاضي بين آثنين وهو غضبان» فتبسم.

عن عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال سليمان بن عبدالملك يوماً والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوه، قال:

يروح إذا راحوا ويغدو إذا غدوا

فلم يصنعوا شيئاً، فدخل إلى جارية له فأخبرها، فقالت: كيف قلت؟ فأنشدها فقالت:

وعما قليل لا يروح ولا يغدو

قال الأصمعي: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد، إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك، فلولا كلف في وجهها، وخنس في أنفها لاشتريتها، فآنطلق بها، فلما بلغت الستر قالت: يا أمير المؤمنين، آرددني إليك أنشدك بيتين حضراني، فردّها، فأنشأت تقول:

ما سلم الظبي على حسنه ... كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خَنَسٌ بيِّن ... والبدر فيه كَلَف يعرف

فأعجبته بلاغتها، فآشتراها وقرب منزلها، وكانت أحظى جواريه عنده.

قال الجاحظ: رأيت بالعسكر آمرأة طويلة القامة جداً، ونحن على طعام، فأردْت أن أمازحها فقلت: آنزلي حتى تأكلي معنا، قالت: وأنت فآصعد حتى ترى الدنيا.

قال الجاحظ أيضاً: رأيت آمرأة جميلة فقلت: ما آسمك؟ قالت: مكة، فقلت: أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود منك؟ قالت: لا، إلا بالزاد والراحلة.

قال مؤلف الكتاب: وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر، قال

الجاحظ: رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها وعلى خدها خال، فدعوت بها وجعلت أقلبها، فقلت لها: ما آسمك؟ قالت: مكة، فقلت: الله أكبر قرب الحج، أتأذنين أن أقبل الحجر الأسود! قالت له: إليك عني، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ﴾ (١).

قال الأصمعي: أُتي المنصور بسارق، لقطعه فأنشأ يقول:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها ... بحقويك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... إذا ما شمال فارقتها يمينها

فقال: يا غلام، آقطع هذا حد من حدود الله وحق من حقوقه لا سبيل إلى تعطيه، قالت أم الغلام: واحدي وكادي وكاسبي. قال: بئس الواحد واحدك، وبئس الكاد كادك، وبئس الكاسب كاسبك، يا غلام، آقطع، فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين، أما لك ذنوب تستغفر الله منها؟ قال: بلى. قالت: هبه لي وآجعل هذا من ذنوبك التي تستغفر الله منها.

وقد رويت لنا هذه الحكاية عن عبدالملك بن مروان، فإنه أُتي بسارق وثبتت عليه البيّنة، فأنشد هذا الشعر، وقالت أمه: هذا الكلام، فقال: خلوا سبيله.

أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

وسائلة عن ركب حسان كلّهم ... ليبلغ حسان بن زيد سؤالها

قال: وهي تحب حسان، فكرهت أن تخصه، فسألت عن الركب جميعاً حتى صارت إليه.

الخيزران

قال هارون بن عبد الملك بن المأمون: لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها: والله يا جارية، إنك لعلى غاية المتمنى، ولكنك حَمْشَة (٢) الساقين، فقالت:

(١) الآية: ٧ ـ من سورة النحل.

(٢) أي: دقيقة الساقين.

يا أمير المؤمنين، إنك أحوج ما تكون إليها لا تراها، فقال: آشتروها، فحظيت عنده، فأولدها موسى وهارون.

وحكى أبو بكر الصولي: أن المهدي آشترى جارية فآشتد شغفه بها، وكانت به أشغف، وكانت تتجافاه كثيراً، فدس إليها من عرف ما في نفسها، فقالت: أخاف أن يملني ويدعني فأموت، فأنا أمنع نفسي بعض لذتها منه لأعيش، فقال المهدي:

ظفــرت بــالقلـــب مني   غـــادة مثـــل الهــلال
كلمـــا صــــــح لهـــا   ودي جـاءت بـــآعتـلال
لا تحــــب الهجـــر منـي   والتنـائـي عــن وصــالي
بـــــل لمــــأمنهـــا علـــى   حبـي لهـا خــوف المـلال

قال أبو نواس: آستقبلتني امرأة، فأسفرت عن وجهها، فكانت على غاية الحسن، فقالت: ما اسمك؟ قلت: وجهك. فقالت: أنت الحسن إذن.

حدثنا رجل من تغلب قال: كان فينا رجل له آبنة شابة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكثا كذلك دهراً، ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف، فأرغب في المهر، فأنعم أبو الجارية واجتمع القوم للخِطبة، فقالت الجارية لأمها: يا أماه، ما يمنع أبي أن يزوجني من آبن عمي؟ قالت: أمر كان مقضياً، قالت: والله ما أحسن رباه صغيراً، ثم تَدَعُوه كبيراً، ثم قالت لها: يا أماه إني والله حامل فآكتمي إن شئت أو بُوحي، فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته الخبر، فقال: آكتمي هذا الأمر، ثم خرج إلى القوم فقال: يا هؤلاء إني كنت أجبتكم، وإنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر، وأنا أشهدكم أني قد زوجت آبنتي فلانة من آبن أخي فلان، فلما آنقضى ذلك، قال الشيخ: أدخلوها عليه،

فقالت الجارية: هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها من سنة أو تبين حملها، قال: فما دخل عليها إلاّ بعد حول، فعلم أبوها أنها آحتالت عليه.

قلت: قال الصولي: قال العتبي: رأيت آمرأة أعجبتني صورتها، فقلت: ألك بعل؟ قالت: لا. قلت: أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم. ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها، قلت: وما هي؟ قالت: بياض برأسي، قال: فثنيت عنان فرسي وسرت قليلاً، فنادتني: أقسمت عليك لتقفن، ثم أتت إلى موضع خالٍ، فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السوناي، فقالت: والله ما بلغت العشرين ولكنني عرفتك أنا نكره منك ما تكره منا. قال: فخجلت وسرت وأنا أقول:

فجعلت أطلب وصلها بتملُّق والشيب يغمزها بأن لا تفعلي

حدثنا العتبي قال: قال رجل من ولد علي عليه السلام لآمرأة: أمرك بيدك، ثم ندم، فقالت: أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبته، فلن أضيعه إذ كان بيدي ساعة من نهار وقد رددته إليك، فأعجب بذلك من قولها وأمسكها.

قال: أراد شعيب أن يتزوج آمرأة فقال لها: إني سيء الخلق، فقالت: أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيئاً. قال: أنت إذن آمرأتي.

قال: سمعت الفضل بن إبراهيم يقول: مرّ شاعر بنسوه، فأعجبه شأنهنّ، فجعل يقول:

إن النساءَ شياطينٌ خُلِقْنَ لنا نعوذُ بالله من شرِّ الشياطينِ

قال: فأجابته واحدة منهنّ، وجعلت تقول:

إن النساء رياحينٌ خُلقن لكم وكلكم يشتهي شمّ الرياحينِ

قال أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي: كان لرجل من الأعراب آبنة،

وكان له غلام، فراودها عن نفسها، فوعدته الليل، وأعدت له شفرة وحدتها، فلما جاءها للميعاد، فجبته فخرج يعوي، فسمعه مولاه، فقال: من فعل بك؟ قال: آبنتك، فدخل عليها فقال: ما صنعت بهذا الغلام؟ فقالت: يا أبت، إن العبد من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه، ومن ورد غير مائه صدر بمثل دائه، فقال لها: لا شللاً.

طبقة

قال الشرفي بن قطامي: كان شنّ من دعاة العرب، فقال: والله لأطوفنّ حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شن، فصحبه، فلما آنطلقا قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب، فسارا حتى رأيا زرعاً قد آستحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فقال: يا جاهل، أما تراه قائماً، فمر بجنازة فقال: أترى صاحبها حياً أو ميتاً؟ فقال: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حملوا إلى القبور حياً، ثم سار به الرجل إلى منزله وكانت له آبنة تسمى طبقة، فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله: أتحملني أم أحملك، أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا، فأراد أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أترك عقباً يحيا به ذكره أم لا، فخرج الرجل، فحادثه، ثم أخبره بقول آبنته، فخطبها إليها، فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها، قالوا: وافق شنٌّ طبقة.

قال: حدثني أبو محمد بن داسة أن رجلاً آعترض جارية في الطريق، فقال لها: أبيدك صنعة؟ قالت: لا، ولكن برجلي ـ تعني: أنها رقاصة ـ.

قال المحسن: وحدثني أنه سمع آمرأة تخاصمت مع زوجها، فقالت له: طلقني، فقال لها: أنت حبلى حتى إذا ولدت طلقتك، قالت: ما عليك منه، قال:

فأيش تعملين به؟ قالت: أقعده على باب الجنة فقاعي، فقلت لعجوز كانت تتوسط بينهما: أيش معنى هذا؟ قالت: تريد أنها تشرب ماء السداب وتتحمل سداباً عليه أدوية لتسقط، فيلحق الصبي بالجنة، فيكون كالفقاعي.

قال أبو بكر بن الأزهر: حدثني بعض إخواني أنّ رجلاً كان بالأهواز وكـان له ثروة ونعمة وأهل، فسار إلى البصرة مرة، فتزوج بها، فكان يأتي تلك المرأة في السنة مرة أو مرتين، وكان للبصرية عمّ يكاتبه، فوقع كتاب منه في يد الأهوازية، فعلمت الحال، فكتبت إليه من حميه البصري بأن امرأتك قد ماتت، فالحق، فقرأه ثم أخذ في إصلاح أمره ليخرج فقالت الأهوازية: إني أراك مشغول القلب وأظنّ أنّ لك بالبصرة آمرأة، فقال: معاذ الله، فقالت: لا أقنع بقولك دون يمينك، فتحلف بطلاق كل امرأة لك غيري غائبة أو حاضرة، فحلف لها ظناً أن تلك قد ماتت، فقالت له: لا حاجة لك في الخروج، فإن تلك قد بانت منك وهي في الحياة.

قال علي بن الجهم: آشتريت جارية فقلت لها: ما أحسبك إلا بكراً، فقالت: يا سيدي، كثرت الفتوح في زمان الواثق، وقلت لها ليلة: كم بيننا وبين الصبح؟ قالت: عناق مشتاق، ونظرت إلى الشمس كاسفة فقالت: احتشمت محاسني فآنتقبت. وقلت لها ليلة: نجعل مجلسنا الليلة في القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، وكانت تكره الحلي وتقول: تستر المحاسن كما تغطي القبائح.

عرض على المتوكل جارية فقال لها: أبكر أنت أم أيش؟ فقالت: أم أيش يا أمير المؤمنين، فضحك وآبتاعها.

وضع المعتضد رأسه في حجر بعض جواريه فجعلت تحت رأسـه مخدة ونهضت، فلما آنتبه قال: لِمَ فعلت ذاك؟ وأكبره، فقالت: كذا علمنا أن

لا يقعد قاعد بحضرة من ينام ولا ينام بحضرة قاعد، فآستحسن المعتضد ذلك منها، واستعقلها.

بلغنا عن غريب: وكان يقال: إنها آبنة جعفر بن يحي البرمكي وكانت مغنية ذكية شاعرة آشتراها المعتصم بمائة ألف وأعتقها، فكتبت إلى بعض الناس أردت ولولا ولعلي، فكتب تحت «أردت» ليت، وتحت «لولا» ماذا، وتحت «لعلي» أرجو، فمضت إليه.

قال أبو الحسن بن هلال الصابي: حدثنا أبو أحمد الحارثي قال: كان عندنا بواسط رجل موسر يقال له أبو محمد وكانت عنده مغنية تغني.

خليلي هيا نصطبح بسواد

فقال لها: بالله غني لي:

خليلي هيا نصطبح بسهاد

فقالت له: إذا عزمت فوحدك.

وقال أبو حنيفة: خدعتني آمرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت آحتفظ به حتى يجيء صاحبه.

لما قتل كسرى بزرجمهر أراد أن يتزوج آبنته، فقالت للسقاة لو كان ملككم حازماً لما دخل بين شعاره ودثار مأثوره.

قال رجل لجارية أراد شراءها: لا يريبك هذا الشيب الذي ترينه، فإن عندي قرة عين، فقالت الجارية: أيسرك أن عندك عجوزاً مغتلمة.

قال المبارك بن أحمد: خرج رجل على سبيل الفَرْجَة[1]، فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربي، فآستقبلها شاب

(١) أي التخلص من الهمّ.

فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعري وما وقفا ومرا مشرقاً ومغرباً، فتبعت المرأة وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما، وإلا فضحتك وتعلقت بك، فقالت: قال لي الشاب رحم الله علي بن الجهم أراد به قوله:

عيونُ الْمَهَا بين الرّصافة والجسر جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت أنا بترحمي على المعري قوله:

فيا دارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

قال ابن الزبير لآمرأة من الخوارج: أخرجي المال من تحت آستك، قال فآلتفت إلى من بحضرتها وقالت: أنشدكم بالله أهذا من كلام الخلفاء؟ قالوا: لا. قالت لآبن الزبير: كيف ترى هذا الخلع الخفي.

قال المتنبي: قال لي رجل من الهاشميين: كتبت إلى آمرأتي وأنا في السفر كتاباً تمثلت فيه ببيت لك.

بم التعلل لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

فكتبت إلي: والله ما أنت كما ذكرته في هذا البيت، بل أنت كما قال الشاعر:

سهرت بعد رحيلي ووحشة لكم ثم استمر مريري وآرعوى الوسن

امرأة خطّأت قاضياً حنفياً

ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه، أنه إذا ارتاب بالشهود، فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته، فقالت إحداهما: أخطأت لأن

الله تعالى قال: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ (١) ؛ فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع ، فأمسك .

ذكر أن رجلاً دعا المبرد بالبصرة مع جماعة ، فغنت جارية من وراء الستارة وأنشأت تقول :

وقالوا لها هذا حبيبك معرض فقالت ألا إعراضه أيسر الخطب
فما هي إلا نظرة بتبسم فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فطرب كل من حضر إلا المبرد فقال له صاحب المجلس : كنت أحق الناس بالطرب ، فقالت الجارية : دعه يا مولاي ، فإنه سمعني أقول : هذا حبيبك معرض فظنني لحنت ، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ : ﴿وَهذَا بَعْلِي شَيْخٌ﴾ (٢) قال : فطرب المبرد إلى أن شقّ ثوبه .

قال بعضهم : حضرت رفيقتين وكانت إحداهما تعبث بكل من تقدر عليه ، والأخرى ساكتة ، فقلت للساكتة : رفيقتك هذه ما تستقر مع واحد ، فقالت : نعم هي تقول بالسنة والجماعة ، وأنا أقول بإثبات القدر .

غضب المأمون يوماً على عبدالله بن طاهر ، فأراد ابن طاهر أن يقصده ، فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام ، وفي حاشيته : « يا موسى » ، فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك ، فقالت له جارية ـ وكانت فطنة ـ : أراد ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (٣) فتيقظ عن قصد المأمون .

---

(١) الآية : ٢٨٢ ـ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٧٢ ـ من سورة هود .

وعليه : فبعلي بدل من هذا ، وشيخ خبر الابتداء ، ويجوز أن يكون « هذا » مبتدأ ، وبعلي شيخ خبرين .

(٣) الآية : ٢٠ ـ من سورة القصص .

عرض على رجل جاريتان ـ بكر وثيب ـ فمال إلى البكر، فقالت الثيب: لِمَ رغبت فيها، وما بيني وبينها إلا يوم؟ فقالت البكر: ﴿وإنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [1] فأعجبتاه، فآشتراهما.

قال: خاصمت آمرأة زوجها في تضييقه عليها وعلى نفسه، فقالت: والله ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن، وإلاَّ فهو يسترزق من بيوت الجيران.

قال الجاحظ: قلت لجارية ببغداد: أبكر أنت؟ فقالت: نعوذ بالله من الكساد ـ يعني الثيوبة ـ.

جاءت دلالة إلى قوم فقالت: عندي زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج، فرضوا به وزوجوه، فإذا هو حجام.

قالت دلالة لرجل: عندي امرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها، فإذا هي عجوز قبيحة، فقال: كذبت عليَّ وغششتِني، فقالت: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس؛ لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.

أعطت امرأة جاريتها درهماً وقالت: آشتري هريسة، فرجعت، فقالت: يا سيدتي، سقط الدرهم مني فضاع، فقالت: يا فاعلة، تكلميني بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم، فأمسكت الجارية نصف فمها بيد وقالت بالنصف الآخر: وآنكسرت يا سيدتي الزبدية.

كان رجل يقف تحت روشن امرأة، وهي تكره وقوفه، قالت: فجاء في بعض الأيام وعليه قميص دبيقي [2] قد غسله عند المطري وسقاه نشا وتحته قميص رومي، قالت: وكان للناس أترج سوسي في الأترجة ثلاثون رطلاً، فأخرجت

---

(١) الآية: ٤٧ ـ من سورة الحج.

(٢) الثياب الدَّبيقِيَّة: منسوبة الى دَبِيق، بلد بمصر.

بطيخة، وأشارت إليه: تعال خذ هذه، فجاء فوقف تحت الروشن، فقالت أمسك حجرك صلباً حتى لا يقع فتنكسر، فلزم حجره، فأخرجت البطيخة كأنها ترمي بها وأخذت أترجة، فرصت بها في حجره، فلم يردها شيء سوى الأرض فجمعه وهرب مستحياً وما عاد بعدها.

بكت عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا آستحق هذا منك؟ فقالت: جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة.

كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة إلا أنها كانت تفحش في مجونها فقال لها مولاها: آقصري من هذا الفحش بمحضر من الرجال، فقالت: أفحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسبي، وقال لها بعض الحاضرين وكان شيخاً:

يا أحسنَ الناسِ وجهاً ... منِّي عليَّ بِقُبْلَة

فأجابت مسرعة:

يا أسمجَ الناسِ وجهاً ... وأسخنَ الخلق مُقله
إذا سمحت لما رمته ... فإني بذلّه
وكيف يوجد بين الحمار والخِشف[1] وصله
فلا تطف بالغواني ... فما يردنك خله
وكل شيخ تصابى ... على الصبايا فأبله

قال رجل لجارية أراد شراءها، فسألها عن ثمنها، فقال: يا جارية كم دفعوا فيك؟ فقالت: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[2].

قال: حدثني أبو القاسم عبدالله بن محمد الكاتب قال: حدثني بعض الأشراف

---

(١) الخِشْف: ولد الغزال، يطلق على الذكر والأنثى.

(٢) الآية: ٣١ ـ من سورة المدثر.

بالكوفة أنه كان بها رجل حسني يعرف بالأدرع، شديد القلب جداً، قال: وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين فيه نار يطول تارة ويقصر أخرى، يقولون: هـي غولـة يفزع منها الناس، فخرج الادرع ليلة راكباً في بعض شأنه، قـال لي الأدرع: فآعترض لي السواد والنار، فطال الشخص في وجهي فأنكرته، ثم رجعت إلى نفسي فقلت أما شيطان وغولة فهوس، وليس إلاّ انساناً، فذكرت الله تعالى، وصليت على نبيه ﷺ، وجمعت عنان الفرس، وقرعته بالمقرعة، وطرحته على الشخص، فآزداد طوله وعظم الضوء فيه، فنفر الفرس، فقرعته، فطرح نفسه عليه، فقصر الشخص حتى عاد على قدر قامة، فلما كاد الفرس يخالطه ولّى هارباً، فحركت خلفه، فآنتهى إلى خربة، فدخلها، فدخلت خلفه، فإذا هو قد نزل سرداباً فيها، فنزلت عن فرسي وشددته ونزلت وسيفي مجرد، فحين حصلت في السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار مني، فطرحت نفسي عليه، فوقعت يدي على بدن إنسان، فقبضت عليه فأخرجته، فإذا هي جارية سوداء، فقلت: أي شيء أنت وإلاّ قتلتك الساعة؟ قالت: قبل كل شيء، أنت إنسي أم جني فما رأيت أقوى قلباً منك قط؟ فقلت: أي شيء أنت؟ قالت: أمة لآل فلان قوم بالكوفة أبقت[٢] منهم منذ سنين، فتغربت في هذه الخربة، فولد لي الفكر أن أحتال بهذه الحيلة، وأُوهم الناس أني غولة حتى لا يقرب الموضع أحد، وأتعرض ليلاً للأحداث، وربما رمى أحدهم منديلاً أو إزاراً، فآخذه، فأبيعه نهاراً واقتات به أياماً، قلت: فما هذا الشخص الذي يطول ويقصر والنار التي تظهر؟ قالت: كساء معي طويل أسود فأخرجته من السرداب، وقضبان مهندية أدخل بعضها في بعض في الكساء وأرفعه فيطول، فإذا أردت تقصيره، رفعت من الأنابيب واحدة فيقصر، والنار

(١) أبق العبد هرب من سيده.

فتيلة شمع معي في يدي لا أخرج إلا رأسها مقدار ما يضيء الكساء، وأرتني الشمعة والكساء والأنابيب، ثم قالت: قد جازت هذه الحيلة نيفاً وعشرين سنة، وآعترضت فرسان الكوفة وشجعانها وكل أحد، فما أقدم أحد عليَّ غيرك ولا رأيت أشدّ قلباً منك، فحملها الأدرع إلى الكوفة فردّها إلى مواليها، فكانت تحدث بهذا الحديث ولم يرَ بعد ذلك أثر غولة فعلم أن الحديث حق.

قال أبو حامد الخراساني القاضي: بنى ابن عبد السلام الهاشمي بالبصرة داراً كبيرة ولم يتم له تربيعها إلاّ بسكن لطيف كان لعجوز في جواره آمتنعت من بيعه، فبذل لها أضعاف ثمنه، فأقامت على الامتناع، فشكا إليَّ ذلك، فقلت: هذا من أيسر الأمر، أنا أوجب عليها بيعه فأضطرها إلى أن تسألك وزن الثمن. ثم آستدعيتها، فقلت: يا هذه، إن قيمة دارك دون ما دفع لك، وقد ضاعفها أضعافاً، فإن لم تقبليه حجرت عليك؛ لأن هذا تضييع منك، فقالت: جعلت فداك، فهلا كان هذا الحجر منك على من يزن فيما يساوي درهماً عشرة، وتركت منزلي فما اختار بيعه، فآنقطعت في يدها.

قال: نزل رجل من أهل الحجاز مللاً فسأل أي ماء هذا؟ فقيل له: ملل، وإذا بين يديه صبية سوداء تلفظ العجم تريد النوى، فقال: قاتل الله الذي يقول:

أخذت على مـاء الشعيرة والهوى على ملـــل يـا لهف قلبي على ملـــل

وأي شيء كان يتعشق من هذه إنما هي حرة سوداء، فقالت الصبية: أي بأبي إنه والله كان له بها شجن لم يكن لك.

قال المبرد: كان يسار الكواعب عبداً لأناس من بني الحرث بن سعد بن قضاعة، وكان راعياً في إبلهم، فعبث ببعض نسائهم وكان أسود، فخدعته آمرأة منهم، وأرتـه أنها قد قبلته وواعدته ليوم، فعلم به بعض أصحابه من الرعاء، فنهاه عنها وقال له: يا يسار، كل من لحم الجوار، وآشرب من لبـن العشار،

ودع عنك بنات الأحرار، فقال له يسار: إني إذا جئتها زحكت أراد ضحكت ولاعبتني، فأتاها في اليوم الذي واعدته فيه فقالت: مكانك حتى أطيبك، فعمدت إليه فجدعت أنفه وأذنه، فرجع إلى صاحبه الذي كان نهاه فأنكره، فقال، من أنت ويلك؟ قال: يسار، قال: فيسار كان لا أنف له ولا أذنين، قال: أفما ترى ويحك وبيض العينين، فذهبت مثلاً وسمي يسار الكواعب.

وممن ذكره جرير حين تزوج الفرزدق إحدى نساء بني شيبان، وزاد في مهرها، فعيره جرير بذلك فقال:

وإني لأخشى إن خطبت إليهمو عليك الذي لاقى يسار الكواعب

قال ابن قتيبة: جاءتني جارية بهدية، فقلت لها: قد علم مولاك أني لا أقبل الهدية، قالت: ولِمَ؟ قلت: أخشى أن يستمد مني علماً لأجل هديته، فقالت: ما آستمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر وقد كان يقبل الهدية، فقبلتها، فكانت الجارية أفقه مني.

امرأة آحتالت على أبي حنيفة

قال: وبلغنا أنّ رجلاً ابتلي بمحبة آمرأة فأتى أبا حنيفة فأخبره أن ماله قليل، وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه، فقال له أبو حنيفة: أتبيعني إحليلك[1] بآثني عشر ألف درهم، قال: لا. قال: فأخبر القوم أني أعرفك، فمضى فخطبها، فقالوا: من يعرفك؟ فقال: أبو حنيفة، فسألوا أبا حنيفة عنه فقال: ما أعرفه إلا أنه حضر عندي يوماً فسووم في سلعة له بآثني عشر ألف درهم، فلم يبع، فقالوا: هذا يدل على أنه ذو مال فزوجوه، فلما تيقنت المرأة حاله قالت: لا يضيق صدرك وهذا حالي بحكمك، ثم مضت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها،

(١) الإحْلِيل: مخرج البول؛ الذكر.

ففالت: فتوى، فدخلت فأسفرت عن وجهها، فقال: تستري، فقالت: ما يمكن، قد وقعت في أمر لا يخلصني منه إلا أنت، أنا بنت هذا البقال الذي على رأس الدرب، وقد بلغت عمراً، واحتجت إلى الزوج، وهو لا يزوجني ويقول لمن يخطبني: ٱبنتي عوراء قرعاء شلاء، ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها، ويقول: ابنتي زَمِنَة، وكشفت عن ساقيها، وأريد أن تدبرني، فقال: ترضين أن تكوني لي زوجة؟ فقبلت قدميه وقالت: من لي بغلامك؟ فقال: ٱمضي في دَعة الله، فخرجت، فأحضر البقال ودفع إليه خمسين ديناراً، وقال: زوجني ٱبنتك، فكتب كتاباً بمائة دينار، فقال البقال: يا سيدي ٱستر ما ستر الله، أنا لي بنت أزوجك. قال: دع هذا عنك رضيت بٱبنتكِ القرعاء الشلاء الزمنة، فزوجه على المائة والخمسين، ومضى فحدث زوجته فقالت: والله لا كان يكون هذا إلا على يد أبي حنيفة، فلما كان عشية تلك الليلة أجلسها أبوها في صن، وحملها بينه وبين غلامه، فلما رآها أبو حنيفة قال: ما هذا؟ فقال البقال: ٱشهد عليَّ بطلاق أمها إن كانت لي بنت غيرها، فقال أبو حنيفة: هي طالق ثلاثاً، أعد عليّ الكتاب، وأنت في حل من الخمسين، وبقي أبو حنيفة متفكراً شهراً، ثم جاءت تلك المرأة إليه، فقال: ما حملكِ على ما فعلتِ؟ فقالت: وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير.

قال أبو الحسن السيبي مؤذن المسترشد بالله: قال: حدثني بعض التجار المسافرين قال: كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص نتحدث، فبينما نحن جلوس يوماً نتحدث، وإذا بٱمرأة بقربنا في أصل سارية، فقال لها رجل من التجار من البغداديين: ما شأنك؟ فقالت: أنا ٱمرأة وحيدة، غاب عني زوجي منذ عشر سنين، ولم أسمع له خبراً، فقصدت القاضي ليزوجني فٱمتنع، وما ترك لي زوجي نفقة، وأريد رجلاً غريباً يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني؛ لأتزوج، أو يقول: أنا زوجها، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة

وأتزوج، فقال لها الرجل: تعطيني ديناراً حتى أصير معك إلى القاضي، وأذكر له أني زوجك وأطلقك، فبكت وقالت: والله ما أملك غير هذه، وأخرجت أربع رباعيات، فأخذها منها، ومضى معها إلى القاضي، وأبطأ علينا، فلما كان من الغد لقيناه، فقلنا: ما أبطأك؟ فقال: دعوني فإني حصلت في أمر ذكره فضيحة، قلنا: أخبرنا، قال: حضرت معها إلى القاضي، فآدعت عليَّ الزوجية والغيبة عشر سنين، وسألت أن أخلي سبيلها، فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضي: أتبرئينه؟ قال: لا والله، لي عليه صَداق ونفقة عشر سنين، وأنا أحق بذلك، فقال لي القاضي: أديها حقها، ولك الخيار في طلاقها، أو إمساكها، فورد عليَّ ما أبلسني ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها، فلا أصدق، فتقدم القاضي بتسليمي إلى صاحب الشرطة، فآستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الأربع رباعيات التي أعطتني، ومثلها من عندي، فضحكنا منه، فخجل وخرج من مصر، فلم يعرف له خبر.

قال: ونقل من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: حكى لي بعض الأصدقاء أن امرأة جلست على باب دكان بزار أعزب إلى أن أمست، فلما أراد غلق الدكان، تراءت له، فقال لها: ما هذا المساء؟ فقالت: والله ما لي مكان أبيت فيه، فقال لها: تمضين معي إلى البيت؟ فقالت: نعم. فمضى بها إلى بيته وعرض عليها التزويج، فأجابت، فتزوجها، وبقيت عنده أياماً، وإذا قد جاء في اليوم الرابع رجل ومعه نسوة، فطلبوها، فأدخلهم وأكرمهم وقال: من أنتم منها؟ فقالوا: أقاربها ابن عم وبنات عم، وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة، غير أنا نسألك أن تتركها تزورنا لعرس بعض أقاربنا، فدخل إليها فقالت: لا تجبهم إلى ذلك، وآحلف بطلاقي إنك لا خرجتِ من داري شهراً ليمضي زمن العرس، فإنه أصلح لي ولك، وإلا أخذوني وأفسدوا قلبي عليك، فإني كنت غضبى وتزوجت إليك بغير مشاورتهم، ولا أدري من قد دلهم إليك، فخرج فحلف

كما ذكرت له، فخرجوا ميؤوسين، وأغلق الباب وخرج إلى الدكان وقد علق قلبه بالمرأة، فخرجت ولم تستصحب من الدار شيئاً، فجاء فلم يجدها. فقال قائل: ترى ما الذي قصدت؟ قال أبو الوفاء: لعلها مستحلة به لأجل زوج طلقها ثلاثاً، فليتخوف الانسان من مثل هذا، وليطلع به على غوامض حيل الناس.

الباب الثاني والثلاثون

فيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه كلام الآدميين

الذباب

أخبرنا أبو سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن في أحد جناحي الذباب داء وفي الآخر شفاء، وإنه ليتقى بالذي فيه الداء، فإذا وقع في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم لينزعه [١].

القرد

وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة، وكان يشوبه [٢] بالماء، وكان معه في السفينة قرد، فأخذ القرد الكيس الذي فيه الدنانير، فصعد ذروة الدقل، ففتح الكيس فجعل يلقي في البحر ديناراً وفي السفينة ديناراً حتى لم يبق فيه شيء.

---

(١) حديث: «إذا وقع الذباب...» رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد والطيالسي وأبو يعلى وابن حبان وغيرهم.
والحديث صحيح سنداً ومتناً لا مجال للطعن والتشكيك فيه.

(٢) يخلطه.

الكلب

قال محمد بن ناصر: قدم رجل على بعض السلاطين، وكان معه عامل أرمينية منصرفاً إلى منزله، فمر في طريقه بمقبرة، وإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر الكلب، فمن أحب أن يعلم خبره فليمضِ إلى قرية كذا وكذا، فإن فيها من يخبره، فسأل الرجل عن القرية، فدلوه عليها، فقصدها وسأل أهلها، فدلوه على شيخ قد جاوز المائة، فسأله فقال: كان في هذه الناحية ملِك عظيم الشأن، وكان مشتهراً بالنزهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد ربّاه لا يفارقه، فخرج يوماً إلى بعض متنزّهاته، وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ،يصلح لنا ثردة لبن، فقد آشتهيتها، فأصلحوها ومضىء إلى متنزّهه، فوجه الطباخ، فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة، ونسي أن يغطيها بشيء، واشتغل بطبخ أشياء آخر، فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى، فكرع في ذلك اللبن، ومج في الثردة من سمه - والكلب رابض يرى ذلك كلّه ولو كان له في الأفعى حيلة لدفعها - وكان هناك جارية طفلة خرساء زَمِنَة قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان، أول ما تقدمون إليَّ الثردة، فلما وضعت بين يديه اومـأت الخرساء إليه، فلم يفهم ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفت إليه، ولج في الصياح، فلم يعلم مراده، فأخذ ورمى إليه بما كان يرمي في كل يوم فلم يقربه، ولج في الصياح، فقال للغلمان:نَحُّوهُ عنا، فإن له قصة. ومدّ يده إلى اللبن، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل طفر إلى وسط المائدة، وأدخل فمه الغضارة، وكرع من اللبن، فسقط ميتاً وتناثر لحمه، وبقي الملك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم ففهموا مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غيري، فدفنه وبنى عليه قبة وكتب عليها ما قرأت.

قال أبو عثمان المدايني: كان في جوارنا ببغداد رجل يلعب بالكلاب، فأسحر

يوماً في حاجة ومعه كلب كان يختص به من كلابه، فرده فلم يرجع، فمشى حتى آنتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة، فصادفوه، فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فخرج الكلب وقد لحقته جراحة، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي، وآفتقدت أم الرجل آبنها، فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل من قتل آبنها وأنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم فطردت الكلاب عن بابها فلزم ذلك الكلب طلب القاتل، فآجتاز القاتل وهو رابض، فعرفه فنهشه وعلق به، فاجتهد المجتازون في تخليصه منه فلم يمكنهم، وآرتفعت ضجة، وجاء حارس الدرب فقال: إنه لم يعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قضية، ولعله الذي جرحه، وخرجت أم القتيل فرأت الكلب متعلقاً بالرجل وسمعت كلام الحارس، فذكرت بأن هذا الرجل ممن كان يعادي آبنها، فوقع في نفسها أنه قاتله، فتعلقت به وآدعت عليه القتل، وآرتفعا إلى صاحب الشرطة، فحبسه بعد أن ضرب ولم يقر، ولزم الكلب باب الحبس، فلما كان بعد أيام، أطلق الرجل، فلما خرج علق به الكلب ففرق بينهما، وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته، فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم، فكبس الدار فأقبل الكلب بمخالبه موضع القتيل، فنبش فوجد الرجل، فضرب المتهم فأقر على نفسه وعلى الباقين، فقتل وصلبوا.

وحدثنا محمد بن الحسين بن شداد قال: رأيت رجلاً له كلب يقربه ويغطيه بديباج كان عليه، فسألته عن السبب فقال: كان لي رفيق يعاشرني فخرجنا في سفر، وكان في وسطي هِمْيَان[1] فيه جملة دنانير، ومعي متاع كثير، فنزلنا في موضع، فعمد إليَّ فأوثقني كتافاً، ورمي بي في وادٍ، وأخذ ما كان معي ومضى، وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضى، فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه

(١) الهِمْيَان: كيس تجعل فيه النقود ويشد على الوسط.

رغيف، فطرحه بين يدي، فأكلته ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي، ثم نمت ففقدته، فما كان بأسرع أن وافاني ومعه رغيف، فأكلته، فلما كان في اليوم الثالث غاب عني، فقلت: يمضي ويجيئني بالرغيف، فجاء ومعه الرغيف فرمى به، فلم أستتم أكله إلاّ وآبني يبكي على رأسي وقال: ما تصنع ههنا وما قصتك؟ ونزل فحلَّ كتافي وأخرجني، فقلت له: من أين علمت بمكاني ومن دلَّك عليَّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا في كل يوم، فنطرح له الرغيف على آسمه فلا يأكله، وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولست معه، وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو. فأنكرنا أمره، فآتبعته حتى وقفت عليك، فهذا خبري وخبر الكلب.

قال: كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم، فعبث أحدهم بزوجته وراسلها، وكان للحرث كلب قد ربّاه، فخرج الحرث في بعض متنزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل، وجاء إلى زوجته فأقام عندها، فلما جامعها وثب الكلب عليهما فقتلها، فلما رجع الحرث نظر إليهما فعرف القصة، وترك من كان يعاشره، وآتخذ كلبه نديماً، فتحدث به العرب، فأنشأ يقول:

فَلَلْكلب خيرٌ من خليل يخونني ... وينكح عرسي بعد وقت رحيلي
سأجعل كلبي ما حييت منادمي ... وأمنحه ودي وصفو خليلي

وقال ابن عبيدة: خرج رجل من البصرة فآتبعه كلب، فوثب بالرجل قوم، فجرحوه ورموه في بئر، وحثوا عليه التراب، فلما آنصرفوا أتى الكلب رأس البئر، فبحث حتى ظهر رأس الرجل، وفيه نفس يتردد، فمر قوم فأخرجوه حياً.

قال ابن خلف: وحدثني بعض أصدقائي قال: دخلت بستاناً ومعي كلبان لي قد ربيتهما، فنمت، فإذا هما ينبحان، فآنتبهت، فلم أرَ شيئاً أنكره، فعاودا النباح،

فضربتها ونمت، فإذا بها يحركاني بأيديها وأرجلها كما يوقظ النائم، فوثبت فإذا أسود سالح[1] قد قرب مني، فوثبت، فقتلته، فكانا سبب سلامتي.

قالت الحكماء: ومن فطنة الكلب أنه إذا عاين الظباء[2] قريبة كانت أو بعيدة، عرف المعتل وغير المعتل، والذكر من الأنثى، فلم يقصد في الصيد إلا الذكر، وإن علم أنه أشد عدواً وأبعد وثبة، ويدع الأنثى على نقصان عدوها، وسبب ذلك أنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطاً أو شوطين حقن ببوله، وكذا كل حيوان إذا اشتد فزعه، فإنه يدركه الحقن، وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو، فيثقل حينئذ عدوه ويقصر مدى خطاه، فيلحقه الكلب، وأما الأنثى، فإنها تحذف بولها لسعة السبيل وسهولة المخرج، فتصير بذلك أدوم.

ومن فهم الكلب أنه إذا خرج الجليد والثلج وقد تراكم على الأرض والكلاب لا تدري حينئذ أين كناس الظبي، وأين جحر الأرنب، فيفر الكلب وينظر إلى أن يقف على تلك الجحرة، وظنين معرفته أن أنفاس الحيوانات وبخار أجوافها يذيب ما لاقى من فم الجحر من الثلج الجامد حتى يرق، وذلك خفي غامض لا يقع عليه إلا الكلب، وإن الكلب إذا ظفر بشخص لم ينجه منه إلا أن يقعد بين يديه ذليلاً، فحينئذ لا ينبحه لأنه يراه تحت قدرته فيسمه بميسم ذل.

الفأرة

حدثنا أبو بكر بن الحضنة عن مؤدبة أبي طالب المعروف بآبن الدلو، وكان رجلاً صالحاً يسكن نهر طابق أنه كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ. قال: وكنت ضيق اليد، فخرجت فارة كبيرة، فجعلت تعدو في البيت، ثم خرجت أخرى

---

(١) أفعى سوداء.

(٢) الغزلان.

وجعلا يلعبان بين يدي طاسة، فكفيتها على إحداهما، فجاءت الأخرى فجعلت تدور حول الطاسة، وأنا ساكت فدخلت السرب، فخرجت وفي فيها دينار صحيح وتركته بين يدي، فآشتغلت بالنسخ وقعدت ساعة تنتظر، ثم رجعت فجاءت بدينار آخر، وقعدت ساعة إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة وقعدت زماناً أطول من كل نوبة، ورجعت، فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير وتركتها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي شيء، فرفعت الطاسة ففرتا فدخلتا البيت وأخذت أنا الدنانير.

الهـر

قال محمد بن عجلان مولى زياد: دخل زياد مجلسه ذات يوم، فإذا هو بهر في زاوية البيت، فذهبت أزجره، فقال: دعه فأرى ماله، ثم صلى الظهر، ثم عاد إلى مجلسه ثم صلى العصر، فعاد إلى مجلسه، كل ذلك يلاحظ الهر، فلما كان قبل غروب الشمس، خرج جرذ، فوثب عليه الهر، فأخذه، فقال زياد: من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر فإنه يظفر بها.

البازي

قال القاسم بن أبي طالب التنوخي: كنت ماضياً إلى الأنبار في رفقة بازيانية للسلطان، فأطلقوا بازياً على دُراج فطار، فلحق الدُّراج فآنتهى الدراج إلى غيضة[1] فدخلها، فألقى نفسه بين شوك كان فيها، وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه ونام على قفاه، ورفع رجليه، فاستتر بذلك من البازي فلما قرب منه البازي طار، فصاده البازي، فقالوا: ما رأينا دراجاً[2] قط أحذر من هذا.

---

(١) الغَيْضَة: الشجر الملتف.

(٢) الدُّرَّاج: ضرب من الطير.

الذئب

قال المصنف: والعرب تقول أحذر من غراب، وأحذر من عقعق، وأحذر من ذئب، ويزعمون أن الذئب يبلغ من حذره إنه يزاوج بين عينيه إذا نام فيفتح إحداهما لتكون حارسة.

قال حميد بن هلال في الذئب:

ينام بإحدى مُقلتيه ويتقي بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع

قال العسكري: هذا محال لأن النوم يأخذ جملة الحي.

قال مؤلف الكتاب: أرادوا بذلك أن يغمض عيناً عند بداية النوم ويفتح عيناً إلى أن يغلب عليه فيكون الكلام صحيحاً.

ويقولون أحذر من ظليم، وهو ذكر النعام.

روي عن ابن الأعرابي عن هشام بن سالم قال: أكلت حية بيضة مكاء، فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها تريده وهمت به ألقى في فيها حسكة، فأخذت بحلقها حتى ماتت.

وروينا أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون في ضيافتي، قال سليمان: أنا وحدي؟ قال: لا. بل العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا، فمضى سليمان إلى هناك فصعد الهدهد إلى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر، وقال: يا نبي الله، إن كان اللحم قليلاً فالمرق كثيراً، فكلوا من فاته اللحم ناله المرق، فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً.

جملة من أفعال الحيوان تدل على الفطنة

قلت: من أحوال الحيوان البهيم وأفعاله الدالة على الفطنة، إن العصافير لا تقيم إلا في دار مسكونة، فإن هجرها الناس لم تقم، وأما الهرة فإنها تألف الدار وإن

رحل أهلها، والكلب يرحل مع أهل الدار، ولا يلتفت إلى الدار، ومتى طرقت العصافير آفة استغاثت، فأغاثها كل عصفور يسمع حتى إنه قد يقع فرخها، فيستغيث فلا يبقى عصفور يسمع إلاّ جاء، فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم، فيحدثون له بذلك قوة وحركة حتى يطير معهم.

قال بعض الصيادين: ربما رأيت العصفور على حائط فأومي بيدي فكأنني أرميه فلا يطير فأومي بيدي إلى الأرض كأنني أتناول شيئاً، فلا يتحرك، فإن مسست بيدي حصاة، طار قبل أن تتمكن منها يدي.

الحمام: إذا علم أن الأنثى قد حملت، اشتغل هو وهي بعمل العش وأشخصا لها حروفاً تحفظ البيض، ثم سخناها ونفيا عنها طباعها، وأحدثا لها طبيعة أخرى مستخرجة من رائحة أبدانها، ثم يقلبان البيض في الأيام، فتأخذ البيضة نصيبها من الحضن، وساعات الحضن أكثرها على الأنثى كالمرأة التي تكفل الحضانة، فإذا صار البيض فراخاً، كان أكثر الزق على الذكر، ومتى انصدع البيض علماً أن حواصل الفراخ لا تتسع للغذاء، فينفخان الريح في حلوقها لتنتفخ الحوصلة وتتسع، ثم يعلمان أنه لا يصلح أن يزق الطعام، فيزقان اللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعام كاللبا، ثم يعلمان أن الحوصلة تحتاج إلى دبغ وتقوية، فيأكلان من سورج الحيطان ـ وهو شيء بين الملح الخالص وبين التراب المالح ـ فيزقانه، فإذا علما أنه قد اشتد زقاه الحب، فإذا علما أنه قد أطاق أن يلقط، منعاه بعض المنع ليحتاج إلى اللقط، فيعوده، فإذا علما أنه قوي على ذلك ضرباه إذا سألهما الكفاية ومنعاه، ثم يبتدئان لغيره، فيبتدىء الذكر بالدعاء، وتبتدي الأنثى بالتأني والاستدعاء، ثم ترفق وتتشكل، ثم تمتنع فتجب، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشف.

والتنين: إذا هلكت زوجته لم يتزوج، وكذلك هي.

والعنكبوت: تنسج بما هو يسكنها شبكة الذباب، فإذا تعرقلت فيها صادها، ويروى أن الليث ـ وهو صنف من العناكب ـ يلطى بالأرض ويجمع نفسه، ويرى الذباب أنه لاهٍ عنها، ثم يثب وثوب الفهد فيصيدها.

والثعلب: إذا أعوزه القوت تماوت ونفخ بطنه، فيحسبه الطير ميتاً. فإذا وقع عليه وثب عليها.

والخفاش: ضعيف البصر، فلا يطير إلاّ عند الغروب لأنه وقت لا ضوء فيه يغلب بصره ولا ظلمة.

والنملة والذرة[١]: تدخر في الصيف للشتاء، ثم تخاف على المدخر من الحبوب العفن، فتخرجه فتنشره ليضربه الهواء، وربما اختارت ذلك في ليالي القمر، لأنها فيه أبصر، فإن كان مكانها ندياً وخافت أن تنبت، نقرت وسط الحبة كأنها تعلم أنها تنبت من ذلك المكان، وفلقتها نصفين، فإن كان كزبرة، فلقتها أربعاً لأن أنصاف الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب، فهي من هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان، ولها مع لطافة شخصها من الشمّ ما ليس لشيء، وربما أكل الإنسان الجراد أو ما أشبهه، فتسقط من يده الواحدة أو بعضها، وليس بقربه ذرة، فلا تلبث أن تقبل ذرة أو نملة قاصدة إلى تلك الجرادة، فتحاول نقلها إلى موضعها، فتعجز، فتكر راجعة إلى بيتها، فلا تلبث أن تقبل وخلفها كالخيط الأسود فتتعاون، فتحملها. فٱنظر إلى صدق الشمّ لما لا يشمه الإنسان، ثم إلى نقد الهمة، ثم إلى الجراءة في محاولة نقل شيء وزنها خمسمائة مرة أو أكثر أو أقل، وقلّ أن تلتقي أخرى إلا وقفت معها وحدثتها، ويدل على كلامها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ﴾[٢].

---

(١) الذرة: مفردها ذَرّ، وهي صغار النمل.

(٢) الآية: ١٨ ـ من سورة النمل.

ومن الحيات: ما يغمس ذنبه في الرمل وينتصب قائماً نصف النهار في شدة الحر، فيجيء الطائر، فيكره الوقوع على الرمل لحره، فيقع على رأس الحية على أنها عود، فتقبض عليه. وزعم قوم أن الحية في بلادهم تأتي البقرة فتنطوي على فخذها وتلتقم الثدي، فلا تستطيع البقرة أن تتزمزم، فتمتص اللبن.

ومن فهم اليربوع[1]: لا يتخذ جحره إلا في كدوة، وهو الموضع الصلب، ليرتفع عن السيل فيسلم من مجاري المياه ومدق الحافر، فيحفر في الصلابة ويعمق ثم يتخذ في زوايا بيته القاصعاء والنافقاء والرامقاء والراهطاء، وهي بيوت قد آتخذها ورقق أبوابها، فإذا أحس شراً دفع بعضها وخرج، ولما علم من نفسه أنه كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة، ليكون إذا تباعد عن جحره لطلب طعامه أو خوف حسن اهتداؤه إليه.

والظبي: لا يدخل كناسه إلا وهو مستدير، يستقبل بعينيه ما يخاف على نفسه وخشفه[2].

والضبة: تبيض ستين بيضة، ثم تسد عليهن باب جحرها، ثم تدعهن أربعين صباحاً، ثم تحفر عنهن وقد آنشق البيض.

والنسر: كثير الشره، فإذا آمتلأ من الجيف لم يستطع الطيران، فيثب وثبات ويدور حول مسقطه مرات، ثم يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل الريح تحته فيرفعه.

والسِّنَّور: يرى الفأرة في السقف فيحرك يده كالمشير لها بالعود، فتعود، ثم

---

(١) اليَرْبُوع: دويبة نحو الفأرة، لكن ذنبه وأذناه أطول منها، ورجلاه أطول من يديه والعامة تقول: جربوع بالجيم.

(٢) ولده.

يشير إليها بالرجوع؛ فترجع، وإنما يطلب أن تزلق فلا يزالى يفعل ذلك حتى تسقط.

والأسد: ربما حبس العنز بيمينه وطعن بمخلب يساره في لبته[1] وقد أقعاه على مؤخره، فيتلقى دمه شاخباً في فيه كأنه ينصب من فوارة حتى إذا شربه وآستفرغه شق بطنه.

والبق: يخرج لطلب الرزق، فيعرف أن الذي يعيشه الدم، فإذا أبصر لجاموس علم أن خلف جلده غذاءه، فسقط عليه وطعن بخرطومه وهو واثق بنفوذ سلاحه.

والعُقاب: لا تكاد تعاني الصيد، بل تقف على موضع عال، فإذا آصطاد بعض الطير شيئاً آنقضت عليه، فإذا أبصره لم يكن له همة إلا الهرب وترك صيده في يدها.

وكذلك الحية، لا تحفر موضعاً تسكنه ولا تهتم بذلك، بل تأتي إلى المكان الذي حفره غيرها فتسكنه، فينفر عن ذلك المكان.

والإيَّل[2]**:** يذهب قرنه في كل عام، فإذا علم أنه قد هلك سلاحه لم يظهر من مخافة السَّبُع، فإذا قام في موضعه سمن، فيعلم أن حركته تبطىء فيزيد في استخفائه، فإذا ظهر قرنه تعرض للشمس والريح وأكثر الحركة والذهاب ليذهب شحمه ولحمه، فإذا استقام قرنه عاد إلى عادته الأولى، وهو يأكل الحيات فيعتريه عطش شديد فيدور حول الماء ولا يحجزه عن ذلك إلا علمه بأن الماء ينفذ السموم، فيسرع هلاكه.

---

(١) لَبَّة البعير: موضع نحره.

(٢) الإُيَّل: بضم الهمزة وكسرها والياء فيها مشددة مفتوحة: التيس الجبلي.

وبيوت الزنابير: مبنية من زبد المدود. والقنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفعى والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البري والعُقاب إذا اشتكت كبدها من رفعها الأرنب والثعلب في الهواء وحطها لذلك مراراً، فإنها لا تأكل إلا من الأكباد حتى يبرأ وجعها.

وإذا وضعت الفأرة والعقرب في إناء زجاج، قرضت الفارة طرف إبرة العقرب، فسلمت من شرها، ثم قتلتها كيف شاءت.

وإذا وضعت الدب الأنثى ولدها كان حينئذ كقدرة لحم غير مفهوم الجوارح، فخافت عليه الذر، فرفعته في الهواء أياماً، وتحوله من موضع إلى موضع إلى أن يشتد.

والسمك: إذا حصلت في الشبكة ولم تستطع الخروج علمت أنه لا ينجيها إلا الوثوب، فتتأخر قدر رمح ثم تقبل واثبة نحو عشرة أذرع، فتخرق الشبكة.

والفهد: إذا سمن علم أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت، فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينقضي الزمان الذي يسمن فيه الفهود.

الباب الثالث والثلاثون
في ذكر ما ضربته العرب والحكماء مثلاً على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء

تقول العرب: أحذر من غراب ويقولون: قال: الغراب لآبنه: إذا رميت فتلوص أي تلوى قال: يا أبت، إني أتلوص قبل أن أرمى!!

قال الشعبي: مرض الأسد، فعاده السباع ما خلا الثعلب، فقال الذئب: أيها الملك مرضت فعادك السباع إلا الثعلب! قال: فإذا حضر فأعلمني، فبلغ ذلك الثعلب، فجاء، فقال له الأسد: يا أبا الحصين، مرضت فعادني السباع كلهم ولم تعدني أنت. قال: بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء له. قال: فأي شيء أصبت؟ قال: قالوا لي خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب، فآنسل الثعلب وخرج، فقعد على الطريق فمرّ به الذئب والدم يسيل عليه، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت بعد هذا عند سلطان، فآنظر ما يخرج من رأسك.

قال الشعبي أخبرت أنّ رجلاً صاد قنبرة، فلما صارت في يده قالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: ما أشفي من مرض، ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي، أما واحدة، أعلمك وأنا في يدك، والثانية على الشجرة، والثالثة على الجبل، فقال: هات الواحدة، قالت: لا تلهفن على ما فاتك، قال: فلما صارت على الشجرة قال لها: هات الثانية،

قالت له: لا تصدق بما لا يكون، فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقي، لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين وزن كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعض على شفتيه وتلهف، ثم قال لها: هات الثالثة، قالت: أنت نسيت آثنتين فكيف أحدثك بالثالثة؟ ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فاتك، ولا تصدق بما لا يكون إنني وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً، قال: وطارت، فذهبت.

حدثنا عثمان بن عطاء عن أبيه قال: نصب رجل من بني إسرائيل فخاً من ناحية الطريق، فجاء عصفور فسقط، ثم آنطلق إلى الفخ فقال للفخ: مالي أراك متباعداً عن الطريق؟ قال: اعتزل شرور الناس، قال: فمالي أراك ناحل الجسم؟ قال: أنحلتني العبادة، قال: فما هذا الحبل على عطفيك؟ قال: المسوح والشعر لبس الرهبان والزهاد، قال: فما هذه العصا في يدك؟ قال: أتوكأ عليها، قال: فما هذه الحبة في فيك؟ قال: رصدتها لابن السبيل، أو محتاج، قال: فأنا ابن سبيل ومحتاج، قال: فدونك، قال: فوضع العصفور رأسه في الفخ، فأخذ بعنقه، فقال العصفور: سيق سيق، ثم قال: لا غرني بعدك قارىء مُراءٍ مرة أخرى.

قال مجاهد، هذا مثل ضربه الله عز وجل لقراء مرائين في آخر الزمان.

قال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخاً ونصب فيه برة فجاء عصفور فقال: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع، قال: لأي شيء أنحلت؟ قال: من طول العبادة، قال: فما هذه البرة المنصوبة في فيك؟ قال: أعددتها للصائمين، فقال: نِعْمَ الخَيِّر أنت، فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ، فقال العصفور تخنق كخنقك فلا خير حينئذ في العبادة اليوم.

قال: حدثنا المعافى بن زكريا قال: زعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اصطحبوا، فخرجوا يتصيدون، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: آقسم

بيننا صيدنا، قال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية والظبي لي، قال: فخبطه الأسد فأندر رأسه، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، ثم قال: هات أنت، قال الثعلب: يا أبا الحارث: الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، وتخلل بالأرنب فيما بين ذلك، قال: ويحك ما أقضاك من علمك هذه القضية؟ قال: رأس الذئب النادر بين عيني.

وذكر الحكماء في أمثالهم قالوا: قيل للذئب: ما بالك تعدو أسرع من الكلب؟ فقال: لأني أعدو لنفسي، والكلب يعدو لصاحبه.

وذكر أبو هلال العسكري قال: قالت العرب: وجدت الضبع تمرة، فٱختلسها الذئب، فلطمته لطمة، فتحاكما إلى الضب، فقالت: يا أبا الحِسل، قال: سميعاً دعوت، قالت: جئناك نحتكم إليك، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني التقطت تمرة، قال: حلواً جنيت، قالت: إن الثعلب أخذها، قال: حظ نفسه بغى، قالت: لطمته، قال: آشتفيت والبادي أظلم، قالت: فلطمني، قال: حر آنتصر لنفسه، قالت: آقض بيننا، قال: قضيت.

قالوا: حدث المخاطب حديثين، فإن لم يفهم فأربعة. قال العسكري: المعنى إن لم يفهم حديثين كان ممن لا يفهم أربعة أقرب، قال: وقال بعض العلماء: إنما هو فأربع أي: أمسك وذلك غلط.

قالوا: وصادت حدأة سمكة فهمت ببلعها، فقالت: لا تفعلي فإنك إن أكلتِني لم أشبعك، ولكن آستحلفيني بما شئت، إنني آتيك كل يوم بسمكة، ففتحت فاها لتحلفها، فآنسابت منها، فقال: آرجعي، فقالت: ما رأيت في مجيئي إليك خيراً فأعود.

قالوا: وكان رجل في صحراء فعرض له الأسد، فهرب منه، فوقع في بئر، فوقع الأسد خلفه، فإذا في البئر دب، فقال له الأسد: منذ كم أنت ههنا؟ قال: منذ أيام، وقد قتلني الجوع، فقال الأسد: أنا وأنت نأكل هذا وقد شبعنا، فقال الدب: فإذا عاودنا الجوع فما نصنع؟ وإنما الرأي أن نحلف له أننا لا نؤذيه

ليحتال لخلاصنا وخلاصه، فإنه أقدر على الحيلة منا، فحلفا له، فأخذ في التحيل فلاح له ضوء، فنقب، فخرج به إلى فضاء، فتخلص وخلصها.

قال: كان أبو ايوب المرزباني ـ وهو وزير المنصور ـ إذا دعاه المنصور يصفر ويرعد، فإذا خرج من عنده عاد لونه، فقالوا له: إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين، وأنسه بك، تتغير إذا دخلت عليه، فقال: مثلي ومثلكم في هذا، مثل بازي وديك تناظرا، فقال البازي للديك: ما أعرف أقل وفاء منك، قال: وكيف؟ قال: تؤخذ بيضة، فيحضنك أهلك، وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت، صار لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا وصحت ههنا، فإن علوت حائطاً كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت إلى غيرها. وأنا أوخذ من الجبال وقد كبر سني فأطعم الشيء اليسير، وأوثق يوماً أو يومين، ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي فآخذه وأجيء به لصاحبي، فقال له الديك: ذهبت عنك الحجة، أما إنك لو رأيت بازين في سفود ما عدت إليهم أبداً، وأنا كل وقت أرى السفافيد (١) مملوءة ديوكاً وأبيت معهم، فأنا أوفى منك، ولكن لو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه إياكم.

قالوا: ورأت الضبع ظبية على حمار، فقالت: أردفيني فأردفتها، فقالت: ما أفره حمارك، ثم سارت يسيراً فقالت: ما أفره حمارك، فقالت الظبية: انزلي قبل أن تقولي: ما أفره حماري.

قالوا: وصادت الضبع ثعلباً فقال الثعلب: مني عليَّ أم عامر، فقالت: خيرتك خصلتين، إما أن آكلك، وإما أن أوكلك؟ فقال الثعلب: أما تذكرين أم عامر التي نكحت في دارها؟ فقالت الضبع: متى ذا؟ فانفتح فوها، فأفلت الثعلب.

قالوا: وأولم (٢) طائر، فأرسل يدعو بعض إخوانه، فغلط بعض رسله فجاء إلى

---

(١) السَّفُّود: الحديدة التي يشوى بها اللحم (السيخ أو الشيش). (٢) أي: صنع وليمة.

الثعلب، فقال: أخوك يدعوك، فقال: السمع والطاعة، فلما رجع أخبر الطائر فاضطربت الطيور وقالوا: أهلكتنا وعرضتنا للحتف، فقالت القنبرة: أنا أصرفه عنكم بحيلة، فمضت فقالت: أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك الوليمة يوم الإثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك، مع الكلاب السلوقية أو مع الكلاب الكردية؟ فتجرعها الثعلب وقال: أبلغي أخي السلام وقولي له: أبو سرور يقرئك السلام، ولكن قد تقدم لي نذر منذ دهر بصوم الإثنين والخميس.

قال أبو عمير الصوري: مرّ تيس بزق، ففر منه، فقال له الزق: تنفر مني مثلك كنت ومثلي تكون.

قال أبو سليم الخطابي: من أمثلتهم قولهم: لا أريد ثوابك آكفني عذابك. ومثله قول الشاعر:

كفاني الله شرك يا خليلي فأما الخير منك فقد كفاني

قال أبو سليمان: نظيره قولهم: يدك عني وأنا في عافية، وأصل هذا فيما يتكلم به الناس على ألسنة البهائم، أن فأرة سقطت من السقف، فظفرت الهرة بحملها، تقول بسم الله عليك، فقالت الفأرة: يدك عني وأنا في عافية.

قال المصنف رحمه الله: سمعت علي بن الحسين الواعظ يحكى أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مر على حواء يطارد حية ليأخذها، فقالت الحية: يا روح الله، قل له لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضرباً أقطعه قطعاً، فمرّ عيسى عليه السلام ثم عاد وإذا الحية في سلته، فقال لها عيسى: ألست القائل: كذا وكذا فكيف صرت معه؟ فقالت: يا روح الله، إنه حلف لي فلئن غدرني فسمّ غدره أضر عليه من سمي. والله الموفق للصواب.

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

فهرس الموضوعات

الباب الخامس: في سياق المنقول من ذلك عن الأنبياء المتقدمين

الباب السادس: في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السالفة

الباب السابع: في سياق المنقول من ذلك عن نبينا عليه الصلاة والسلام
كلمات تدل على قوة الفطنة الفطرية

الباب الثامن: في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبينا رضي الله عنهم

الباب التاسع: في سياق المنقول من ذلك عن الخلفاء

الباب العاشر: في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء

الباب الحادي عشر: في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والأمراء والحجاب والشرطة

الباب الثاني عشر: في سياق المنقول من ذلك عن القضاة

الباب الثالث عشر: في سياق المنقول من ذلك عن علماء هذه الأمة وفقهائها

الباب الرابع عشر: في سياق المنقول من ذلك عن العباد والزهاد

الباب الخامس عشر : في سياق المنقول عن العرب وعلماء العربية

الباب السادس عشر : فيمن آحتال بذكائه لبلوغ غرض

الباب السابع عشر : في ذكر من آحتال فأنعكس عليه مقصوده

الباب الثامن عشر : في ذكر من وقع في آفة فتخلص منها بالحيلة

الباب السادس والعشرون: في ذكر طرف من فطن المتطببين

الباب السابع والعشرون: في ذكر طرف من فطن المتطفلين

الباب الثامن والعشرون: في ذكر طرف من فطن المتلصصين

الباب التاسع والعشرون: في ذكر طرف من فطن الصبيان

الباب الثلاثون: في ذكر طرف من فطن عقلاء المجانين

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر طرف من أخبار النساء المتفطنات

الباب الثاني والثلاثون: فيما ذكر عن الحيوان البهيم
مما يشبه كلام الآدميين